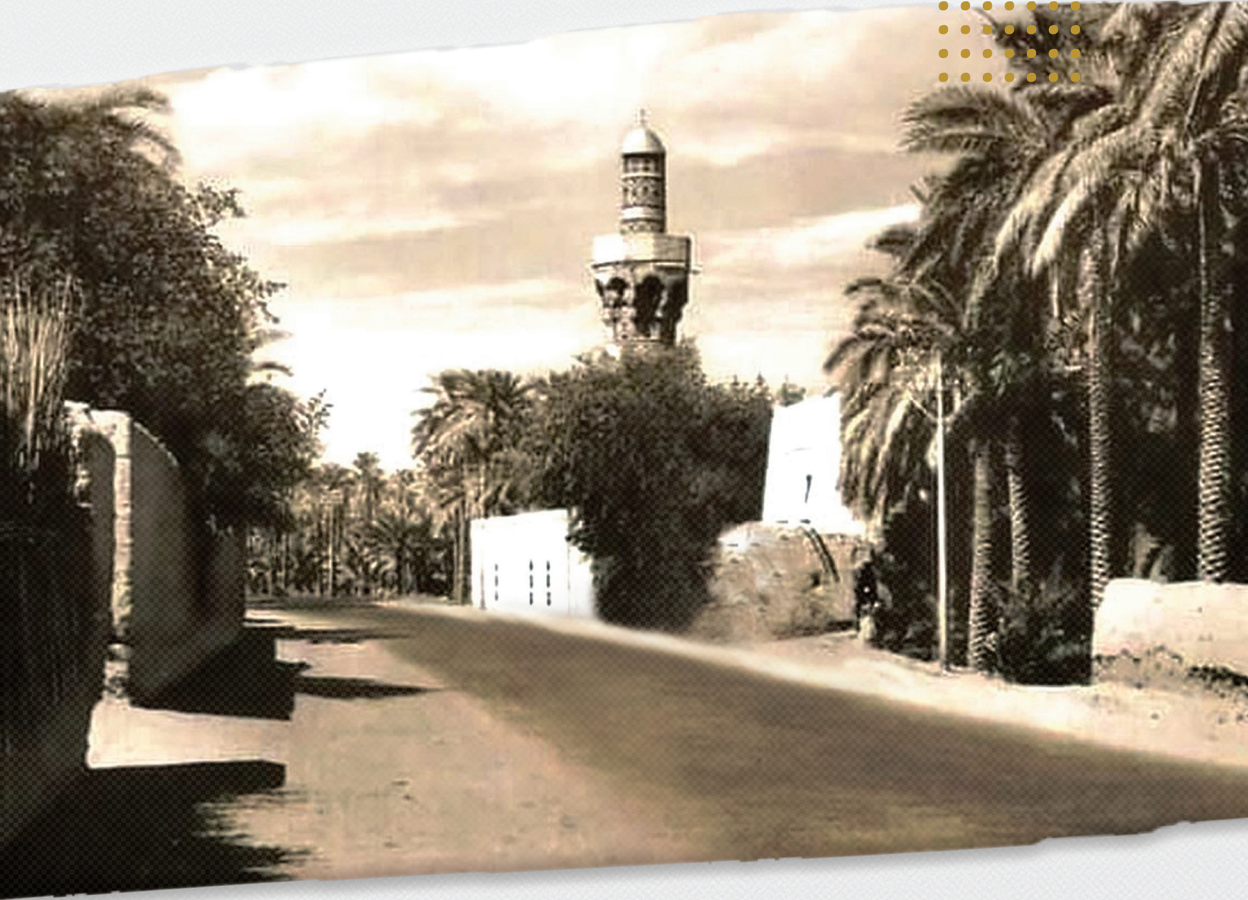


حضارة

العدد السادس والعشرون
ذو الحجة 1443 هـ - تموز 2022

مجلة نصف سنوية تعنى بالشأن العراقي وقضايا الأمة
تصدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير



أبحاث ومقالات

- تحديات إعادة صياغة الهوية: العراق أنموذجًا
- الانتخابات الأخيرة ومآلات الوضع في العراق
- إحياء الاتفاق حول برنامج إيران النووي، الفرص والتحديات
- الحراك الشعبي في العراق عقد من المبادرات الجماهيرية
- فارسا القضية الفلسطينية: الحاج الحسيني والشيخ القسام
- بيت المقدس وواجب الأمة تجاهه

حوار العدد

- مع الشيخ سامي الساعدي عضو الأمانة العامة
لهيئة نصره نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم -

ملف العدد

- الخطر الصهيوني على العراق وواجب علماء العراق
وفلسطين في مواجهته



مركز الأمة للدراسات والتطوير

وصف المركز:

مركز الأمة للدراسات والتطوير مركز متخصص يعمل في مجال إعداد البحوث والدراسات الجادة المختصة بالشأن العراقي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ويهتم بالدراسات العامة في الشؤون الثقافية والعلمية والإدارية كما يُعنى بتدريب الكوادر وتطويرها وتأهيلها.

أهداف المركز:

1. العناية بالدراسات والبحوث في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأمنية والعلمية.
2. دراسة وتحليل المشاكل والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق ومحاولة وضع تصور أفضل لتشخيصها وكيفية التعامل معها وآلية معالجتها.
3. التعريف بثقافة مقاومة الاحتلال وممانعة مشروعه وتعزيزها ونشرها.
4. المساهمة في تنمية المجتمع العراقي على المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية.
5. تدريب الكوادر وتأهيل العاملين في المجالات السياسية والقانونية والإدارية والإعلامية وحقوق الإنسان وتطوير مهاراتهم.
6. رفد الجهات والمؤسسات والهيئات ذات الاهتمام المشترك بالدراسات العلمية الرصينة والبحوث الموضوعية الهادفة.

الوسائل والأنشطة:

1. تنظيم وإقامة المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش والمحاضرات والدورات التدريبية المتخصصة وورش العمل.
2. إعداد وتأليف ونشر الدراسات والأبحاث العلمية التي تتعلق بمجالات الاهتمام المركز وأهدافه بالإضافة إلى إصدار المنشورات العلمية والدورية وغير الدورية.
3. التعاون العلمي مع الجامعات والهيئات والمراكز العلمية المتخصصة.
4. ترجمة الدراسات والإصدارات المتعلقة باهتمامات وأهداف المركز ذات المستوى العلمي المتميز.

هيكلية المركز:

يتألف المركز من الهيئة الاستشارية التي تضم مجموعة من أساتذة الجامعات والمختصين ورجال الثقافة، وتتكون الإدارة من رئيس ومدير للمركز، ورؤساء الأقسام ومسؤولي الوحدات المتخصصة. وأقسام المركز ووحداته هي: قسم الدراسات، وقسم التطوير، ووحدة الرصد والتوثيق، ووحدة الترجمة، ووحدة المجلة "حضارة".

مجلة المركز:

يصدر المركز مجلة نصف سنوية متخصصة تحمل اسم "حضارة" تُعنى بالشأن العراقي وقضايا الأمة.



مجلة نصف سنوية تعنى
بالشأن العراقي وقضايا الأمة تصدر
عن مركز الأمة للدراسات والتطوير

ummacenter@gmail.com

+9647824987886

alummacenter

ummacenter1

حضارة

العدد السادس والعشرون : ذو الحجة 1443 هـ - تموز 2022م

• ضوابط النشر في المجلة

1. أن تراعي البحوث والدراسات والمقالات المراد نشرها في المجلة التزام الأهداف العامة لمركز الأمة للدراسات والتطوير.
2. التزام المنهج العلمي في توثيق البحوث والدراسات والمقالات المنشورة توثيقاً علمياً بإيراد المصادر والمراجع على وفق معلومات النشر المتعارف عليها.
3. ألا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت، أو أرسلت للنشر في مكان آخر.
4. إرسال نصوص البحوث والدراسات والمقالات وغيرها بوساطة البريد الإلكتروني للمركز.
5. ألا يزيد حجم الدراسة أو البحث عن (4000) كلمة، وألا يقل عن (1500) كلمة، ولا يقل عن (1000) كلمة.
6. يتم عرض المقالات والبحوث على لجنة علمية مختصة للتدقيق والمراجعة وإقرار النشر.
7. تدفع المجلة مكافآت نقدية للبحوث والدراسات المنشورة فيها، دعماً للباحثين والدارسين الذين يتعاونون معها من أجل تأدية رسالتها في خدمة الأهداف التي أسست من أجلها.

سعر بيع المجلة في الأقطار العربية

الأردن: 1.25 دينار	سوريا: 5000 ليرة	لبنان: 50000 ليرة
الإمارات: 20 درهم	الكويت: 1.5 دينار	العراق: 5000 دينار
السعودية: 15 ريال	قطر: 15 ريال	البحرين: 1.5 دينار
مصر: 20 جنيه	عمان: 1.25 ريال	اليمن: 160 ريال
المغرب: 25 درهم	تونس: 5 دينار	السودان: 15 جنيه
	ليبيا: 2.5 دينار	

المشرف العام

أحمد الفياض

رئيس التحرير

د. عبد القادر محمد

مدير التحرير

د. عمار عبد الكريم عبد المجيد

هيئة التحرير

د. أحمد كسار

د. جاسم الشمري

د. فلاح إبراهيم

د. ناصر الفهداوي

د. حاتم عبد الكريم المفرجي

د. أشرف زيدان

الهيئة الاستشارية

أ. طلعت رميح

د. عبد الحميد العاني

أ. فالح خطاب

د. محمد العاني

د. محمود المبارك

البحوث والمقالات المنشورة تعبر عن آراء كاتبها وليس بالضرورة تعبر عن رأي المركز

محتويات العدد

1

الافتتاحية:
أبحاث ومقالات:

- 3 د. بشير زين العابدين - تحديات إعادة صياغة الهوية: العراق أنموذجاً
- 13 فالح خطاب - الانتخابات الأخيرة ومآلات الوضع في العراق
- 25 د. وسام الدين العكلة - إحياء الاتفاق حول برنامج إيران النووي، الفرص والتحديات
- 35 معاذ البدري - الحراك الشعبي في العراق عقد من المبادرات الجماهيرية
- 45 د. غازي التوبة - فارسا القضية الفلسطينية: الحاج الحسيني والشيخ القسام
- 51 د. عمر مكي - بيت المقدس وواجب الأمة تجاهه

ملف العدد:

- الخطر الصهيوني على العراق وواجب علماء العراق وفلسطين في مواجهته
- 57 حاتم كريم الفلاح - أثر الغزو الأمريكي في التغلغل الصهيوني في العراق
- 99 جهود علماء العراق والعلماء الفلسطينيين في العراق في مواجهة الخطر الصهيوني
- د. مثنى حارث الضاري
- 129 أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال الأمريكي في (2003م)
- د. ثامر العلواني
- 155 دور العراق التاريخي في دعم القضية الفلسطينية (1920 - 2003م)
- د. جاسم الشمري

قراءة في كتاب

- 179 المصطلح الفني في الخط العربي

دراسات حضارية:

- 183 الهوية الدينية في المجتمع العراقي- المظاهر والأبعاد وسبل النهوض
- م. د أنوار خيرى
- 184 الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ودوره في مواجهة الإلحاد
- الباحث: فلاح عبد محمد الدليمي

حوار العدد

- 187 مع الشيخ سامي الساعدي اللبيبي عضو الأمانة العامة لهيئة نصره نبي الإسلام ﷺ

وثائق وتقارير:

- 195 التقرير الدوري عن الحالة السياسية في العراق.
- 200 البيان المتعلق بالمقاطعة الشعبية الواسعة للانتخابات.
- 202 دعوة لتشكيل إطار وطني للتصدي للعمليات السياسية وميليشياتها.

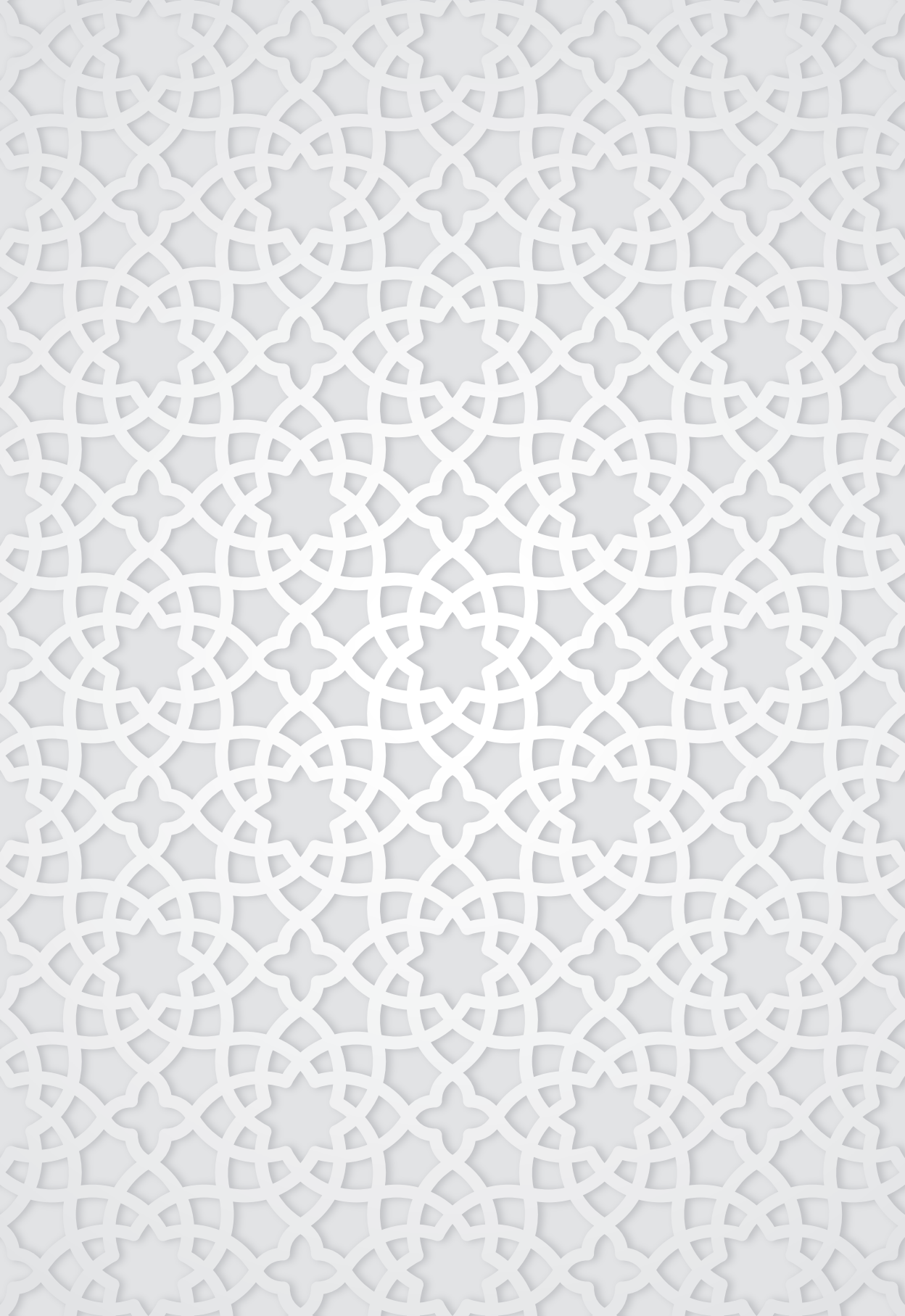
تفجير اليقظة

رئيس التحرير

وعى وتفجير يقظة، أحوج ما تكون الأمة إلهماً اليوم، فالحقيقة التي لا نملك الفرار منها، ولا أن نصمّ آذاننا عنها هي أنه مهما يمرض جسد هذه الأمة ويزداد ضعفاً فوق ضعفٍ وابتلاءً فوق ابتلاء، فلا ينبغي للأمة أن "تغيب عن الوعي"، أو يغيب هو عنها، وهذه المسؤولية تقع أولاً على عاتق العلماء الربانيين بمؤازرة أبنائها المخلصين للنهوض بهذا الواجب، والقيام به على أتم وجه، لذا جاء ملف هذا العدد متمحّضاً لـ (الخطر الصهيوني على العراق، وواجب علماء العراق وفلسطين في مواجهته).

إنّ هذا الرفض الشعبي الواسع على مستوى الأمة لمساعي التطبيع مع الكيان الصهيوني بكل مظاهره ما هو إلا دليل على هذا القدر من الوعي الحي النابض في قلب الأمة وروحها، المتجذر في أعماقها، المتأصل في فطرتها، مهما حاول المنحرفون والمتخاذلون من "ولاة أمرها" وأد يقظتها وإطفاء جذوتها في نفوس أبنائها، وهيئات أن يتحقق لهم ذلك، وأنى لهم وربنا سبحانه يقول: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30].

ما أن كسرت أبواب العراق باحتلاله في عام (2003م) حتى بدأت طلائع التغلغل الصهيوني تزحف بصمتٍ خفيٍّ الوطء صوب العراق المستباح الذي تحول إلى ساحة للصراع للعديد من القوى الدولية والإقليمية، حتى أضحت سلسلة حلقات ذلك الصراع تحكم تطويق أعناق العراقيين بأشكال من الحروب بالوكالة وعمليات تصفية الحسابات بين هذه القوى المتصارعة. وتحت جنح هذه الفوضى امتدت هذه الأيدي الخفية الخبيثة لتعبت بأمن العراق وتنهب ثرواته ساعيةً بكل السبل إلى إبقائه حبيس دومة الفوضى المستدامة، ومن ثمّ كانت صياغة الهوية الوطنية، والانتخابات ومآلاتها، والحراك الشعبي، وملف إيران النووي، والقدس وفلسطين، والخطر الصهيوني على العراق، وغيرها، عنوانات لمحطات توقفت عندها "حضارة" - مما جادت به أقلام الكتاب والباحثين- تستشرف فيها رسم صورة معبرة - إلى حدّ ما- عن بعض ما يجري في منطقتنا العربية، ونحن إذ نقدّم هذه الإلمامة المنتقاة من جزء يسير من واقع الأمة اليوم، نتوخى فيها المشاركة في إحياء



تحديات إعادة صياغة الهوية.. العراق أنموذجاً

د. بشير زين العابدين⁽¹⁾

صياغة الهوية الوطنية وفق رؤى فئوية لا تمثل سائر فئات المجتمع. ولقيت تلك النزعات تأييداً من قبل بعض القوى الخارجية ومراكز الفكر العالمية، ومن بعض كبار المسؤولين الغربيين الذين تبنوا مشاريع تدعو إلى تقسيم المجتمعات العربية على أسس طائفية وإثنية، وتدخلوا في صياغة الوثائق التأسيسية في مراحل إعادة التشكل السياسي، ما أدى إلى تضيق مساحة الحوار المجتمعي وتوسيع الهوة بين مختلف المكونات المجتمعية، وتحول بعض الدول إلى ساحة صراع مجتمعي تغذيه النزاعات الانفصالية وخطاب الكراهية والتمييز.

وتزامنت تلك التحولات مع تنامي الأدوار العسكرية للميلشيات الطائفية والإثنية والعبارة للحدود في مرحلة تداعي الجيوش التقليدية في الجمهوريات العربية، وتفشي ظاهرة "الحروب اللامتناهية"، والتي يندلع الصراع فيها بين المجموعات السكانية على أساس الهويات المتصارعة، وقيام بعض القوى الخارجية بتمويل وتسليح مجموعات إثنية-

تُعرّف الهوية بأنها: "مجموعة من المُميّزات التي يمتلكها الأفراد، وتُساهم في جعلهم يُحقّقون صفة التفرد عن غيرهم، وقد تكون هذه المُميّزات مُشتركة بين جماعة من النَّاس سواءً ضمن المجتمع، أو الدولة"، وتقوم على خمسة ركائز رئيسة هي: الدين، والموطن، والتاريخ، والثقافة، واللغة.

ويُعتبر العالم العربي أحد أكثر مناطق العالم تعددية، حيث تأوي المنطقة عشرات الجماعات العرقية والدينية والطائفية، ويمثل التسامح السمة الأبرز للعلاقة النازمة بين مختلف المكونات المجتمعية التي تعايشت فيما بينها عبر آلاف السنين.

إلا أن دخول الألفية الثالثة قد تزامن مع تحولات مجتمعية، أفضت إلى بروز تحديات جديدة فيما يتعلق بالهوية من مختلف أبعادها، وخاصة في أعقاب الفوضى التي آلت إليها الجمهوريات العربية خلال حقبة "الربيع العربي" (2011-2021م)، حيث أدى انهيار "الهوية المركزية" إلى تحرك مجموعات إثنية وطائفية لإعادة

(1) باحث وأكاديمي وكاتب سوري.

• الهوية ومشكلات التشكل السياسي

شكل ظهور الدولة القومية أولى تحديات إعادة تشكيل الهوية السياسية في العالم العربي، حيث قامت المجتمعات العربية الإسلامية على أساس عالمي (cosmopolitan) وليس على أساس قومي، واعترفت منذ مراحل مبكرة بالتنوع في الهوية.

وكانت العراق إحدى التجارب المبكرة في عملية التشكل السياسي عقب الانعتاق من الحكم العثماني (1917م)، حيث تم إعلان المملكة عام (1921م)، ونالت البلاد استقلالها عام (1932م)، إلا أن صياغة الهوية السياسية للدولة قد تأثرت إلى حد كبير بالنزعات الدينية لدى جنرالات أوروبا، الذين حملوا في مطلع القرن العشرين مشاعر صليبية لا يمكن التغاضي عنها أثناء حملاتهم العسكرية في المشرق العربي، حيث تحدث طبيب بريطاني، صاحب الحملة البريطانية، عن تأثير الجنرال ألنبي (قائد القوات البريطانية) بتاريخ الحملات الصليبية، مؤكداً: "لقد كان مقتنعاً بأن التاريخ سوف يكرر نفسه في هذا الشرق غير المتغير، وقال منذ البداية: إن المعركة الحاسمة سوف تخاض عند ممر مغيدو"، مستعيراً النبوة التوراتية في "سفر حزقيال" (7:39) بالعهد القديم، والذي ينص على أن اليسوع: "سيقود جيشاً من الملائكة لينتصر على أعداء الله". وكان ينظر إلى حملته العسكرية بشيء من الصليبية الحديثة.⁽¹⁾

طائفية في المجتمعات العربية. وأدى ذلك بدوره إلى سجالات إيديولوجية بين مختلف الفئات المجتمعية حول إعادة تعريف "الوطن"، وإلى دعم بعض الجهات الخارجية جهود استبدال "الهوية المركزية" بنظم "فيدرالية" أو "اتحادية"، فضلاً عن النقاش المستمر حول دور الدين في النظم السياسية البديلة بالجمهوريات العربية المتداعية.

وفي مقابل وقوع معظم الجمهوريات العربية في أتون الفوضى مطلع العقد الثاني من الألفية، مثلت العراق التجربة المبكرة، حيث تسبب الغزو الأمريكي (2003م) بآثار مدمرة على الهوية بكافة أبعادها، بعد أن بلغت الخسائر البشرية حوالي مليون ونصف قتيل، وأسفر عن نزوح أكثر من ستة ملايين عراقي، ودمار عدد من المدن والحوضر التي لا تزال تعاني من تبعات ذلك الغزو.

وبناء على ذلك، فإن هذه الدراسة تتخذ من النموذج العراقي منطلقاً لاستعراض أهم التحديات المتعلقة بإعادة صياغة الهوية، نظراً للتجربة المريرة في محاولات تقصي الهوية الجامعة ونظم العلاقة بين الدولة ومختلف فئات المجتمع، وذلك من ثلاثة محاور، هي: تحديات إعادة صياغة الهوية السياسية، واستعراض صراع الأجيال الناتج عن التحولات الكبرى التي تشهدها المنطقة، واستشراف التبعات المتوقعة لهذه التفاعلات في العقد الثالث من الألفية.

(1) سمير عطا الله (1995م)، جنرالات الشرق دور العسكريين الأجانب في العالم العربي بين الحرين، دار الساقى، بيروت، ص 62-63.

بين الحملة البريطانية لغزو العراق عام (1917م)، والغزو الأمريكي عام (2003م)؛ إلا أن البعد الديني استمر في تغذية مشاعر الزعماء الغربيين، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش (الابن)، حيث كشف الصحفي الفرنسي، (جون كلود موريس) والذي عمل في العراق خلال الفترة (1999-2003م)، أن بوش كان يستند إلى روايات تورائية أثناء حشدته للحملة العسكرية ضد العراق، وأنه اتصل بالرئيس الفرنسي جاك شيراك وطلب منه المشاركة في الحرب القادمة لتدمير آخر أوكار "يأجوج ومأجوج" المختبئين قرب مدينة بابل العراقية القديمة، مؤكداً له أن الحرب في العراق هي: "حملة إيمانية مباركة يجب القيام بها، وواجب إلهي مقدس أكدت عليه نبوءات التوراة والإنجيل".⁽²⁾

وتحدثت مصادر أمريكية عديدة عن دور المعتقدات الدينية لدى بوش في الحرب على العراق عام (2003م)، وكذلك في تحالف حربه مع اليمين الصهيوني، الأمر الذي أكدته وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت في كتابها: "الجبروت والجبار" والذي تحدثت فيه عن إيمانها بالله وعن توجيه ذلك الإيمان للسياسة الخارجية الأمريكية عبرها وعبر شخصيات أخرى نافذة.⁽³⁾ ولتحقيق تلك الرؤية، بادرت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى تمويل عدد من

وتزامن دخول النبي مدينة القدس (9 ديسمبر 1917م)، مع إصدار وزير الخارجية البريطانية، آنذاك (آرثر بالفور)، وعده بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، في حين كان الأمير فيصل بن الحسين مشغولاً بسوق المبررات لدعم القوات البريطانية في سيطرتها على المشرق العربي، منتحلاً الفكر القومي كهوية جديدة تضم إليها الجماهير العربية، ومتخذاً من النمط الغربي أساساً لبناء دولته الحديثة التي قامت على مقولته المشهورة: "الدين لله والوطن للجميع".⁽¹⁾

ولم تدم الحقبة الملكية في العراق لفترة طويلة عقب الاستقلال، حيث انتهت بصورة دموية عام (1958م)، ومر القطر العراقي بعد ذلك بظروف سياسية عصبية منعت من تشكيل شكل هوية سياسية متوازنة تنظم العلاقة بين السلطة والمجتمع، حيث وقعت البلاد في أتون محاولات انقلابية متتالية، وكان لحروب الخليج الأولى (1980-1988م) والثانية (1990-1991م) والثالثة (2003م) بالغ الأثر في تعزيز معضلات التشكل السياسي وضعف التجانس المجتمعي. وأفضى دستور العراق لعام (2005م) إلى تأسيس نظام "اتحادي"، يقوم على محاصصة إثنية-طائفية، بحيث أصبح الانقسام العرقي والطائفي في المحافظات العراقية أمراً واقعاً. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الفارقة

(1) ساطع الحصري (1947م)، يوم ميلسون، بيروت، ص 198.

(2) Jean - Claude Maurice (2010) Si vous le répétez, je démentirai, Plon, Paris.

(3) Madeleine Albright (2007) The Mighty and the Almighty: Reflections on America, God, and World Affairs, Harper Perennial, New York.

لي، زيادة تأثير الأقليات على الشؤون السياسية والاقتصادية في المنطقة العربية، خاصة وأن إيران هي الدولة الأكبر في المنطقة، وأنها تمارس نفوذاً على عدد من الجماعات المرتبطة بها فكرياً وعقائدياً، ورأى لي أنه بات من المتعين على الدول الغربية أن تبدي اهتماماً أكبر بالعوامل الجيوسياسية في المنطقة العربية بدلاً من الاقتصار على سياسة الضغط الاقتصادي والسياسي على إيران.⁽³⁾

وبعد فرض الكيان الاتحادي العراقي (2005م)؛ مثلت عملية فصل جنوب السودان عن شماله (2012م) إحدى أبرز حلقات إعادة رسم "خارطة الشرق الأوسط الجديد"، حيث تمت ترتيبات عملية الفصل من خلال تعاون مسؤولين غربيين مع جمعيات مسيحية، وأشرفت وزير الخارجية الأمريكية آنذاك (كونداليزا رايس)، على تعزيز القدرات العسكرية للجيش الشعبي لتحرير السودان، وذلك من خلال شركة "بلاك ووتر"، التي حصلت على عقد سخي من نائب الرئيس الأمريكي الأسبق، (ديك تشيني).⁽⁴⁾ وأبرزت تلك التحولات الكبرى تحديات

منظمات "دعم الديمقراطية"، وتكليفها بالعمل في أوساط المجموعات الإثنية والطائفية، حيث قامت هذه المنظمات بتنظيم ندوات حوارية وعقد اجتماعات تنسيقية مع زعمائها، ونظمت برامج تدريبية لهم في دول عربية وغربية، فيما عمدت إيران إلى التغلغل في العراق من خلال إنشاء وتمويل الميليشيات الطائفية وإذكاء نيران العنف المجتمعي.⁽¹⁾ وأكد الباحث الأمريكي من أصل إيراني، ولـى نصر،

أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تبنت مبدأ "تمكين الأقليات" في العالم العربي منذ عام (2003م)، وربطت مصالحها بهم منذ ذلك الحين، معتبرة أن مفتاح التغيير في الشرق الأوسط ينبع من العراق الذي تم تغيير موازين القوى فيه بصورة "أكثر واقعية"

، حيث اضمحل دور الحركات العلمانية، واندرست معالم الأيديولوجيا والفكر، فيما أفرزت العمليات الانتخابية ممثلين عن الأعراق والطوائف بدلاً من منسوبي الأحزاب والحركات السياسية.⁽²⁾ وفي دراسة حول ارتباط المصالح الأمريكية بالأقليات؛ توقع الباحث الأمريكي، جيمس

(1) أبرز المنظمات الأمريكية التي تعمل في مجال دعم الديمقراطية بالشرق الأوسط: الوقف القومي للديمقراطية (NED)؛ وهي مؤسسة شبه رسمية، تأسست عام 1983م، وتهدف إلى تمويل المؤسسات الديمقراطية حول العالم دون الحاجة إلى الدعم الحكومي المباشر، والمعهد القومي الديمقراطي للشؤون الخارجية (NDI)؛ وهي مؤسسة غير ربحية يتم تمويل أنشطتها من قبل (NED)، والمعهد الجمهوري الدولي (IRI)؛ الذي يحصل على تمويله من قبل الوقف القومي للديمقراطية، ومبادرة الشراكة الشرق أوسطية (MEPI)؛ التي تعمل من خلال برامج تديرها وزارة الخارجية الأمريكية، والوكالة الأمريكية للتطوير الدولي (USAID).

(2) 24-Vali Nasr, "Regional Implications of the Shia Revival in Iraq," The Washington Quarterly, Summer (2004): 7 (2)

(1) James Leigh, "Shia Islam and Oil Geopolitics," Energy Bulletin, (23rd Dec. 2008).

(2) بحلول عام 2012م، بات مشهد العبث الغربي في الجغرافية العربية مائلاً للعنان، حيث شكلت "دول النيووات" التحدي الأكبر على هوية المنطقة العربية، والتي تمثلت في ثلاثة كيانات رئيسية هي: الكيان الصهيوني "إسرائيل" (تأسست عام 1948م)؛ يتركز على يهوديته، ويقوم على أسس نبوءاتية توراتية، والجمهورية "الإسلامية" الإيرانية (تأسست عام 1979م)؛ تقوم على عقيدة الانتظار ويرتكز نظام الحكم فيها على ولاية الفقيه الذي ينوب عن "الإمام الغائب"، ودولة جنوب السودان (تأسست عام 2012م)؛ تقوم على نبوءة مسيحية حول بطريك يبسط نفوذه في الشرق ويحارب أعداء المسيح اسمه «برستور جون» (أو القديس يوحنا)، وتم إنشاء هذا الكيان في تخوم الأمن القومي العربي الجنوبي.

السكانية أحد أبرز ملامح التحول الذي تشهده المنطقة العربية، وخاصة منها العراق.

ففي شهر نوفمبر، 2021م؛ قُدِّرَ تعداد سكان العراق بنحو: (41,190,658) نسمة، ما مثل أكبر تكديس سكاني عرفته العراق في تاريخها المدون، حيث تضاعف عدد السكان من نحو ثلاثة ملايين نسمة في إحصائية عام (1927م)، إلى أكثر من أربعين مليون، أي بزيادة قدرها (38) مليون نسمة في أقل من مائة عام،⁽²⁾

علمًا بأن جيلي: الألفية (مواليد الفترة 1980-2000م)، وما بعد الألفية (2000-2020م)، يمثلان الشريحة الأكبر بواقع (28) مليون نسمة من مجموعة سكان العراق اليوم، حيث يؤكد تقرير صادر عن "البنك الدولي" أن ما يقارب نصف شباب العراق هم دون سن (19) عامًا، وحوالي الثلث بين (15 و29) عامًا.

وتأتي هذه الزيادة، بالتزامن مع صدور تقرير اشتركت في إعداده: "منظمة الأغذية والزراعة" "الفاو"، مع "برنامج الأغذية العالمي"، و"البنك الدولي" (أبريل 2021م)، والذي توقع ارتفاع نسبة الفقر في العراق إلى (14) بالمئة، بحيث يضاف نحو (5,5) مليون إلى (6,9) مليون عراقي موجودون أصلًا على قائمة الفقر، حيث تضاعف معدل الفقر في العراق في العام (2020م)، وبات (40) في المئة

ضخمة فيما يتعلق بصيانة الهوية العربية الإسلامية من المخاطر التي تمثلها المعتقدات الأسطورية، وما يمكن أن تتسبب به إساءة فهم النصوص الدينية من إزهاق للأرواح وتشريد للشعوب وتدمير للبنى التحتية، وما يمكن أن ينتج عنها من مخاطر على هوية شعوب المنطقة، حيث أسفرت عملية التشكل غير الناضج نزاعات طائفية وإثنية وحروبًا أهلية مدمرة لم تتعافى المنطقة العربية من تبعاتها حتى اليوم،⁽¹⁾

ولا شك في أن الجيل القادم سيواجه خلال العقد المقبل تحديات كبيرة على مستوى نزع فتيل الفكر الراديكالي الذي يبشر به العديد من منظري اليمين الأمريكي المتطرف فيما يتعلق بحتمية الصراع الحضاري مع الإسلام، وما ينتج عنها من تعبئة سلبية وفكر عدائي يدعو إلى تقسيم المنطقة العربية تحت ذريعة "حماية الأقليات"، والتي عملت من خلالها على دعم عدد من الحركات الانفصالية التي ارتكبت جرائم التهجير القسري والتطهير العرقي، وأثارت الاحتقان الطائفي والمذهبي في المشرق العربي برمته.

• الهوية و"فجوة الأجيال"

وبالإضافة إلى تداعي الجمهوريات العربية، وتنامي النزعات الانفصالية؛ مثلت الزيادة

(1) تراوحت تقديرات خسائر العنف الطائفي الذي شهدته العراق في الفترة (2003-2009م) بين 250 ألف قتيل مدني، ونحو 601027 شخص وفق مجلة "لانسيت" الطبية، فيما فقد "الجيش العراقي" 9481 عنصرًا، وخسرت قوات التحالف في العراق 4718 قتيلًا من عناصرها.
(2) الجهاز المركزي للإحصاء التابع لهيئة التخطيط العراقية، تحديث بتاريخ 2021/11/23م، بواسطة، وكانت أول إحصائية قد أجريت في القرن الماضي عام 1927م، وبلغ تعداد سكان العراق آنذاك، 2968540 نسمة.

الأطفال الذين ينخرط منهم نحو مليون طفل في سوق العمل نتيجة حالة العوز التي تعاني منها العوائل الفقيرة. ولا تقتصر الإشكالية على معاناة الأجيال الشابة من البطالة والفقر واليتم، بل تمتد لتشمل إشكالية لا تقل خطورة عنها، وتتمثل في اضمحلال مفهوم "أبوية السلطة" وعدم انسجام الأجيال الجديدة مع مؤسسات الإدارة والحكم، التي فشلت فشلاً ذريعاً في غضون الحقبة الاتحادية المربرية.

وتنبع الأزمة من الفجوة الهائلة بين الأجيال اليوم، والتي يطلق عليها اسم "الفجوة الجيلية"، حيث تختلف آراء الجيل الحالي عن سابقيهم فيما يخص المعتقدات والسياسات والقيم، فيما يسهم التطور التكنولوجي في توسيع "الفجوة المعرفية"،

المتتمثلة في الفرق بين من يمكنهم العثور على المعلومات أو المعرفة وتكوينها ومعالجتها ونشرها، وبين العاجزين عن القيام بكل ذلك. يضاف إلى ذلك ما تمثله "الفجوة التقنية" بين جيلي الألفية وما بعدها عن الأجيال السابقة، والتي تتمثل في تنامي أدوات صناعة المعرفة والاستخدام الفعال لها، وتمثل الفارق الكبير بين الذين بمقدورهم استخدام الإنترنت نتيجة امتلاكهم المهارة اللازمة والقدرة، وبين الذين لا يستطيعون تحقيق ذلك.⁽¹⁾ وتبشر تلك الطفرة التقنية والمعرفية

من السكان البالغ عددهم (40) مليوناً، يعتبرون فقراء وفق البنك الدولي. وتعاني البلاد في هذه الأثناء من ارتفاع معدلات البطالة إلى مستويات غير مسبوقة منذ ثلاثة عقود، على الرغم من ثروة البلاد النفطية الضخمة التي يبدو أنها لم تسهم في تحسين مستوى معيشة العراقيين نتيجة لتفشي الفساد وسوء الإدارة ونقص الخدمات الأساسية، حيث كشفت الإحصاءات الصادرة عن "البنك الدولي" (سبتمبر 2021م) أن مستوى البطالة في العراق بلغ (13,7) بالمئة، وهو المعدل الأعلى منذ عام (1991م)، ما ينذر بتفاقم حالة سخط شعبي قد يقود إلى احتجاجات مماثلة للاحتجاجات العارمة التي اندلعت عام (2019م)، وأدخلت البلاد في أزمة كبيرة.

علماً بأن الشباب هم من بين الفئات الأكثر تضرراً من تراجع الاقتصاد وارتفاع مستوى البطالة، إذ يشير "البنك الدولي" إلى أن هذه الفئة شهدت ارتفاعاً ملموساً بلغ (36) في المئة؛ بسبب الأوضاع الاقتصادية المتأزمة وتداعيات الوضع الأمني.

ووفقاً لمنظمة "يونيسيف" (ديسمبر 2021م)، فإن عدد الأيتام في العراق بلغ خمسة ملايين يتيم، يمثلون نحو خمسة بالمئة من إجمالي الأيتام في العالم، الأمر الذي يعكس حجم الخسائر البشرية والمآسي الإنسانية التي خلفتها أعمال العنف على سكان البلاد، وخاصة شريحة

(1) يتمتع جيل الألفية في العراق بقابلية إلكترونية ضخمة، حيث بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العراق عام 2020م، أكثر من 30 مليون مستخدم، وتم تسجيل 11 مليون زيادة في عدد مستخدمي الإنترنت بين عامي 2019 و2020م.

اليوم، إذ قُدر عدد سكان العراق عام 1980م، بحوالي 13 مليون نسمة فقط. وتمثل الأدوات التي يمتلكها جيلي الألفية وما بعد الألفية، فرصًا واعدة لرأب الصدوعات المجتمعية التي أحدثتها الشروخات السياسية المريرة في القرن الماضي، حيث أُكسبت "الثورة الرقمية"، وما يصاحبها من تطور في الاتصالات والمعلومات، الأجيال الجديدة سمات مختلفة، كالاهتمام بالشأن العام، والتوجه نحو توظيف التقنيات المتاحة في إنتاج المادة الإعلامية والتأثير في الشأن العام، إذ إن نحو 85 بالمئة منهم يمتلكون هواتف ذكية، ونحو 93 بالمئة منهم يقومون بتحميل تطبيقات جديدة بصورة شهرية، ويفضلون التفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي على مشاهدة القنوات الفضائية وأجهزة التلفاز، ما يعني أن الدولة لم تعد تحتكر وسائل الإعلام كما كان الحال عليه في الفترة الممتدة ما بين ستينيات وثمانينيات القرن المنصرم. ونظرًا لما تمثله التحديات المرتبطة بتشكيل الهوية السياسية لهذين الجيلين، فإنه من المتعين العمل على القوى السياسية الرشيدة أن تبادر إلى صياغة مشروع حضاري يستوعب جميع عناصر المجتمع، ويشكل منظومة سياسية تصون الهويات المتعددة وتحمي أفرادها. وفي وقفة مراجعة للحركات والتيارات السياسية العراقية، يمكن ملاحظة تقوقع أغلبها في قوالب صلبة لا تتمتع بالمرونة التي تسمح لها بالاستجابة

بوجود فرصة مهمة لزيادة فاعلية الجيل العراقي الجديد، وذلك على نمط الجيل الذي ظهر في مطلع القرن العشرين ظهور جيل تميز بالحيوية والفاعلية، والذي كان له دور أساس في صيانة الهوية العربية ومقاومة الاستعمار الذي هيمن عقب انهيار الحكم العثماني، وأسهم في الحركات الثورية والمظاهرات الشعبية، ثم انخرط في بناء الكيانات السياسية التي ظهرت في مرحلة ما بعد الاستعمار. ولم يتمكن أبناء جيل ستينيات القرن المنصرم من تحقيق فاعلية سابقينهم، وذلك نتيجة للانقلابات التي أتاحت للعسكريين مجال الاستحواذ على مؤسسات الحكم المدني، وقمعت الحريات، وضيقت الممارسة السياسية، فيما هيمنت المؤسسات الأمنية والاستخباراتية على الحياة العامة، بحيث بات السجن أو النفي أو القتل مصير من يطالب بالإصلاح أو يعمل على تغيير الواقع بالسبل المشروعة. وأنتج ذلك المشهد الدموي حالة من الاستجابة الجماعية للقمع، إلى درجة إطلاق مسمى "الجيل الصامت" على جيل الفترة الممتدة ما بين ستينيات وثمانينيات القرن الماضي، حيث استخدم "الصمت" كاسم لذلك الجيل نتيجة عزوف الغالبية العظمى من أبنائه عن البوح بآرائهم، وإيثارهم البعد عن المشهد السياسي. ولا بد من الاعتراف بأن إدارة ذلك الجيل لم تكن بالمهمة الصعبة مقارنة بجيل

الاجتماعي"، التي ترى أن السلطة في حقيقتها هي عقد بين الدولة والمجتمع، وليست محض سلطة "إلهية" تحتكرها مرجعيات النجف وكربلاء.

وتتمثل الصيغة الأمثل لتحديد الهوية السياسية للجمهوريات العربية في جمع القواسم المشتركة لدى مختلف المجموعات السكانية، واستقراء نماذج الدول الشرقية التعددية (cosmopolitan) في مؤسسات الإدارة والحكم، وإضافة مفاهيم "إدارة التنوع" لاستيعاب العناصر الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية والإنسانية على حد سواء.

• معالم "معركة الهوية" في العقد الثالث من الألفية

على الرغم من أن العنصر الديني بات يستحوذ على معظم الجدل الدائر حول الهوية السياسية في مرحلة "الربيع العربي"، إلا أن الجمهوريات العربية المتداعية، وعلى رأسها العراق، تقف اليوم أما حزمة أكبر من التحديات فيما يتعلق بإعادة صياغة الهوية السياسية، أبرزها:

- 1 - الهوية الوطنية الجامعة وعلاقاتها مع مفهومي "الهويات المركبة" و"تعدد الهويات".
- 2 - الصراع بين السلطة والشعب فيما يتعلق بالهوية المركزية، مقابل سعي الفئات المجتمعية المتباينة لتعزيز هوياتها المنفصلة، والمطالبة بتقديرها واحترام خصوصيتها.
- 3 - سعي بعض القوى لإعادة صياغة

للتحولات، حيث يتقمص بعضها نمطاً من التشكل المنفصم عن الحراك الشعبي، ويتخذ مواقف سياسية متشددة تعزز حالة الريبة وتنمي مشاعر العداء تجاه أي فكر معارض، فيما تتصارع الهويات الفرعية عبر عصبويات ما دون الدولة (عشائرية، طائفية، مناطقية، ميلشياوية) لإنشاء مراكز قوة لها في السلطة.

وفي المقابل يتراجع، أداء التيار القومي الذي طالما دعا إلى صياغة هوية الجامعة عبر مفهوم "الدولة-الأمة" (Nation State)، على أسس قومية، خاصة وأن المشاريع القومية قد ارتكزت على الفكر القومي الذي فشل في تطوير مؤسسات الحكم الحديث.

وبناء على التجارب الفاشلة التي مُنيت بها العراق في الحقب: الملكية (1921-1958م)، والجمهورية (1958-2003م)، والاتحادية (2003-2021م)، فإنه من المهم تبني مشروع أكثر شمولاً، يقوم على استيعاب التحولات الديمغرافية والتقنية الكبرى، لتحقيق حوار مجتمعي يفضي إلى صياغة هوية جامعة تستوعب تلك المتغيرات،

حيث ترى بعض الدراسات الاستشرافية أن العنف المصاحب لمرحلة "الربيع العربي" (2011-2021م) سيدفع بالأجيال الشابة لإعادة صياغة هويتها فيما يعزز دور الفرد وحقوقه، ويدفع باتجاه تغليب العناصر الإنسانية في تحديد هوية الدولة وعلاقتها بالمجتمع، وذلك من خلال نظريات: "العقد

الدراسات الجادة فيما يتعلق بمعالجة مشكلات الهوية السياسية في المنطقة العربية ومستقبل الكيانات الجمهورية، حيث تنتج مراكز البحث الغربية دراسات تنطلق من منظور قاصر عن استيعاب المجتمعات العربية وبنيتها التعددية، ويخلط الباحثون الغربيون بين مفهوم "الدولة القومية" من جهة، والدولة "الإثنية" و"المذهبية" من جهة أخرى.

وسواء أكان ذلك الخلط متعمدًا أو أنه ناتج عن ضلالة في الرؤية لدى الباحثين الغربيين المُحدثين، إلا إنه بات من الضرورة بمكان التحذير من مخاطر العبث بمصائر ملايين البشر من خلال المحاولات الفاشلة لإقامة دول مستقلة على أساس مذهبي أو إثني، وقد حاولت فرنسا إنشاء منظومة من الدول الطائفية في سورية خلال الفترة 1920-1936م، إلا أن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

وفي مقابل هذه الأطروحات التفتيتية، لا بد من بذل جهود علمية أكبر لتقصي نماذج التشكل المنسجم مع التركيب المجتمعي في عالمنا العربي، وذلك من خلال المواءمة ما بين التحولات الديمغرافية والتقنية الكبرى التي تشهدها المنطقة، وبين التجارب الإسلامية الناجحة في استيعاب الهويات الفرعية ضمن الهوية الجامعة، وسبل استعادة الموروث التاريخي المتمثل في حماية الهويات الفرعية، وإيجاد آليات ناجعة لتنظيم العلاقة بين الأعراق والطوائف والأديان، وذلك من خلال استحداث

الهوية الوطنية الجامعة وفق رؤى فثوية لا تمثل سائر أبناء المجتمع، ومطالبة بعض المجموعات الإثنية والدينية والطائفية بالانفصال والفيدرالية والحكم الذاتي.

4 - العولمة السياسية، التي تدفع بعض الشباب لتقمص هويات بديلة يعتبرون أنها تمثل الرقي والتطور الحضاري في مقابل حالة التخلف التي تعيشها مجتمعاتهم، ونزوعهم للتخلي عن لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وتقمص هويات مجتمعات أخرى يعتبرونها أكثر تقدمًا.

5 - التعقيدات المجتمعية الناشئة عن الصراعات الدينية-المذهبية، والعنف الطائفي-الإثني.

6 - تنامي الأدوار العسكرية للميلشيات الطائفية والإثنية والعبارة للحدود في مرحلة تداعي الجيوش التقليدية، والمعارك بين المجموعات السكانية على أساس الهويات المتصارعة، وقيام بعض القوى الخارجية بتشكيل وتمويل وتسليح مجموعات إثنية. طائفية في المجتمعات العربية.

وفي خضم جدليات إعادة تشكّل الهوية العربية الحديثة، يفوت على السلطات السياسية الممعة في صراعاتها الجانية إدراك المخاطر الكامنة خلف أكبر حركة تحول ديمغرافي يشهدها تاريخ المنطقة، وما يمكن أن ينشأ لدى الأجيال الشابة من أحقاد دفينية قد تذكّي صراعات ضخمة نتيجة الإخفاق الذي تجر البلاد إليه. ويدفعنا ذلك للتأكيد على ضرورة تكثيف

الحديثه لملء الفراغ والخروج بأطروحات
جادة لمعالجة مشكلات الهوية في هذه
المرحلة الحرجة من التحول البنيوي.

مفهوم إدارة التنوع واستيعاب التعددية
بمختلف أنماطها.
ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تحفيز النخب

الانتخابات الأخيرة ومآلات الوضع في العراق

فالح الخطاب⁽¹⁾

يمتلك بأهداف ونوايا الاحتلال الدفينة التي صاغها بعناية قبل غزوه واحتلاله بلاد الرافدين بفترة طويلة ودرس كل أبعادها المتوقعة. حيث تم تشريع حزمة من الإجراءات السياسية والدستورية في أعقاب الاحتلال مباشرة، وبشكل متدرج يتناسب مع خطوات تفكيك الدولة العراقية وأركانها من جهة، وبين نشوء واستكمال نشوء قوى قديمة، كالميليشيات الكردية في شمال البلاد، أو إنشاء قوى أخرى بديلة، في غالبيتها ميليشياوية طائفية من لون واحد وتوجه واحد، كي تشكل العنوان الأبرز لما بات يسمى الآن " اللادولة " بكل أطيافها وعناوينها، وفي هذا السبيل تم فرض نظام الأمر الواقع المصنوع صناعة دقيقة الأبعاد على يد الاحتلال الأمريكي، وبموافقة منه وتنسيق مع أطراف إقليمية وعربية، تتفق وتختلف مع واشنطن في هذا الموضوع، أو ذاك ولكنها انصاعت للقرار الأمريكي ومخرجاته رغم تداعياته الخطيرة على

المشهد السياسي في العراق يبدو عميق التفكك وأقرب إلى الاهتراء، وبشكل تتعذر معه أي إمكانية لرأب الصدوع الكثيرة والمتنوعة التي شملت كافة الكتل والمحاور.

الوضع القائم الآن يبدو أقرب ما يكون لنظام تحكمه ضوابط ومحددات القوة أقرب منه لوضع سياسي يمكن الاحتكام إلى آلياته، أو الرجوع إليه كمرجعية سياسية تحكمها التفاهات والاتفاقات. فهناك انقسامات مستحكمة وعميقة بين كل القوى والأطراف المشتركة في العملية السياسية التي تأسست كإطار ومحور لكل القوى التي تتحكم في المشهد العراقي منذ غزو واحتلال العراق عام (2003م)، وإذا كان صحيحاً أن الانقسامات والاختلافات سمة من سمات أي عملية ديمقراطية تتناوب على الحكم في أي مكان في العالم، إلا أن ما يجري في العراق مسألة أخرى ترتدي الثوب الديمقراطي، لتخفي جسداً آخر

(1) باحث وكاتب عراقي.

منتخبة وعشوائية، من الغوغاء والعصابات والميليشيات ومجموعات الخارجين على القانون والإرهابيين، بالاعتداء السافر على ممتلكات الدولة ومؤسساتها، في دولة عريقة قديمة ذات سجل قضائي رفيع، وتقاليد اجتماعية اعتاد أهلها الاحتكام إليها واحترامها، حتى رغم وجود الفوارق والتوجهات الداخلية. لقد كان العدوان على الدولة والمجتمع والحضارة العراقية وتمكين الغوغاء وسفلة القوم وقوى الانحطاط، بمثابة الصفحة الثانية من العدوان والغزو والاحتلال.

ورغم السعي المحموم وطويل المدى لاحتلال العراق والذي تم تنفيذه على مراحل شملت العدوان العسكري الواسع النطاق، وما أعقبه من حصار غير إنساني وغير مسبوق في التاريخ، وما تخلله من حرب استنزاف حقيقية وتقطيع أوصال البلاد بخطوط غير شرعية ولا قانونية وصولاً للغزو والاحتلال، فإن واشنطن ولندن وعواصم أخرى بذلت أيضاً الكثير من الجهود من أجل ربط وتوحيد جهود من أطلقت عليهم في تلك الأوقات: "المعارضة العراقية"، إذ كانت تلك القوى عبارة عن مجموعات لا يربطها رابط، ولا توحيدها فكرة، ولا يجمعها عنوان، أو مبدأ. ولأن الوطن هو ما يجمع الناس، فإن انعدام الحس الوطني بشكل مطلق، أو شبه كامل داخل تلك المجموعات، أدى إلى تنافر الجميع من الجميع. المجموعات الانفصالية التي لم تكن

العراق والمنطقة ككل، ولا سيما العربية.

لقد سعت الولايات المتحدة وبريطانيا طويلاً من أجل احتلال العراق، وإحداث تغيير عميق وجذري لا يمكن العودة عنه بأي طريقة، وبشكل يحدث معه قطيعة كاملة مع ماضي العراق بكل أبعاده الاجتماعية، والتاريخية، والحضارية قبل السياسية، أو تلك المتعلقة بنمط نظام الحكم فيه.

ولا أدل على تخطيط الاحتلال لهذا الأمر من إصداره قانون "اجتثاث البعث" سيء الصيت الذي كان يحمل رمزية شديدة الوضوح لا تتعلق بحزب، أو سلطة، أو نظام، أو تيار محدد؛ بل كشفت نوايا الاحتلال في اجتثاث العراق نفسه، دولة وكيان، واقتطاعه من جذوره نهائياً وعلى طريقة الحل النهائي للنازية، وهو أمر لم يكن ممكناً التحقق منه في بدايات الاحتلال، رغم تراكم المؤشرات منذ البداية، ولا سيما قرار حل الجيش والأجهزة الأمنية الضرورية لضبط الأوضاع، وتثبيت الحقوق العامة للمجتمع العراقي، وتطبيق القانون في أي مكان، وصولاً إلى تفكيك الدولة ونهبها، واستباحة أموالها وأرصدها داخل العراق وخارجه، وهو تحديداً ما قامت به سلطة الاحتلال المباشرة ممثلة بـ "بول بريمر"، وهو أكبر مسؤول في تلك السلطة ورجل واشنطن في بغداد. وللتغطية على كل هذا سمحت سلطة الاحتلال بتنفيذ سابقة خطيرة، تمثلت في سماح قوات الاحتلال لمجموعات

لم يكن بالإمكان معها أن تهتدي لتوافق أو انسجام، وهي صراعات زادت سلطتها " اللادولة " المنفلتة من أي وازع، أو قانون ضراوة وقوة. كما عزز من حدثها مبدأ المحاصصة التدميري الفاسد الذي يوفر للجميع إمكانية الاستحواذ والسيطرة، وتملك أي ركن من أركان الدولة، وعدّه حصة لا تقبل المساومة بعيداً عن أي مسؤولية قانونية، أو أي إمكانية للمحاسبة في ظل فوضى مقصودة. المحاصصة تعزز لجوهر الاحتلال وتجسداً له باعتبارها احتلالاً لأشلاء العراق بعد تقطيعه وتوزيعه أجزاء لجسد ميت. كانت هذه هي حقيقة الوضع منذ سنوات الاحتلال الأولى وصولاً إلى اليوم حيث أبان الواقع عن معطيات ومخرجات أكثر تعبيراً عن الحسم والخطر..

• انتخابات مفصلية

رغم مرور بضعة أشهر على إجراء الانتخابات التي وصفت بالمبكرة في (أكتوبر/تشرين أول 2021م)، ورغم سرعة ظهور نتائجها النسبي، إلا أنه ظهر أيضاً أن الخلافات والمناكفات بين شركاء العملية السياسية المتشاكسين وصلت إلى مرحلة جديدة، وربما تكون غير مسبوقة. وتركزت الخلافات بشكل كبير داخل ما يسمى البيت الشيعي على تحديد الكتلة الأكبر في البرلمان الأمر الذي يستتبعه تكليف تلك الكتلة بتسمية رئيس جديد للحكومة. محوران يتنافسان على الادعاء بكونهما الكتلة الأكبر؛ المحور الأول: يتكون من

تؤمن بالعراق وطناً ولا تنظر إليه إلا باعتباره عائقاً أمام تطلعاتها الانفصالية في الانسلاخ عن العراق، وتلك القوى والمجموعات الطائفية التي هي أيضاً لا تؤمن بالعراق وطناً ولا تؤمن كذلك بالدولة وتقاليدها؛ لتخلف حضاري عميق يستحكم في نفسياتها وتراثها الفكري الطائفي العقيم الذي ليس للدولة فيه مكان، فضلاً عن أن تلك القوى الطائفية لم تكن تنظر إلى نفسها باعتبارها مجموعات عراقية ولكنها اعتبرت نفسها، ولا تزال مجرد قوى تابعة وموالية لدولة أخرى وتحديداً إيران رغم أنها دولة في حالة عداء للعراق بشكل شبه دائم.

في ظل هذا الخواء الوطني الكبير (وترسخ شعور) عدم الانتماء للعراق واعتباره دولة وحضارة ومؤسسات غنية حرب ليس إلا، تسلمت هذه القوى حكم العراق من قوات الاحتلال الأمريكي، وهو

هدف سعت إليه دول الاحتلال ورأت فيه الطريق المختصر والمضمون، كذلك، لإنهاء وتدمير الدولة العراقية وإنهاء وجودها بيد (أبنائها)، لتتم أكبر عملية تجريف منظم للعراق واستنزاف لكامل طاقاته وموارده وبما يعوق أي مسعى مستقبلي للتصحيح وإعادة البناء.

قوى "الأمر الواقع" التي تتناوب على حكم العراق لا يجمعها جامع ولا يربطها رابط، بل إنها تكن لبعضها البعض العداء والتنافس غير الأخلاقي، وهي منشغلة في سلسلة صراعات قديمة مستحكمة

بعيدة عن الدولة وتقاليدها ومفاهيمها بمسافة بعيدة جداً بقدر بعدها عن ممارسات الحكم الرشيد، أو على الأقل كونها تمارس قدراً أقل من الفساد والإفساد مما لا يتوفر في أي نظام حكم في العالم مهما بلغت درجة تخلفه، أو معايير تصنيفه السياسية؛ هذه الأحوال أنتجت -للأسف- مسارين متضادين ومتعاكسين. المسار الأول ويتمثل في جماعة " الإطار التنسيقي" الممسكين بقوة السلاح والمليشيات والأموال العامة والدعم الخارجي بمفاصل السلطة وأدواتها والتي تجسد هيمنتها على المشهد بكل الوسائل غير المشروعة وغير القانونية من إرهاب وتنكيل وجريمة منظمة. أما المسار الآخر فيتمثل في " التيار الصدري" الذي عزز مواقفه نتيجة الانتخابات الأخيرة فضلاً عن مشاركته في جزء من السلطة القائمة الحالية.

وتعتقد مجموعة "الإطار التنسيقي" أن درجة الانحطاط السياسي الذي بلغته العملية السياسية والنفق المظلم الذي يستقر فيه العراق يجعلها أكثر تشبهاً بالسلطة، وأكثر حرصاً على عدم التفريط بها وهي تستشعر بالفعل درجة الغليان التي بلغها المجتمع العراقي، والأهم ربما، درجة الاستعداد التي بات يعيشها العراقيون لقبول التغيير وقلب المعادلة السياسية رأساً على عقب. الإطار التنسيقي وفريق السلطة يدركون

"التيار الصدري" الذي دخل في تحالف مع كتلة "سنية وأخرى كردية". فيما يتكون المحور الآخر: من كتلة " الإطار التنسيقي" الذي يضم عدداً من الأحزاب والفصائل. وفي الوقت الذي توقع فيه المراقبون أن تنتج الأنظار لانبثاق حكومة تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأوضاع المتردية في العراق، ومعالجة سجل كبير من الخطايا التي ترتبت على سياسات كل الفرقاء في العملية السياسية منذ العام (2003م)، ولأسيما أولئك الذين يملكون دفة الحكم الحقيقية ويتحكمون بمفاصل ما تبقى من الدولة العراقية، إلا أن سلوك الكتل السياسية يبدو بعيداً جداً عن أي إمكانية للتصدي لمهمة معالجة الأخطاء والخطايا التي باتت متراكمة وباتت تهدد العراق على كل صعيد.

وبالضد من كل التصورات التي قد تراود العراقيين بخصوص إمكانية التصحيح والإنقاذ وسيادة حالة من الشعور بالمسؤولية الوطنية لدى الحاكمين، إلا أنه يبدو أن الحالة المتردية التي انتهت إليها العملية السياسية والمسار المظلم الذي يسير إليه العراق قد جعل الأمور تأخذ منحى أكثر سوداوية، وأكثر صعوبة في الركون إلى أي أوام في تحقيق انتقال ولو في الحد الأدنى من الحال الراهنة في العراق.

الأحوال الخطيرة التي بلغها العراق في ظل العملية السياسية الحالية، وفي ظل تحكم مجموعة من (السياسيين) لا تزال

ومطالبه، يستند هو الآخر إلى حقائق الوضع الراهن والتطورات السياسية التي يشهدها العراق. التيار الصدري ورغم مفارقة اشتراكه في السلطة، وإن بدرجات مختلفة، وفضلاً عن امتلاكه رصيذاً من المسؤوليات والمغانم من خلال نظام المحاصصة؛ إلا أن التيار حاول الظهور بوضعية المراقب وأحياناً المعارض للوضع القائم بل حاول تقديم نفسه، أحياناً، كتيار إصلاحي يهدف إلى التغيير وتصحيح المسار، وتدخل بالتالي بطريقته الخاصة في الكثير من مجريات الوقائع، وبطرق لم تكن إصلاحية في حقيقتها بقدر ما كانت توفيقية للحفاظ على سلطة الأمر الواقع وإنقاذها، وإنقاذ المذهب، من أزمات خانقة مرت بها تلك السلطة في مسيرتها المتعثرة بدماء وجثث العراقيين، فكانت تدخلات التيار، تدخلات تشبه مسك العصا من المنتصف، ولكنها في النهاية قدمت خدمات حقيقية للسلطة القائمة. التيار الصدري يستند على قاعدة واسعة من الدتباع الذين يتميزون بالطاعة والولاء غير المشروط، خصوصاً في بغداد العاصمة، وهذا بالطبع يوفر له ميزة أمنية وإستراتيجية بالغة الأهمية، كما يمتلك التيار أكثر من ميليشيا مسلحة. قوة التيار هذه تعززت بالفوز الانتخابي الذي خرج به في الانتخابات الأخيرة، واعتبار هذا الفوز خطوة مفصلية لا يجوز التراجع عنها تؤذن بدء صفحة جديدة تضمن له تقرير شكل وتوجهات الحكومة القادمة. مقتدى الصدر

ثورة تشرين الأولى، وقبل اغتيالها وحرف مسارها، كانت ثورة ضد النظام والعملية السياسية، بل ضد كل رموز تلك العملية بمن فيهم المرجعيات التي تستند إليها، وأن تلك الثورة كانت ارتداداً حقيقياً على فكر العملية السياسية ومركزاتها، ولا سيما الأسس الطائفية التي قامت عليها قرابة العقدين بهدف إحكام سيطرتها على السلطة؛

وهو ما برز في الشعارات الأولى للثورة قبل أن يتم وأدها واغتيال كوادرها وتصفية القوى المحركة لها من قبل أجهزة قمع العملية السياسية ومرجعياتها التي قررت أنه يجب وضع حدًا لتلك الثورة للحيلولة دون " انتقال الحكم للآخرين ". تجربة ثورة تشرين المغدورة والمعطيات الواقعية على أرض الواقع في العراق، وهي معطيات كارثية، باتت تدفع قوى الإطار التنسيقي إلى التمسك بقوة بتلابيب السلطة، وإشهار السلاح باعتباره الخيار الأخير والوحيد أيضاً في مواجهة أي تهديد للوضع القائم الذي يحفظ مصالح القوى والأحزاب الطائفية، ومصالح الاحتلال الخارجي الإيراني، والأمريكي، والإسرائيلي فضلاً عن قوى إقليمية وعربية، بعيداً جداً عن مصالح العراقيين.

ومن جهة أخرى فإن التيار الصدري الذي يعتقد بأحقيقته في الحكم بعد الانتخابات الأخيرة ويطالب بمنحه حق تسمية رئيس الوزراء وتشكيل حكومة وفقاً لتصوراته

• صراعات قديمة

تتصاعد مؤشرات النزاع بين التيار الصدري والإطار التنسيقي على خلفية نتائج الانتخابات الأخيرة، وتداعيات فوز التيار الصدري بالأغلبية النيابية التي تتيح له تشكيل الحكومة المقبلة في العراق، ورفض الإطار التنسيقي لتلك النتائج، خصوصاً مع إصرار زعيم التيار مقتدى الصدر على استبعاد ورفض مشاركة رئيس حزب الدعوة "نوري المالكي" في أي موقع حكومي ينتج عن التفاهات الممكنة بين الأطراف كافة. للوهلة الأولى يبدو أن ما يجري بين الأطراف الشيعية ليس إلا خلافاً عارضاً، أو خلاف الأمر الواقع الذي فرضته نتائج الانتخابات الأخيرة، وتغير ميزان القوى داخل ما يعرف بالبيت الشيعي. غير أن الموضوع يتعدى الخلاف الآني أو ذلك الذي يتعلق بنتائج انتخابية، أو توزيع حصص هنا أو هناك،

فما يدور حالياً بين هذه الأطراف وتحديداً بين التيار الصدري وحزب الدعوة ليس خلافاً على الغنائم والحصص، بل ولا حتى على الحكم، أو تشكيل الحكومة ذاتها؛ ولكن الأمر يتعلق بصراع حقيقي أقرب للحرب التي يتقاتل فيها طرفان معاديان لبعضهما البعض.

ورغم أن أغلب التحليلات تعتبر أن ما يجري ليس إلا نتيجة من نتائج الانتخابات وتداعياتها وتنافس الأطراف على الفوز بكعكة الحكم، إلا أن نظرة متعمقة فيما يجري، وما جرى من قبل، قد

زعيم التيار الصدري يدرك جيداً أن الأمور وصلت إلى مرحلة اللاعودة في محاولة حسم ما كان مؤجلاً في الصراع المزمع مع أحزاب الإطار التي لا يجمعها بالتيار إلا "التشيع" و"حكم المذهب". ويعزز من قناعة الصدر بضرورة الحسم الدنهيار الكامل لكل مقومات الأوضاع في العراق، ووصول البلاد إلى النقطة الحرجة التي يمكن بعدها أن تعصف بالجميع وتطيح بالعملية السياسية أيضاً. وبالنسبة للإطار التنسيقي فإن الأوضاع المتدهورة واحتمالات تداعياتها الخطيرة باتت تشكل دافعاً جوهرياً للتشبث بالحكم والمواجهة والعنف المطلق، ولا سيما في ظل دفع إيراني شديد في هذا الاتجاه خوفاً من انقراط عقد الهيمنة والنفوذ الإيراني الممتد في الأحشاء الداخلية الحيوية للمنطقة، ومنها إلى أجزاء حساسة أخرى تشمل أساساً الخليج، وهي هيمنة ونفوذ لحمتها وسداها العراق ولا شيء غير العراق. حالة الانهيار القائمة على كل صعيد واحتمالات انهيار الوضع القائم، وهو وضع يستند أساساً وبالكامل إلى قوة الميليشيات المسلحة والحضور الكامل للقوى الأجنبية وفي غياب جيش وطني؛ هي ذاتها الدافع للتيار الصدري للمواجهة لأسباب قد تتقدم على مجرد الحكم، أو حماية المذهب كما يردد الصدر دائماً لتشمل، تلك الأسباب أيضاً، تأريخاً طويلاً من عدم الثقة والتنافس على القيادة داخل التشيع.

"الحوزة الناطقة"، تمييزاً لها عن "الحوزة الصامتة" في إشارة إلى حوزة النجف. في تلك الفترة بدأ الصدر الثاني حركة واسعة وسط الشيعة في وسط وجنوب العراق، بهدف إشهار نفسه كمرجعية بديلة عن مرجعية النجف. وتجلت تلك الحركة في إقامة صلاة الجمعة والتوسع من خلالها في إقامة نشاطات كانت تستهدف تجميع الأنصار وتنظيم الصفوف من خلال المدى المسموح به في ذلك الوقت. "لقد أقر الصدر الثاني صلاة الجمعة فقهياً وميدانياً وعمل بها في ظروف عراقية داخلية قاهرة، ولم يأت هذا الاقرار فورياً، مع تصدي السيد محمد صادق الصدر للمرجعية بل إنه جاء بعد جهد تمهيدي كبير، وبعد تأسيس جهازه المرجعي وما يحتاج من وكلاء ووسائل إعلام مطبوعة"⁽¹⁾. ورغم أن أوساطاً شيعية تُعدّ أن تحرك الصدر الثاني كان تحركاً مدعوماً بتأييد السلطات في ذلك الوقت، بهدف خلق بديل مرجعي ينافس مرجعية النجف، أو يخلق بديلاً عنها، إلا أن تحرك الصدر بدا تحركاً ذاتياً سعى من خلاله إلى إيجاد قاعدة كبيرة مؤيدة له تدعم توجهه لتأسيس مرجعية "ناطقية" تستبدل المرجعية التقليدية إذ رأى أن (على المرجع أن لا يجلس في قصر ويسكت كالصنم فعليه التفاعل مع الشارع ومعرفة هموم الناس)⁽²⁾. وسواء كانت السلطات الحكومية قد دعمت

تقدم تفسيرات أخرى تماماً لهذا الصراع المحتدم والذي قد يتطور في اتجاهات لا يمكن التنبؤ بها في حال من الأحوال. كما أن تلك التحليلات تستند في تبسيط وتهوين درجة الصراع واعتباره مجرد خلاف فرضته الانتخابات أو التنافس على الحكم، إلى اعتبارين: يتعلق الأول بكون كل تلك الأطراف شيعية وعلى درجة عالية من الالتزام بهذا الانتماء، أما الاعتبار الثاني فيتعلق بطبيعة العلاقة التي تربط تلك القوى بإيران، وهي علاقة ليست فقط ولائية، كما يطلق عليها، بل هي علاقة رضوخ كامل للقرار الإيراني وإلى الحد الذي لا يمكن معه الخروج عن السياسات الإيرانية أو حتى الاجتهاد في تنفيذها.

يقدم تاريخ العلاقة بين أطراف الصراع الحالي تفسيراً أكثر واقعية لما يجري وما يمكن أن تؤول إليه تطورات المشهد الراهن في العراق. العلاقات الصعبة التي توطر واقع الحال بين التيار الصدري والأطراف الشيعية الأخرى الآن، تستند إلى وقائع الحركة التي بدأها "محمد محمد صادق الصدر"،

وهو والد "مقتدى الصدر"، والذي ستتم الإشارة إليه بالصدر الثاني تمييزاً له عن الصدر الأول "محمد باقر الصدر" الذي تم إعدامه في بداية ثمانينات القرن الماضي، بدأ حركته في العقد التسعيني، وهي الحركة التي كانت تستهدف تأسيس مرجعية أخرى اصطلح على تسميتها

(1) عادل رؤوف، مرجعية الميدان محمد محمد صادق الصدر، (دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، 2003م) ص 152.

(2) السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (3) في 4 محرم 1419 هـ الموافق 1998/5/1م. نقله صالح عباس ناصر حسون الطائي، الدور السياسي للسيد محمد محمد صادق الصدر في تاريخ العراق المعاصر (1991-1999م) مجلة أهل البيت عليهم السلام العدد 20.

مشروعه الخاص بديلاً عن مشروع الحوزة النجفية التقليدي، خصوصاً أنه اعتبر أن الأوضاع ملائمة جداً للتحرك في وقت بدت فيه الدولة العراقية في وضع الدفاع أكثر منها في وضع الهجوم. وفي الوقت الذي كان الصدر الثاني يمارس نشاطاته وتحركاته مستفيداً من ستار "التقية" المعروفة في أوساط المذهب، إلا أنه كان أقل تقية في مواجهته للمؤسسة الحوزوية والتحذير من منهجها التقليدي (فإذا كان الطريق إلى التكامل والوحدة والانسجام، لا يأتي عبر المناهج المباشرة فعندئذ سنكتشف أن الخطاب (المتوتر) إزاء الفقهاء (الساكتين)، وأن انقسام الشارع العراقي حول (المرجعية)، وأن جهود الإصلاح للحوزة ستصبح شرطاً ضرورياً للوصول إلى تأسيس المشروع التغيير السليم؛ لإنجاز وحدة حقيقية، وتكامل حقيقي، ومن هنا يقدم لنا الصدر الثاني منهجاً عملياً للوصول إلى هذا التكامل، وهو: منهج الجدل الداخلي لا من أجل الجدل الداخلي بذاته إنما من أجل الوصول إلى الأهداف الكبرى⁽³⁾.

كان لحركة الصدر الثاني تأثيراً كبيراً في قسم كبير من الوسط الشيعي، وهو تأثير لم تظهر نتائجه إلا بعد احتلال العراق مع بروز التيار الصدري الذي يقوده مقتدى الصدر. ومنذ البداية تمترس التيار خلف قوة ميليشياته المسلحة، كما هو شأن الميليشيات الشيعية

بالفعل، أو غضت النظر عن تحركات الصدر الثاني في إطار إدارتها للوضع الصعب الذي كان يعيشه العراق في النصف الثاني من العقد التسعيني خصوصاً مع تفاقم آثار الحصار اجتماعياً وتوسع حرب الاستنزاف شبه اليومية.

كان العراق في العقد التسعيني قد شهد أوضاعاً صعبة في الداخل أو في جواره القريب، وهي أوضاع هددت الأمن الداخلي، خصوصاً بعد أزمة الكويت والعدوان الثلاثيني الذي استهدف العراق بكل مقوماته، وضاعف من تداعياته الحصار الذي كان يستثير مكامن الغضب في أوساط العراقيين بهدف إحداث تمرد داخلي لقلب الأوضاع في البلاد. كانت الظروف الداخلية مرصودة بدقة كبيرة من القوى الدولية والإقليمية؛ التي كانت تنتظر تحركاً واسعاً يستهدف الإطاحة بالحكم نتيجة تفاقم الأوضاع المعيشية التي أعقبت حربين حقيقيتين. في تلك الظروف بدا للصدر الثاني أن هناك حاجة للتحرك والاستفادة من مآلات الأحداث الكبرى التي وقعت، ولإسيما بعد التمرد واسع النطاق الذي شهدته مناطق كثيرة في العراق شمالاً وجنوباً بعد وقف إطلاق النار في العدوان الثلاثيني. في تلك الفترة عَدَّ الصدر الثاني أن موقف مرجعية النجف من ذلك التمرد لم يكن بالمستوى المطلوب، وأن المرجعية لم تتفاعل بقوة مع ما جرى، وهو الأمر الذي دعا له بدء

(3) صالح عباس ناصر حسون الطائي، الدور السياسي للسيد محمد صادق الصدر في تاريخ العراق المعاصر (1991-1999م) مجلة أهل البيت عليهم السلام العدد 20.

"فيلق القدس" وغيره من تشكيلات، بالطبع ينطبق هذا الأمر، بدرجات متفاوتة على بقية الميليشيات، خصوصاً فيما يتعلق بدعم الحوزة ومصادر القوة. "التيار الصدري" بدوره استمد شرعيته الشيعية في الماضي، ويستمدّها الآن من ذلك النسب العائلي، الذي يحتكر اسم وتاريخ آل الصدر ابتداءً من "موسى الصدر"، وحتى "محمد محمد صادق الصدر"، مروراً "بمحمد باقر الصدر"، بعيداً عن الحوزة وربما على الضد منها. أما قوة التيار فتأتي من مصدرين: أحدهما: خارجي وتحديداً من إيران، والمصدر الآخر: داخلي يتمثل في تياره الكبير، بحكم الكثافة السكانية من جهة، وطبيعة أتباعه البسيطة جداً في كل المجالات، وهي طبيعة توفر نوعاً من الولاء الشديد والتعصب الصنمي من جهة ثانية. هذه المعادلات المعيارية ستفرض بالضرورة تقييمها الخاص على مآلات كل من "التيار" و"الإطار" خصوصاً ركنه الأقوى، أي: حزب الدعوة، وتقدم تفسيراً لبعض ما يجري، أو ما سيجري في قابل الأيام.

التطورات داخل الكيان الشيعي لا تعكس صراعاً انتخابياً قدر ما تعكس تأريخاً من المواجهة غير المرئية بين تيارين وفكرين وحالتين، لم تسمح ظروف التشيع ولا العراق بإبراز الانقسام الحقيقي بينهما إلا الآن.

الأخرى، فكان بروز جيش المهدي الذي سفك الكثير من الدماء وتوسل بالعنف لتقرير وجوده وفرض سيطرته على أجزاء واسعة من المناطق العراقية. واليوم وبعد تداعيات النتائج الانتخابية تبرز التناقضات التاريخية واضحة بين توجهين شيعيين، يقود التوجه الأول "حزب الدعوة" من خلال قيادته للإطار التنسيقي، فيما يقود الثاني "التيار الصدري". معياران يتحكمان في العلاقة القائمة بين التيار وحزب الدعوة أو الإطار وهما: (معيار القوة)، و(معيار الشرعية) والمقصود بها: الشرعية المذهبية داخل الوسط الشيعي، ولكنها بالتأكيد ليس لها علاقة بالشرعية الوطنية العراقية.

ففي الوقت الذي يستمد "حزب الدعوة" شرعيته الشيعية المذهبية من مصدرين، يتمثل أولاهما: من دعم حوزة النجف، وتوفيرها الغطاء الكامل لدوره وسياساته وكامل سجله في الحكم، فيما يتمثل المصدر الثاني: من تاريخية تأسيس واحتضان الصدر الأول (محمد باقر الصدر) للحزب في فترة من الفترات.

أما قوة الحزب فقد تكرست من مصدرين خارجيين: المصدر الأول: الغزو الأمريكي إذ قامت قوات الاحتلال بتعبيد الطريق للحزب من أجل الوصول لحكم العراق في فترة حرجية جداً وحاسمة، فيما كان مصدر القوة الخارجي الثاني: تأييد إيران ودعمها المطلق عسكرياً وأمنياً، وللاسيما ذلك الدور الذي قام به حرسها الثوري، وتحديداً

• الخلاصة :

نتائج الانتخابات الأخيرة وحدها لا يمكنها حسم الأمر في العراق. إذ أن هناك التدخل الإيراني وهو تدخل يستند إلى: تأييد شيعي داخلي يتمثل في الميليشيات، وحوزة النجف، وسائر المؤسسات الشيعية التي تجسدت واقعاً من خلال العملية السياسية بعد العام (2003م).

تحاول إيران إعادة عقارب الساعة للوراء وذلك بالرجوع إلى نموذج انتخابات عام (2010 م) التي انتهت بمعادلة من طرفين: الكتلة الشيعية بكل فصائلها والتي كان يتقدمها نوري المالكي، والأخرى التي كان على رأسها إياد علاوي، وهو (شيعي) منزوع الدسم، ويعّد في نظر جماعة إيران من بقايا البعث، أو له توجهات قد لا تنسجم تماماً مع إملاءات ولاية الفقيه، رغم أنه ربيب المخابرات الأجنبية في مواجهة العراق، كبقية أطراف العملية السياسية الذين حاربوا وواجهوا العراق واختارهم الاحتلال الأمريكي لحكمه بعد غزو واحتلال العراق. ما أفسل المسعى الإيراني حتى الآن في محاولة إعادة تجربة العام (2010م)، هو: تغير المشهد تماماً باختلاف طرفي المعادلة إذ تراجع الدور الإيراني نتيجة غياب قاسم سليمان، وقوة حضوره على أطراف العملية السياسية وإدارته للمشهد العراقي بالكلية من جهة، ومن جهة أخرى تفسخ أركان "البيت الشيعي" وانهيار أعمدته مع بروز وتقدم "التيار

الصدري" وفوزه وتنامي قوته، وهي أهم من فوزه الانتخابي، على حساب بقية أركان ذلك البيت الطائفي الذي استجمع قوته وبنى أركانه من عوامل الاحتلال، والاستنفار الطائفي التي كان لها قوة الفعل في المجتمع الشيعي العراقي منذ العام (2003م) حتى انهيار الوضع، وتصعد البيت الشيعي بسبب فشل العملية السياسية من جهة، وغياب خطر (الآخر) فضلاً عن تعددية القوة داخل الطائفة، وانتقال البعد الإستراتيجي من الدفاع عنها في وجه (الآخر) إلى حق تمثيلها.

إن ضмор النفوذ الإيراني يقابله أيضاً ضмор بعضاً من أدواتها في العراق، وتفسخ المفهوم الطائفي بجملته في العراق بعد أن فقد بريقه داخل الطائفة، وإن لم ينته تماماً بعد؛ لأكثر من عامل إلى الدخول في مرحلة القتال داخل التشيع بعد أن كان خارجها.

الوضع الجديد أفرز معادلة جديدة تواجه إيران والشيعية لأول مرة منذ العام (2003م). ذلك أن الأطراف الشيعية باتوا الآن يحتاجون ليس فقط للدعم الإيراني التقليدي، ولكن لوساطة العرب السنة والكرد من أجل إقناع طرف شيعي للقبول بأطراف شيعية أخرى. وينطبق الأمر على إيران أيضاً حيث أنها تستشعر بروز معادلات جديدة تحتاج إلى معالجات جديدة قد لا تكون ممكنة لأكثر من سبب ذاتي وموضوعي.

العراق..

وفي سعيه للانفراد بالحكم لا يبدو أن الصدر خائفاً من شركاء الحكم (السنة) والأكراد؛ لأنه متأكد من عدم إمكانية تحالفهم ضده في أي تحرك مستقبلي. كما لا يبدو أن التهديد المبطن بتحصيل الصدر مسؤولية أي فشل في الأداء الحكومي من شأنه أن يمنعه من المضي قدماً في طريقه، وهو ما يؤكد أن الأمور لم تعد تحتل المزيد من الانتظار، خصوصاً أن الأوضاع الداخلية قد انحدرت في كافة المجالات وبشكل يؤدي إلى كافة الاحتمالات الخطيرة على كل الفرقاء.

تكمُن خصوصية تيار الصدر النسبية في أنه ورغم تصنيفه ضمن الولاء لـ إيران، إلا أن له كتلة جاذبة بسبب ارتكازه على موروثة آل الصدر كما أنه يسيطر عملياً على بغداد. ووفقاً لاعتبارات عملية فإن الصدر هو آخر ورقة عند دعاة العملية السياسية وضامنيها.

وفي المحصلة النهائية لا توجد آفاق للخروج من الوضع الحالي، ولا سيما في غياب جيش وطني وقوات مسلحة وطنية تستطيع إنقاذ البلاد، كما لا تتوفر احتمالات لأي تدخل دولي أو إقليمي، إلا ذلك الذي يقوم بتكريس واقع العملية السياسية الحالية التي تركز على قاعدة بالغة السوء؛ تتجسد في استيعاب الجميع وفقاً لنظام حصص غير عادل وخبث. مقابل إعفاء الجميع من أي مسؤولية عن الخراب الشامل على كل صعيد، فلا

وقد يبدو الصراع متمركزاً الآن حول شخصيتين في الإطار الشيعي هما: مقتدى الصدر، ونوري المالكي، إذ يرفض الأول أي تفاهم، أو تعاون مع الأخير في ذات الوقت الذي يحاول فيه جذب أطراف من حلفاء المالكي للدخول والمشاركة في حكومته المززع تشكيلها إذا تم تكليف تياره بذلك. حتى الآن لا يبدو أن حلفاء المالكي بصدد الابتعاد عنه أو بيعه لصالح الصدر. وكان حزب الدعوة أعاد انتخاب المالكي رئيساً له في الخامس عشر من كانون الثاني الماضي، ما عزز من موقعه في تحالف دولة القانون الذي حصل على (38) مقعداً في البرلمان، وسائر حلفائه مقابل تيار الصدر. غير أن هذا جزء من التفسير وليس كله بخصوص موقع المالكي في حزب الدعوة وأثر ذلك في المعادلة الشيعية برمتها. ذلك أن الموضوع يتخطى شخصية المالكي؛ لأبعاد أكثر خطورة فيما يتعلق بمستقبل كل حلفائه أمام تيار الصدر، وهم حلفاء يعرفون أن نهاية المالكي قد تكون نهاية لحزب الدعوة ذاته، وهي مقدمة لنهاية كل أطراف التحالف الآخرين؛ باعتبار أن حزب الدعوة له ثقل (تاريخي) يستطيعون الوقوف خلفه، والاستقواء به في مواجهة تيار الصدر الصاعد بقوة في الوسط الشيعي.

ما يقوم به الصدر قد يكون محاولة لإنقاذ التشيع والمذهب، وهو يقدم نفسه باعتباره الأمل الأخير للشيعية في حكم

المقاطعة شبه الجماعية للعراقيين للانتخابات، ويدركون أيضًا أن النتائج التي حصلوا عليها لا تمثل بأي حال الرغبة الحقيقية للشعب العراقي، فضلًا عن السجل السيئ للجميع، فائزون، وخاسرون في الأداء العام والمسؤولية الكاملة التي يتحملها كل المشاركين في العملية السياسية، خصوصًا أصحاب القرار فيهم.

كما يدرك معظم العراقيين أن الأمل مفقود في أن تؤول نتائج تشكيل أي حكومة إلى تغييرات حقيقية، دع عنك كونها جذرية، على أي صعيد سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي خصوصًا في إطار العملية السياسية التي تستمد قوتها من ارتهان الجميع لها كما ارتهانها للجميع في تبادل مصالح غير مشروع، فأس الفساد وجذره ينبثق من طبيعة هذه العملية التي رسمت المدخلات التي قادت، وتقود إلى المخرجات الحالية.

يوجد أحد يمكن تحميله مسؤولية ما يجري من تخريب علني رغم كثرة الفاعلين والمشاركين وبشكل علني، وهو أمر بالغ الغرابة لولا أنها العملية السياسية التي تم تفصيلها على قدر عالٍ من التخطيط الماكر من الاحتلال.

إن الأطراف التي تسيطر على العملية السياسية شديدة الحرص على مكاسبها التي لا تريد التفريط بها، رغم إدراكها أن موازين القوة باتت متغيرة وأن استحقاق تغير المعادلات بات يفرض نفسه.

ومما يعزز نوازع الخلاف بين تلك الأطراف استبعاد وجود أي تهديد مباشر للعملية السياسية، أو لطرف (خارجي)، وتحديدًا من خارج البيت الشيعي الذي بات ممسكًا بمفاصل الوضع وانتقل إلى تحقيق الهيمنة الكاملة، لولا أن هذا الوضع سيفجر بدوره مكامن الخلاف على القيادة والغنائم ويقود لتفجير الوضع القائم. إن الجميع يدرك، الخاسرين والفائزين، أنهم يفتقدون للشرعية الحقيقية بسبب

إحياء الاتفاق حول برنامج إيران النووي، الفرص والتحديات

وسام الدين العكلة⁽¹⁾

سمحت الصفقة لإيران بمواصلة تخصيب اليورانيوم، وبمرور الوقت الوصول إلى حافة الانهيار النووي. لقد رفعت الصفقة العقوبات الاقتصادية على إيران في مقابل قيود ضعيفة للغاية على النشاط النووي للنظام، ولا حدود على الإطلاق لسلوكه الخبيث الآخر،

بما في ذلك أنشطته الشريرة في سوريا واليمن وأماكن أخرى في جميع أنحاء العالم. لقد أعطت هذه الصفقة الكارثية هذا النظام العديد من مليارات الدولارات، كان يمكن بسهولة إبرام صفقة بنائه في ذلك الوقت، لكنها لم تكن كذلك⁽²⁾. بناءً على هذه الأسباب وأسباب أخرى أعلن "ترامب" في شهر أيار/مايو (2018م) انسحاب بلاده الفعلي من الاتفاق النووي وإعادة فرض عدة حزم

لا يزال ملف برنامج إيران النووي يشكل أحد القضايا الشائكة على الصعيد الدولي في إطار الجهود التي تبذلها القوى الرئيسة لحظر الانتشار النووي، وبالرغم من التوصل إلى اتفاق لطي هذا الملف منذ عام (2015م) أطلق عليه اسم "خطة العمل الشاملة المشتركة" وحظي بمباركة دولية واسعة، إلا أن الإدارة الأمريكية السابقة بقيادة "دونالد ترامب" أعلنت انسحابها منه عام (2018م) واصفةً إياه بالفضيع و الكارثي، إذ أشار "ترامب" في معرض ملاحظاته التي أرسلها إلى الكونغرس الأمريكي حول الاتفاق النووي مع إيران، إلى أنه (كان من المفترض أن يحمي ما يسمى بـ "صفقة إيران" الولايات المتحدة وحلفائنا من جنون القنبلة النووية الإيرانية، في الواقع

(1) أستاذ القانون الدولي في جامعة ماردين أرتوكلو التركية.

(2) Remarks by President Trump on the Joint Comprehensive Plan of Action, FOREIGN POLICY, Issued on: May 8, 2018.

الوكالة الدولية للطاقة الذرية لم تكن طرفاً في الاتفاق فقد وقعت مع إيران في نفس اليوم وثيقة تتضمن "خريطة طريق لتوضيح المسائل العالقة الماضية والراهنة بشأن برنامج إيران النووي"⁽¹⁾. وبموجب هذه الخريطة التي وقعها كل من المدير العام السابق للوكالة الدولية "يوكيا أمانو"، ورئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية "علي أكبر صالحى"، اتفقت الوكالة مع إيران على تعزيز الحوار والتعاون بهدف حل جميع القضايا العالقة الماضية، والراهنة التي لم يتم حلها بعد بحلول نهاية عام (2015م).

تم توقيع خطة العمل الشاملة المشتركة في فيينا في (14 تموز/يوليو 2015م)، وتعتمد هذه الخطة على تنفيذ خطة العمل المشتركة المتفق عليها في جنيف في (24 تشرين الثاني/نوفمبر 2013م). تتألف الخطة من تمهيد وديباجة وأحكام عامة والبنود الأساسية (37) بنداً أساسياً وخمسة ملاحق تعدّ جزءاً لا يتجزأ من الخطة.

وجاء في ديباجة الخطة أنها ستضمن أن برنامج إيران النووي سيكون سلمياً حصرياً، وستمثل تحولاً أساسياً في نهج إيران النووي، وتوقع الأطراف المشاركون في هذه الخطة، مجموعة (E3/EU+3) وهم كل من (الولايات المتحدة، المملكة

من العقوبات طالت مؤسسات وشركات ومرافق حيوية إيرانية بما فيها منع إيران من تصدير النفط، الأمر الذي واجهته إيران بمجموعة خطوات تصعيدية تضمنت تخفيض التزاماتها التي سبق أن تعهدت بها في خطة العمل الشاملة المشتركة.

• تسلسل تاريخي

في (24 تشرين الثاني/نوفمبر 2013م)، وقع اتفاق نووي مؤقت بين مجموعة (1+5) وإيران في جنيف لمدة ستة أشهر سُمي "اتفاق جنيف الابتدائي"، وافق الأطراف فيه على خطة سميت "خطة العمل المشتركة". ونص الاتفاق: على تجميد قصير المدى للبرنامج النووي الإيراني في مقابل تخفيض للعقوبات الاقتصادية المفروضة على طهران، بينما تعمل البلدان الموقعة على اتفاق آخر طويل الأجل. وجاء هذا الاتفاق ليحقق انفراجاً في أزمة مستمرة لعدة سنوات بين إيران والدول الغربية حول البرنامج النووي الإيراني، وهو الاتفاق الرسمي الأول بين إيران والولايات المتحدة منذ (34) عاماً، وقد دخل حيز التنفيذ في (20 كانون الثاني/يناير 2014م).

وفي (14 تموز/يوليو 2015 م)، تم الإعلان عن الاتفاق النووي الإيراني بصيغته النهائية، وأطلق عليه اسم "خطة العمل الشاملة المشتركة". ولأن

(1) IAEA, Board of Governors, Road-map for the Clarification of Past and Present Outstanding Issues regarding Iran's Nuclear Program, GOV/INF/201514/, on 14 July 2015.

تسوية الملف النووي الإيراني من خلال وصفه الاتفاق على أنه "فضيع وكارثي".

وقد فرضت إدارة "ترامب" عددًا من الإجراءات العقابية ضد إيران حتى قبل الانسحاب من الاتفاق النووي، ومنها على سبيل المثال توقيع عقوبات على الحكومة الإيرانية والحزب على عقارات مملوكة لها وذلك على خلفية برنامجها الصاروخي الباليستي وسياساتها في المنطقة والتي عدتها إدارة "ترامب" تهديدًا للأمن الإقليمي والعالمي.

وفي (الثامن من أيار/مايو 2018 م) أعلن "ترامب" انسحاب بلاده الفعلي من الاتفاق النووي، وفي (21 أيار/مايو 2018 م) أعلن وزير الخارجية الأمريكية السابق "مايك بومبيو"، إستراتيجية جديدة لبلاده تجاه إيران تضمنت (12) شرطًا للتوصل إلى اتفاق جديد معها منها ضرورة أن تقدم إيران للوكالة الدولية للطاقة الذرية سجلًا كاملًا للأبعاد العسكرية السابقة لبرنامجها النووي، وأن تتخلى عن هذا العمل إلى الأبد وبشكل دائم، إلى جانب وقف تخصيب اليورانيوم وعدم متابعة معالجة البلوتونيوم، وإغلاق مفاعل الماء الثقيل في "آراك"، وأن توفر للوكالة الدولية وصولًا غير مشروط إلى جميع المواقع في جميع أنحاء البلاد، وإنهاء نشرها للصواريخ الباليستية، وإنهاء دعمها للجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط،

المتحدة، فرنسا، ألمانيا، روسيا، الصين، الممثل السامي للاتحاد الأوروبي الشؤون الخارجية وسياسات الأمن) بالإضافة إلى إيران أن يساهم التنفيذ الكامل لهذه الخطة بشكل إيجابي في السلام والأمن الإقليميين والدوليين.

وفي (20 تموز/يوليو 2015 م)، اتخذ مجلس الأمن بالإجماع القرار (2231/2015 م) الذي أيد فيه خطة العمل الشاملة المشتركة. وأكد المجلس على أن إبرام خطة العمل يشكل منعطفًا رئيسًا على مسار نظره في المسألة النووية الإيرانية. وأعرب عن رغبته في إقامة علاقة جديدة مع إيران معززة بتنفيذ خطة العمل، وفي اختتام نظره في هذه المسألة بصورة مُرضية⁽¹⁾.

وفور الإعلان رسميًا عن التوصل إلى اتفاق نهائي مع إيران تسارعت ردود الفعل الدولية والإقليمية، وقال الرئيس الأمريكي الأسبق "باراك أوباما" إن الاتفاق "يقطع أي طريق أمام إيران للحصول على أسلحة نووية"، في حين وصف نظيره الرئيس الإيراني السابق "حسن روحاني"، الاتفاق بأنه يفتح "فصلًا جديدًا" في علاقات إيران مع العالم.

وفي ظل إدارة الرئيس السابق "دونالد ترامب" تغيرت الأوضاع وأصبح الاتفاق النووي على المحك، حيث أبدى "ترامب" رأيًا مناقضًا تمامًا لرؤية إدارة "أوباما" حول

(1) S/RES/2231 (2015).

"روحاني" الأوروبيين (60) يومًا لتنفيذ تعهداتهم، وفي نفس اليوم، (8 أيار/مايو 2019م)، أعلنت إيران أنها بدأت المرحلة الأولى من تخفيض التزاماتها التي سبق أن تعهدت بها في خطة العمل الشاملة المشتركة ردًا على انسحاب الولايات المتحدة منها، وشملت هذه المرحلة عدم الالتزام بكمية اليورانيوم المخصب بنسبة (3,67%)، وتجاوز المخزون من اليورانيوم (300) كيلوغرامًا، بالإضافة لعدم الالتزام بمخزون الماء الثقيل تحت سقف (130) طنًا، ووقف بيع المخزون الفائض من الماء الثقيل.

وفي (7 تموز/يوليو 2019) بدأت المرحلة الثانية من خطة إيران خفض تعهداتها النووية بعد انقضاء مهلة الستين يومًا التي منحتها للدول الأوروبية الموقعة للإيفاء بالتزاماتها في إطار الاتفاق وردًا على الإجراءات الأمريكية الاقتصادية المعادية لها، وتضمنت المرحلة الجديدة جملة من القرارات، أهمها رفع نسبة تخصيب اليورانيوم في هذه المرحلة من (3,67) بالمائة إلى درجات أعلى، بعد أن كانت إيران أعلنت في وقت سابق أن مخزونها من اليورانيوم المخصب تجاوز مستوى (300) كيلو غرامًا، إضافة إلى إعادة بناء بعض أجزاء المفاعلات النووية التي تجمدت بموجب الاتفاق النووي بين إيران و(5+1). كما أعلنت طهران أنها قادرة على تشغيل مفاعل "آراك"، لكنها قالت

بما في ذلك حزب الله اللبناني، واحترام سيادة الحكومة العراقية والسماح بنزع سلاح الميليشيات الشيعية وتسريحها وإنهاء دعمها العسكري لميليشيا الحوثي والعمل على تسوية سياسية سلمية في اليمن، وسحب جميع القوات الخاضعة للقيادة الإيرانية في جميع أنحاء سوريا، وإنهاء سلوكها المهدد ضد جيرانها بما في ذلك إطلاقها للصواريخ على السعودية والإمارات العربية المتحدة.

وبعد مضي عام كامل على الانسحاب الأمريكي من الاتفاق وعدم قدرة الأطراف الأخرى التأثير في سياسات واشنطن تجاه التراجع عن قرارها أو رفع العقوبات الأمريكية المفروضة على طهران، بدأت إيران اللجوء إلى إستراتيجية جديدة تتمثل بالضغط على الأطراف المتبقية في الاتفاق من خلال تخفيض التزاماتها في خطة العمل الشاملة المشتركة.

وبناء على ذلك بعث الرئيس الإيراني السابق "حسن روحاني" في (الثامن من أيار/مايو 2019م) مع حلول الذكرى الأولى للانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي وإعادة فرض العقوبات الأمريكية على طهران، رسائل للأطراف المتبقية في الاتفاق النووي، وهي (فرنسا والصين وروسيا وبريطانيا وألمانيا)، أخطرهم فيها باعتزام بلاده تقليص التزاماتها بموجب الاتفاق النووي وأمهل

(1) الجزيرة نت، بتاريخ 2019/9/5م.

بعد أن أوقفت النشاط فيها بموجب الاتفاق النووي المبرم عام (2015م). وصرح رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية، "علي أكبر صالحى"، حينها، أن بلاده دشنت (90) جهاز طرد مركزياً، وكان إنتاجها قبل المرحلة الثالثة (450) غراماً من اليورانيوم المخصب يومياً، وأصبح خمسة كيلوغرامات يومياً⁽¹⁾. وفي (6 كانون الثاني/يناير 2020م)، أعلنت إيران بدء المرحلة الخامسة والأخيرة من مراحل تخفيض التزاماتها النووية، وذكرت أنها لم تعد ملزمة بأي قيود في المجال العملياتي (الذي يشمل مستوى التخصيب ونسبته وحجم المواد المخصبة والأبحاث والتنمية). وفي موازاة هذه الخطوات التصعيدية تعرضت العديد من المنشآت النووية الإيرانية الهامة مثل منشأة "نطنز" و"كرج" لهجمات إلكترونية وتخريبية لم تتبناها أي جهة أدت إلى تعطيل أجزاء كبيرة منها.

ووفقاً لدبلوماسيين غربيين فإن إيران أنتجت أجزاء لما لا يقل عن (170) جهاز طرد مركزي متقدم، وقامت بتخصيب يورانيوم بنسبة نقاء (60%) وهي نسبة لا تقل كثيراً عن نسبة (90%) اللازمة لصنع قنبلة نووية، وتتجاوز بكثير أي نسبة تستخدم في تطبيقات غير عسكرية، كما قامت بتركيب أكثر من (1000) جهاز طرد مركزي متقدم قادر على تخصيب اليورانيوم بشكل أسرع، وذلك منذ انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق عام (2018م).

إنها تفضل التعاون المشترك مع بريطانيا والصين لتشغيله. وشملت القرارات أيضاً منح فرصة جديدة للطرف الأوروبي مدتها (60) يوماً أخرى للوفاء بالتزاماتها قبل بدء المرحلة الثالثة من خطة خفض التعهدات.

وفي (4 أيلول/سبتمبر 2019م) أعلنت إيران أنها بدأت المرحلة الثالثة من سلسلة مراحل خفض تعهداتها النووية، وشملت هذه الخطوة العمل على تطوير أجهزة الطرد المركزي، وإنتاج ما تحتاجه لتخصيب اليورانيوم، كما تضمنت الخطوة إزالة جميع القيود المفروضة على البحث والتطوير في المجال النووي⁽¹⁾. وشغلت (20) جهاز طرد مركزياً متطوراً لتخصيب اليورانيوم، من طراز (IR-4) و(20) جهازاً من طراز (IR-6). وفي (6 تشرين الثاني/نوفمبر 2019م)، بدأت المرحلة الرابعة والتي تضمنت تشغيل أجهزة الطرد المركزي وضخ غاز اليورانيوم في (1044) جهاز طرد مركزياً في منشأة "فوردو" النووية، وذكرت وكالة "إينا" الإيرانية للأنباء، أنه تم "نقل ألفي كيلوغراماً من غاز سادس فلوريد اليورانيوم من مفاعل "نطنز" إلى مفاعل "فوردو" تحت رقابة مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية". وأضافت أن عملية نقل الغاز من شأنها "بدء تشغيل أجهزة الطرد المركزي في مفاعل "فوردو"، كأول تنفيذ عملي للمرحلة الرابعة من خفض طهران التزاماتها بموجب الاتفاق النووي". وبهذه الخطوة تعيد إيران تفعيل منشأة "فوردو"،

(1) وكالات الأنباء، 2019/11/6م.

قناة مالية توفر الإمكانية للشركات الصغيرة والمتوسطة لحفظ القنوات المالية المتعارف عليها مع إيران، وتقوم هذه الآلية على نظام المقايضة للبضائع أو المدفوعات، وإجراء المعاملات التجارية بعملة غير الدولار، وبذلك يتم تجنب العقوبات الأمريكية المفروضة على إيران، إلا أن هذه الآلية لم يتم تفعيلها بسبب معارضة واشنطن لها.

• محادثات فيينا لإحياء الاتفاق النووي

تهدف محادثات فيينا إلى إحياء اتفاق عام (2015م) الذي صُمم للحد من تطور البرنامج النووي الإيراني، وإبقاء إيران على بعد سنة واحدة على الأقل من القدرة على إنتاج وقود نووي كافٍ لقنبلة واحدة، وهو ما يسمى "بوقت الاختراق"،

بالرغم من مرور نحو تسعة أشهر على انطلاق هذه المفاوضات التي تجري حتى الآن بين إيران و(4+1) دون مشاركة مباشرة من الولايات المتحدة، لم تحقق أي اختراق مهم لجهة إحياء اتفاق (2015م) أو التوصل إلى اتفاق جديد. وتعود إيران بشكل كبير على رفع العقوبات الأمريكية الأحادية التي فرضتها إدارة "ترامب" ومددت العمل بها إدارة "بايدن" لإنقاذ اقتصادها الذي يشرف على الانهيار.

ومنذ (نيسان/أبريل 2021م)، عقدت اللجنة المشتركة لخطة العمل المشتركة الشاملة ثماني جولات حتى الآن في العاصمة النمساوية فيينا؛ لإيجاد طرق لاستعادة الاتفاق النووي في شكله

• محاولات إنقاذ الاتفاق النووي

منذ اليوم الأول لإعلان الولايات المتحدة الانسحاب الرسمي من خطة العمل الشاملة المشتركة، حاول قادة الاتحاد الأوروبي الحفاظ على هذا الاتفاق وعدم انهياره، وفي بيان مشترك ردًا على الانسحاب الأمريكي، أكد قادة فرنسا وألمانيا وبريطانيا أن قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (2015/2231م) الذي يؤيد الاتفاق النووي ما زال "إطارًا قانونيًا دوليًا ملزمًا لحل النزاع". كما بذلت هذه الدول عدة محاولات لإنقاذ الاتفاق من الانهيار بشكل كامل من خلال عدد من الإجراءات والاجتماعات التي جمعت الأطراف، أو من خلال المبادرات الفردية مع طهران للتوصل إلى حلول مرضية لإيران التي باتت تهدد بوقف التزاماتها المنصوص عليها في خطة العمل الشاملة المشتركة وتهدة التوترات التي خيمت على المنطقة بعد قرار الانسحاب الأمريكي.

وفي محاولة للالتفاف على العقوبات الأمريكية والحفاظ على العلاقات التجارية مع إيران أنشأ الثلاثي الأوروبي (The E3)، الذي يضم كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا في (31 كانون الثاني/يناير 2019م) آلية مالية للدفع مع إيران، أطلق عليها اسم "إنستكس INSTEX"، وهو اختصار لـ "أداة دعم التبادلات التجارية". وتهدف هذه الآلية إلى الحفاظ على الاتفاق النووي مع إيران عن طريق إيجاد

• التحديات التي تواجه مفاوضات فيينا

تعدّ محادثات فيينا خطوة إلى الأمام باتجاه إحياء اتفاق عام (2015م)، فالولايات المتحدة وإيران لديهما حاجة مشتركة لتخفيف التوترات، لكن هناك الكثير من التحديات لا تزال تقف أمام التوصل إلى اتفاق نهائي منها:

لا يوجد موعد نهائي لهذه المفاوضات وبالتالي قد تستمر شهوياً أخرى، لذا تشكل هذه المباحثات أحد أهم التحديات التي تواجه حكومة "رئيس" خلال العام (2022م)، بالمقابل تريد واشنطن من إيران - قبل رفع العقوبات - التراجع عن جميع الخطوات التصعيدية التي اتخذتها منذ عام (2019م)، لتوسيع برنامجها النووي بما يتجاوز حدود خطة العمل الشاملة المشتركة.

من جهتها تقول إيران إنها لن تتراجع عن خطواتها حتى ترفع العقوبات الأمريكية ويتم التحقق من ذلك بما يرضيها. الصعوبة التي تواجه إدارة "بايدن" في هذا الصدد أن العقوبات التي فرضتها إدارة "ترامب" لا يمكن رفعها بأوامر تنفيذية؛ لأنه لا توجد حدود فاصلة بين العقوبات النووية والعقوبات غير النووية، فإدارة "ترامب" طمست هذه الحدود من خلال إعادة تسمية العديد من العقوبات المتعلقة بالمجال النووي على أنها مرتبطة بالإرهاب، وهذه العقوبات تشمل الحرس الثوري الإيراني الذي تم تصنيفه على أنه منظمة إرهابية، وكذلك

الأصلي، أو التوصل لاتفاق منقح من خلال اتفاق الأطراف على تكثيف عملية صياغة الوثائق؛ من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي في أقرب وقت ممكن، في الوقت الذي تصر فيه إيران على ربط التوصل على أي اتفاق برفع شامل للعقوبات الأمريكية المفروضة عليها منذ عام (2018م)، والإفراج عن أموالها المجمدة.

وخلال محادثات فيينا حدثت تطورات كبيرة تمثلت بانتخاب "إبراهيم رئيسي" رئيساً لإيران الذي تعهد في خطاب تنصيبه في الخامس من (آب/أغسطس 2021م) بمواصلة "المشاركة الذكية" مع مجموعة (1+4) والولايات المتحدة من أجل رفع العقوبات المفروضة على إيران، ترافق ذلك مع تغيير واسع في الوفد التفاوضي الإيراني واستبعاد وزير الخارجية السابق "جواد ظريف" الذي لعب دوراً كبيراً في التوصل إلى اتفاق (2015 م)، بحكم علاقاته الجيدة مع الدول الغربية. وشهدت محادثات فيينا حتى الآن جولتين في عهد "رئيسي" (الجولة السابعة، والجولة الثامنة التي لا تزال جارية ويتوقع انتهائها في بداية شباط/فبراير 2022م)، لكن الجولة الأخيرة أستاذت بتلويح واشنطن باللجوء إلى "الخيار العسكري" بصراحة ولأول مرة إذا فشلت المفاوضات، إضافة إلى تصعيد إسرائيل نبذة تهديداتها بشكل لافت، مع الادعاء بوجود خطط جاهزة لمهاجمة المنشآت النووية الإيرانية.

وتهدد حلفاء واشنطن في المنطقة، كما تواصل تطوير واختبار صواريخ متطورة، وأسلحة تقليدية أخرى، بهدف تحقيق التفوق العسكري والسياسي في الشرق الأوسط والخليج العربي، للحفاظ على النظام الإيراني وعدم انهياره أمام الضغوط الأمريكية، لذلك تطالب إيران بفك الارتباط بين المفاوضات الخاصة ببرنامجها النووي وبرنامج الصواريخ الباليستية وهو ما ترفضه الولايات المتحدة بشكل قاطع.

• فرص التوصل إلى اتفاق جديد

بالرغم من تأكيد وزير الخارجية الإيراني "حسين أمير عبد اللهيان": أن مفاوضات فيينا تقترب من التوصل لاتفاق "جيد"، وتأكيد كبير المفاوضات الإيرانيين "علي باقري" على تراجع حدة الخلافات بشأن رفع العقوبات الأمريكية، إلا أن الواقع يشير إلى وجهات نظر الأطراف لا تزال متباعدة رغم المرونة التي أبدتها الإدارة الأمريكية مؤخراً حول الإفراج الجزئي عن أموال إيران المجمدة، ومنح الضوء الأخضر لكوريا الجنوبية لعقد اجتماعات ثنائية مع المسؤولين الإيرانيين، بهدف الإفراج عن عائدات صادرات النفط الإيرانية لكوريا الجنوبية البالغة نحو (7) مليارات دولار، وترحيب الولايات المتحدة بالاتفاق الذي تم التوصل إليه مؤخراً بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذ سمحت إيران للوكالة بإعادة تركيب كاميرات مراقبة جديدة في منشأة "تسا" في "كرج"

البنك المركزي، ووزارة النفط، وشركة النفط الوطنية الإيرانية كونها متورطة بتحويل الأموال إلى حزب الله اللبناني، وبعض الميليشيات التابعة لإيران في المنطقة.

تحدي آخر يواجه مفاوضات فيينا في التوصل إلى اتفاق جديد يأخذ طابع المعاهدة الدولية الملزمة، لأن اتفاق (2015 م) كان اتفاقاً سياسياً غير ملزم مع حوافز لكلا الجانبين للامتنال، وبالتالي تحويل هذا الاتفاق إلى معاهدة دولية يتطلب دعم ثلثي أعضاء الكونغرس. علاوة على ذلك لا تزال هناك أصوات قوية مناهضة لإيران ومعارضة لخطة العمل الشاملة المشتركة في الولايات المتحدة؛ لذا قد يكون البديل هو اتفاقية تنفيذية تتطلب الموافقة عليها بأغلبية بسيطة من قبل مجلسي النواب والسيوخ، ورفع جزئي للعقوبات ومساعدة إيران على استعادة بعض الأصول التي تم تجميدها في الخارج، وأن تتعهد واشنطن بعدم الانسحاب مرة أخرى من خطة العمل الشاملة المشتركة في حال عادت إليها.

إلى جانب كل ذلك، ترى واشنطن أن السلوك العدواني الذي تنتهجه إيران يشكل خطراً كبيراً على منطقة الشرق الأوسط، حيث لا تزال طهران ترعى حزب الله اللبناني والجماعات الإرهابية الأخرى وتحاول الهيمنة سياسياً على العراق وسوريا وتحويلهما إلى دمي بيديها

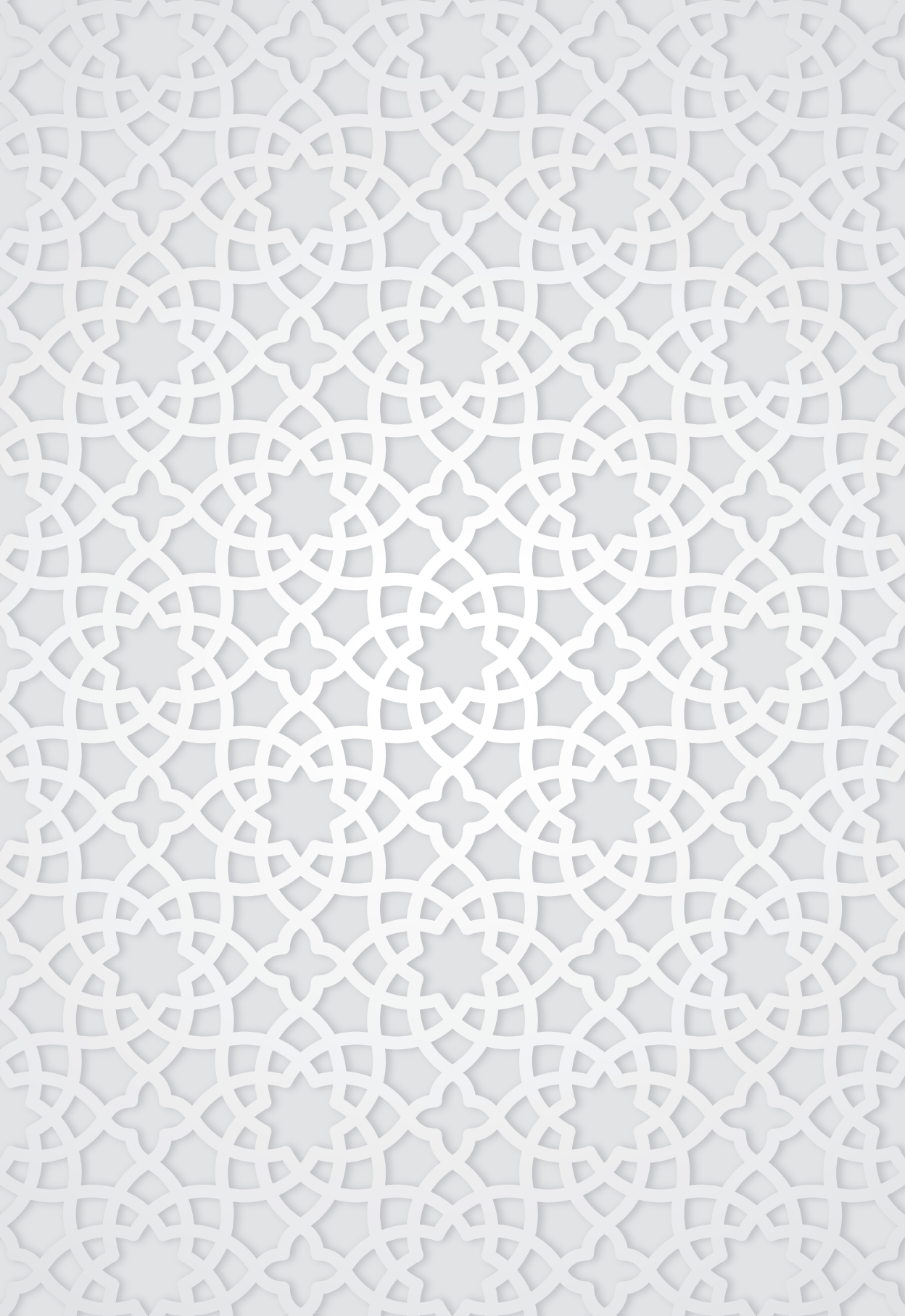
الإدارة الأمريكية لم تتنصل حتى الآن من الاحتمال النظري على الأقل بمهاجمة إيران عسكريًا إلى جانب طاولة المباحثات الجارية في فيينا.

على الجانب الآخر تسير إيران بشكل متسارع في تطوير برنامجها النووي ووصلت خلال الشهور الماضية إلى مستويات قياسية في درجة تخصيب اليورانيوم وكمياته، وإذا ما نجحت في التوصل إلى اتفاق جديد مع الإدارة الأمريكية ستحصل على مليارات الدولارات، وهو ما سيمكنها من توسيع نفوذها في المنطقة والسيطرة عليها في ظل غياب أي مشروع عربي موحد، لمواجهة النفوذ الإيراني المتنامي في الشرق الأوسط.

أما إسرائيل التي استطاعت خلال ثمانينيات القرن الماضي من تدمير المفاعل النووي العراقي والمفاعل السوري عام (2007م) بضوء أخضر أمريكي يبدو أنها لم تحصل على هذا الضوء حتى الآن تجاه أي عمل عسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية.

التي سبق أن تعرضت لهجمات تخريبية. ويبدو أن التطور الأبرز خلال الجولة الأخيرة من مباحثات فيينا هو اتفاق الأطراف على مناقشة مسودة مشتركة تم دمجها تتضمن حصر الخلافات حول المسائل النووية والالتزامات المطلوبة من إيران وآليات رفع العقوبات عن طهران، وتشكيل مجموعة خبراء ثالثة، تعمل على تنسيق فريقين آخرين يعملان بشكل منفصل حول العقوبات الأمريكية والبرنامج النووي الإيراني.

مع ذلك يمكن القول: إن الولايات المتحدة لا تزال تخوض محادثات استنزافية مع إيران؛ للضغط عليها بشكل أكبر من بوابة العقوبات الاقتصادية التي ترزح تحتها إيران منذ العام (2018م)، فالولايات المتحدة لم تنخرط في المفاوضات الجارية في فيينا بشكل مباشر حتى الآن، ولم تُعقد أية اجتماعات مباشرة بين المفاوضين الإيرانيين والأمريكيين الذين يقيمون في فندق منفصل في فيينا، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل بشكل جلي على أن الطريق إلى اتفاق نووي جديد ما يزال بعيدًا، وتواجه تعقيدات كبيرة، وأن



الحراك الشعبي في العراق عقد من المبادرات الجماهيرية⁽¹⁾

أ. معاذ البدري⁽²⁾

إذ إن الحراك الجماهيري شبه العفوي الذي واكب ثورات الربيع العربي في البلدان الأخرى سرعان ما انتشر في أكثر من (52) مدينة في مختلف المحافظات العراقية، وكان المنطلق الأول له متمثلاً بحركة احتجاجية ضد السلطات الحكومية لتورطها بالفساد، والإسهام في تردي الأوضاع الأمنية، قبل أن يتطور سقف المطالب مرتفعاً بعد وقت وجيز إلى المطالبة بمحاكمة المجرمين وسرّاق المال العام ومتهكّي حقوق الإنسان، علاوة على مطالب الإفراج عن المعتقلين، ومطالب أخرى توجت بالشعار الذي تبنته جميع ثورات الربيع العربي المتمثل بإسقاط النظام.

ومن صور مظاهر هذه الثورة الموثقة في العديد من وسائل الإعلام والدراسات المتخصصة بالشأن العراقي، اقتحام المحتجين المقار الحكومية في مدن: (الموصل، والبصرة، وواسط، والرمادي)، وسيطرتهم على مباني المجالس البلدية في مدن أخرى، منها الحويجة شمالي البلاد؛ فضلاً عن محاصرة مقار ودوائر أخرى في بغداد وسامراء

تُعنى هذه الورقة بقراءة وتحليل المشهد العراقي من زاوية الحراك الجماهيري والشعبي الذي يعد الأطول زمنياً، والأوسع انتشاراً على رقعة البلاد، والأكثر تنوعاً مقارنة بالتجارب التي شهدتها العالم العربي في السنوات العشر الماضية، وذلك بالنظر لواقع العراق في ظل الاحتلال المزدوج، والتنوع في تركيبته الاجتماعية وتعدد مكوناته. إن القضية العراقية في هذه الورقة تدور حول أربعة محاور أساسية:

أولاً: الحراك الشعبي في العراق في أجواء الربيع العربي (ثورة 25 شباط/ فبراير 2011م)، ويتضمن الموضوعات الآتية:

1 - مظاهر الحراك: التنسيق والانتشار - المواقف والجهات الداعمة والمضادة.

يمكن وصف ثورة (25 شباط في العراق عام 2011م): بأنها الانعكاس الأكثر وضوحاً بعد احتلال العراق لحقيقة الشعب العراقي في استغلاله على أنماط الطائفية والمحاورة التي حاول المشروع السياسي للاحتلال فرضها على واقع البلاد؛

(1) قدمت هذه الورقة في مؤتمر شباب التغيير.. عقد من النضال وخطة للمستقبل، إسطنبول، 2022/24/22م.

(2) باحث وكاتب عراقي.

المالكي " على الطائفية بوصفها سلاحاً أريد له أن يكون موجهاً صوب المتظاهرين لبث الفرقة والنزاع بينهم، لكنه كان رهاناً خاسراً بكل المقاييس.

ومن الأدلة على خسران رهان الاحتلال والسلطات على الطائفية نرصد المظاهر الآتية التي قام بها المتظاهرون في العديد من مدن ثورة (25 شباط):

- الصلوات الموحدة في أماكن الاحتجاجات.
- طبيعة المطالب التي تركزت على تحقيق إصلاحات سياسية، والقضاء على نظام الفساد والمحاصصة الطائفية.
- الشعارات التي رفعها المتظاهرون، والتي من أبرزها إسقاط النظام.
- الاتهامات الحكومية تجاه المحتجين، وأسلوب القمع المستخدم ضدهم، انعكاس لوحدة الثورة في المواقف والرؤى.

هذه الثورة لم تكن في معزل عن مواقف القوى والجهات السياسية والجماعات الفكرية على اختلاف توجهاتها بين من هي على صلة بالنظام السياسي القائم، وبين القوى المناهضة للاحتلال والعمليّة السياسية، إذ كانت معياراً لبيان حقيقة المواقف في أول تجربة شعبية بعد المقاومة العراقية تمايزت بسببها الصفوف.

ويمكن القول بشكل عام وإجمالي مختصر،

أن الأحزاب السياسية والكتل التي كانت حديثة عهد بانتخابات (2010م) الخاسرة منها والفائزة وقف ضد الثورة وأسهمت في تشويهاها وروّجت نحو تجريم المشاركين

وتكريت وغيرها، إذ تمكن المتظاهرون في العاصمة من تجاوز جسر الجمهورية المؤدي إلى المنطقة الخضراء بالضفة المقابلة من نهر دجلة بعدما أغلقته قوات الأمن بالكتل الخرسانية الضخمة، واقتربوا من حدود المقار الحكومية والسفارتين الأمريكية والبريطانية، في دليل على وعي جماهيري عالي المستوى في تشخيص سبب وعلة تردي الأوضاع في العراق.

وبحكم القرب من الأحداث رصدًا ومعايشة، فإن مقاصد المحتجين من هذه التحركات وتحديد هذا النوع من الأهداف ليكون في مرمى الاحتجاجات، كانت تهدف إلى أمرين اثنين أساسيين:

الأول: الضغط على السلطات الحكومية بهدف إرغامها على تلبية المطالب، بشكل كلي غير مجزأ، دون ماطلة أو تسويف، وللاسيما ونحن نتحدث عن وقت انقضت فيه ما يقرب من ثماني سنوات بعد احتلال العراق لم ير الشعب العراقي فيها غير الاضطهاد، والظلم، والتصاعد في الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان.

والآخر: المحافظة قدر الإمكان على وحدة الموقف سواء في موقف الحراك بشكل خاص بانضباطه وحرصه على سلامة المال العام، وعدم تهيئة فرصة لميليشيات النظام للعبث والتخريب وإلصاق ذلك بالمحتجين، وفي موقف العراقيين عمومًا الذين راهنت قوات الاحتلال الأمريكي في ذلك الحين، ومن أمامها سلطات حكومة الاحتلال الخامسة بزعامة "نوري

جوبهت ثورة (25 شباط) بالعنف المفرط والقمع والتغيب من قبل أجهزة الأمن الحكومية التي تساندها قوات الاحتلال الأمريكي، وقد شنت حكومة بغداد حملة اعتقالات رافقها اعتداء بالضرب ضد المتظاهرين، تطور لاحقاً إلى استخدام الرصاص الحي في محاولة لفض المظاهرات، وقد أدى ذلك إلى سقوط قتلى ومصابين.

2 - النجاة والخفاقات: قراءة وتحليل نجحت ثورة (25 شباط 2011م)، في العراق بالنظر إلى واقع البلاد في ذلك الحين، في مواطن، وأخفقت في أخرى، ومظهر ذلك فيما يأتي:

- تعد ثورة (25 شباط) مفتاحاً لحركة احتجاجية واسعة النطاق شملت مناطق واسعة من العراق في السنوات اللاحقة وعلى مرحليات مختلفة.

- تشخيص الحراك الجماهيري المبكر لمشكلة العراق ممثلة بالنظام السياسي والمطالبة بإسقاطه، مظهر صريح في نجاح ثورة (25 شباط)، وإن كان محدوداً لكنه نجاح بُنيت عليه اعتبارات ومقاصد أخرى آتت ثمارها لاحقاً، ولاسيما على صعيد الوعي الجماهيري، وثقافة مناهضة النظام السياسي، ومقاطعة مخرجاته.

- في تجدد حركة الاحتجاجات في (أيلول/سبتمبر 2011م)، أي: بعد نحو سبعة أشهر من ثورة (25 شباط)، دليل على أن السلطات الحكومية لم تنجح في وأد الثورة، أو في كبح حراكها.

- لم تقطف ثورة (25 شباط) ثمارها،

فيها، فإذا ما رصدنا المقصد الأسمى لاحتجاجات (25 شباط) العراقية نجده يسعى إلى إسقاط النظام، والمعنى من ذلك إسقاط العملية السياسية التي أسسها الاحتلال الأمريكي،

لذلك فإن الاحتلال نفسه والأدوات التي وظفها لتنجز مشروعه في العراق تسعى - وما يزال حتى اليوم - يضع العراقيين أمام أولى خطوات أي تحرك ينتهي بالمحصلة إلى إسقاط هذه المنظومة أو بيان اعوجاجها، رغم توصل الجميع في داخل العراق وخارجه إلى فشلها وفسادها وافتقارها للقيم السياسية والسلطوية المعتمدة، وذلك كله لحماية شعار (الديمقراطية) المزعوم الذي جاءت الولايات المتحدة تمتطيه مبررة غزوها واحتلالها العراق، ومغطية على أهدافها الأساسية وخططها طويلة وقصيرة المدى في العراق خاصة والمنطقة بشكل عام.

ومن الطبيعي أن يكون للقوى المناهضة موقف داعم ومؤيد للثورة، ومحفز للعراقيين على زيادة زخمها، فضلاً عن إيصال رسالتها إلى الرأي العام بمستوياته المحلية والإقليمية والدولية، ومن ذلك توظيف هيئة علماء المسلمين في العراق فروعها ومنصاتها في التغطية والدعم والترويج والرصد والتوثيق، علوة على الموقف الشرعي والرأي السياسي.

1 - تعامل السلطات: القمع بالقتل والاعتقالات - الاحتلال الأمريكي

الشعب العراقي.

وكلا الطرفين سبب مباشر في تنامي الحراك الشعبي في العراق وتطوره أو تراجع كل زاوية نظر تضاد الأخرى، فالعملية السياسية أوصلت البلاد وأهلها إلى مستويات متدنية جداً في كل شيء - والملاحظ نحن نتحدث عن واقع قبل عشر سنوات تماماً من اليوم،

والإفان الوقت الحاضر هو أشد إمعاناً في مأساة العراقيين ودمارهم - والمسلك الذي تبنته أحزاب السلطة الطائفية أنتج واقعاً مأساوياً طال العراقيين جميعاً،

فأعداد المعتقلين في تنام وتزايد، ومستويات الفقر والبطالة في ارتفاع مطرد وسريع، والواقع الأمني يتنقل من الحضيض إلى ما هو أعمق وأدنى، وغير ذلك من مظاهر انهيار كل شيء وتردي كل شيء؛ وذلك كله كان دافعاً قوياً لتجدد الحراك الشعبي، وإعادة تنشيط مقاصد ثورة (25 شباط) في إسقاط النظام السياسي والعمل على بناء العراق من جديد.

وفي الطرف الآخر؛ فإن هيئة علماء المسلمين في العراق بوصفها عمدة القوى الوطنية المناهضة للاحتلال والعملية السياسية؛ كانت تعمل بجد في أوساط حواضنها الشعبية التي هي بالضرورة حواضن المقاومة العراقية؛ للثورة على النظام، وإعادة روح مناهضة الاحتلال الأمريكي إسقاط مشروع الاحتلال السياسي، والسعي إلى انتزاع الحقوق واستعادة الكرامة، والظفر بالحرية

بسبب انعدام الدعم على كافة المستويات، إذ لم يحظ الحراك الشعبي في العراق بالأضواء التي لاقته ثورات الربيع العربي في بلدان أخرى، ومرد ذلك إلى السطوة الأمريكية بوصف الولايات المتحدة هي الخصم المباشر للشعب العراقي بخلاف بقية الدول.

• **ثانياً: اعتصام المحافظات العراقية الست المنتفضة (كانون الأول/ديسمبر 2012 - كانون الثاني/يناير 2014م)، ويشتمل على الموضوعات الآتية:**

1 - تأريخ مناهضة العملية السياسية في العراق، واقع، وأدبيات، ونتائج مرحلية. قبل الخوض في تفاصيل المرحلة الثانية من الحراك الجماهيري المناهض للنظام السياسي في العراق، لا بد من معرفة الأرضية التي انطلق منها، والسبب في ذلك؛ هو التخلص من بعض شوائب المغالطات والمفاهيم المغلوطة التي رافقت هذا الحراك على مدى سنة كاملة؛ وذلك بالنظر إلى الحقائق مجردة عن الرأي السياسي الذي حاول إقحام الحراك في مسار لم يكن العراقيون يريدونه.

إن المشروع السياسي للاحتلال الأمريكي في العراق أفرز فسطاطين رئيسيين في البلاد عامة وعلى الساحة السياسية بوجه خاص، هما:

- العملية السياسية بكافة أحزابها وشخصها التي امتهنت الفساد والمحاصصة تحت مظلة الطائفية.
- والقوى العراقية الوطنية المناهضة التي دعمت المقاومة ووقفت إلى جانب

العراق إلى هذه الأهداف والوسائل منذ وقت مبكر جدًا بعد أشهر قليلة من إعلان الاحتلال الأمريكي إنشاء العملية السياسية، فخصصت جانبًا من مشروعها لبناء الحياة المثلى في مواجهة هذه التحديات والعمل على بناء بدائلها، ومن وسائل عملها في هذا الصدد التحريض على الحراك الشعبي، ودعمه بكافة الوسائل والأشكال والصور المتاحة لديها. إن مطالب الحراك في المحافظات الست متعددة، وهي ذات مراحل محسوبة في تنقلاتها، من بينها: إعادة الاعتبار لأهالي المحافظات دون منظور طائفي، وإطلاق سراح جميع المعتقلين ولاسيما النساء، وإنهاء سياسة التهميش والإقصاء، وعدم الرضا بسلوك السياسيين الذين يدعون تمثيل هذه المحافظات، ثم بتغيير النظام بدءًا من إسقاط حكومة المالكي (حكومة الاحتلال الخامسة)، ومروراً بعدم الاعتراف بجميع القوى والأحزاب السياسية التي تتشكل منها العملية السياسية، وانتهاءً بتأسيس نظام سياسي معتبر، بعيد عن التدخلات الخارجية، يُتاح فيه للعراقيين اختيار حكومتهم بأنفسهم وفق مبدأ التداول السلمي للسلطة، وكتابة دستور جديد غير مؤطر بالطائفية ومنزه عن أقلام سلطات الاحتلال أو الإرادات التي تريد التحكم بمصير العراق وثرواته.

3 - دور القوى والأحزاب السياسية في عرقلة عجلة الحراك.

مع الأسف الشديد؛ فقد راج في العديد من الأوساط الإعلامية أن حراك

والانعتاق من الواقع المظلم الذي يقيد كل العراقيين؛ فجاء الحراك الجديد متناسقًا في ست محافظات عراقية (الأنبار، نينوى، صلاح الدين، ديالى، التأميم، فضلاً عن العاصمة بغداد)، الذي تحول لاحقاً إلى اعتصام استمر عامًا كاملاً، لكنه مع الأسف الشديد لم يحظ بالدعم المطلوب لا على المستوى العربي - أقصد النظام الرسمي العربي - ولا على مستوى دولي، والسبب في ذلك كله واحد؛ هو المحافظة على مشروع الولايات المتحدة في العراق التي لا يجرؤ نظام في المنطقة على مواجهتها أو التصدي لها، ولكن الحراك مع كل ذلك بقي رقماً صعباً ذا زخم متزايد على الرغم من عديد المحاولات لإفشاله وإنهائه في وقت مبكر.

2 - طائفية النظام السياسي القائم على المحاصصة

إن السبب الرئيس لحراك المحافظات الست المنتفضة؛ هو الطائفية السياسية التي تقوم عليها أركان النظام السياسي في العراق، فأهالي هذه المحافظات يواجهون سهام التهميش والإقصاء في كل شؤون الحياة من منطلق طائفي، ويقاسون منهجية الاعتقالات المبنية على دوافع طائفية، ويتعرضون للتنكيل والتضييق لأسباب طائفية، وتدهامهم محاولات تغيير تركيبة مدتهم السكانية، وفرض ثقافات غير منضبطة، وتمزيق في نسيجهم المجتمعي، لأهداف طائفية، ولقد تنبّهت هيئة علماء المسلمين في

سعي منها لإسداد الستار على محاولة شعبية جديدة مناهضة للنظام ومطالبة بإسقاطه؛ تحت مسمى (الإرهاب) الذي توظفه جميع الحكومات التي تعاقبت على العراق بعد احتلاله في مسلكيات طائفية.

4 - مظاهر النجاح والتعثر في تجربة الحراك، وتداعيات ميدانية.

لا يمكن حصر نتائج الحراك بشقيها الناجح والمخفق في جزئية أو نطاق محدود ضمن ورقة مختصرة كهذه، فالموضوع أجدر بأن يتضمن في دراسة مستفيضة موسعة، وتحليل معمق، ولكن يمكن رصد الملامح العامة لذلك:

- إن استمرار حراك المحافظات الست المنتفضة سنة كاملة، دليل على صمود ونجاح مرحلي، لكنه في الوقت نفسه دليل على أن الجماهير العراقية لم تجد من يساندها طيلة هذه المدة التي واصلت حكومة بغداد ونظامها السياسي المماثلة وعدم الالتفات إلى تحقيق شيء يذكر من مطالب الناس، وذلك يعيدنا إلى النقطة التي طالما نتحدث عنها في تناول المشهد العراقي، في أن الأخير مختلف تمامًا عن نظرائه في بلدان أخرى لأن الخصم والعدو فيه هو الولايات المتحدة، فهي على استعداد للقبول بإبادة مدن بأكملها وجعلها أثرًا بعد عين لأجل ألا يمس مشروعها السياسي بتغيير أو ببيان حقيقته المعوجة الفاشلة. - لقد أسهمت أحزاب السلطة الراضخة لمنظومة العملية السياسية في إبطاء

المحافظات المنتفضة له غايات طائفية

ولا سيّما مع تصدر بعض منصات ميادين الاعتصامات شخصيات متصلة بأحزاب السلطة، حاولت أن تجر أهداف الاعتصامات إلى منحى طائفي بثوب سياسي مخصوص بناءً على خلافات بين شركاء العملية السياسية، ثم انتهت أخيرًا بالدعوة إلى تقسيم العراق وتجزئته إلى أقاليم طائفية تحت مسمى (الفيدرالية) التي أسس لها دستور العملية السياسية،

لكن ذلك كله وقع متعثرًا أمام المد والرأي الشعبي الذي رفض أن يُضحي بالعراق ككل بوصفه بلدًا واحدًا مقابل قطعة يقودها أشخاص خرج الحراك أصلًا لمناهضتهم.

إن محاولات أحزاب سياسية وجماعات وشخصيات ذات مصالح في العملية السياسية استغلال منصات الاعتصام، وميادين الحراك للترويج إلى أفكارها وتوجهاتها؛ أعطى انطباعات ومبررات لوصم الحراك الشعبي بهوية زائفة، ويقابل ذلك التوجه الطائفي المحموم لحكومة بغداد التي استفادت كثيرًا من فوضى شركائها من الأحزاب (السنّية) المتسلقة على الحراك؛ لتؤجج الواقع وتصرف أنظار المراقبين عن حقيقة ما تأسس الحراك لأجله، فجاءت النهاية باقتحام ساحات الاعتصام حيث بطشت قوات الأمن أمام مرأى ومسمع جميع أنظم المنطقة والعالم بالمعتصمين السلميين، قتلًا واعتقالًا، واجتياحًا للمدن، وانتهاكًا غير مسبوق لحقوق الإنسان، في

انعدام الخدمات وعدم توفر وسائل العيش؛ وهذه التحركات كانت نواة جديدة ومعززة لانطلاق (ثورة تشرين الأول/أكتوبر 2019م)، التي شهدت الإجهاد التام على إشاعات الطائفية المجتمعية في العراق، ووحدة قوية الشكيمة ضد الطائفية السياسية التي يتبناها النظام السياسي القائم في البلاد.

إن مصادر ثورة تشرين غريبة بالنسبة لمن ينظر إلى الأمور من زاوية تقليدية دون معرفة بحقيقة المجتمع العراقي، فإذا كانت حكومات الاحتلال تصف مناهضيها دائماً بأنهم إرهابيون من منطلق طائفي، أو أنهم منازون للنظام السابق قبل الاحتلال بدوافع سياسية، أو أنهم مدعومون من خارج البلاد باعتبارات متناقضة وفوضوية؛

فإن شباب ثورة تشرين انطلقوا من الحاضنة الشعبية نفسها التي تدعي أحزاب السلطة أنها تمثلها، وجلهم من جيل ولد أصلاً بعد احتلال العراق، وأغلبهم مثقفون وطلبة جامعات ومدارس، ومظاهراتهم وشعاراتهم كانت في سوادها الأعظم عفوية بلا قيادة أو تمثيل.

لقد فاجأت ثورة تشرين حكومة بغداد، ولم تكن تتوقع - وهي التي تتحدث باسم الطائفة - أن يكون مناهضوها هذه المرة من الطائفة نفسها؛ لتتعاذل بذلك كفة المشهد الجماهيري بين اعتصامات المحافظات المنتفضة الست، وبين ثورة تشرين؛ فيظهر الرأي الشعبي العراقي

حراك المحافظات العراقية المنتفضة، ثم شاركت في إنهائه، وتسببت بالنتيجة في تدمير تلك المدن وتشريد أهلها ووصول الحال إلى ما هو عليه اليوم من تداعيات مؤلمة وواقع تفوح منه رائحة الموت من كل اتجاه.

- تعد تجربة حراك المحافظات الست المنتفضة أنموذجاً فريداً في الواقع العراقي، كونها جاءت معبرة عن وحدة في الموقف، وتحديدًا للهدف الذي يريده كل العراقيين، وعلى الرغم من دفع أهالي تلك المحافظات الثمن باهظاً بعدما فرض تنظيم الدولة نفسه في المعادلة على خلفية اجتياح قوات حكومة بغداد مدعومة بالتحالف الدولي مدن ومناطق الاعتصامات والحراك، إلا أنهم سجّلوا موقفاً تاريخياً يوازي موقف المقاومة العراقية التاريخي، وحققوا سبقاً في تشخيص واقعهم سرعان ما تبين لجميع العراقيين أنه الحق الذي لا يُتنازع فيه.

• ثالثاً: ثورة تشرين (تشرين الأول/أكتوبر 2019م -)

على الرغم من أن الناظر إلى المشهد العراقي من الخارج يلحظ فجوة كبيرة نسبياً بين آخر حراكين جماهيريين؛ فأن الواقع في الحقيقة يقول عكس ذلك؛ إذ إن إعلان حكومة بغداد انتهاء العمليات العسكرية التي أعقبت اجتياح ميادين الاعتصام وحراك المحافظات الست المنتفضة؛ سرعان ما جوبه بتحريك جماهيري جنوبي العراق تمثل بمظاهرات واحتجاجات متفرقة ضد

داخل العملية السياسية لا تجدي نفعاً في إصلاح أوضاع البلاد؛ لذلك فإن شعار (إسقاط النظام ارتفع عالياً في أغلب المظاهر الشعبية في حراك ثورة تشرين سواء في قلب العاصمة بغداد، أو في محافظات الجنوب التي ما تزال حتى اللحظة متصلة الخطوط بأولى خطوات الثورة).

• رابعاً: النظام السياسي القائم (العملية السياسية) والاحتلال الإيراني

إن المتابع لمسارات الحراك الشعبي في العراق يجد إجابات دقيقة عن العديد من الأسئلة المفروضة في المشهد؛ لماذا الإصرار على إسقاط النظام من جانب الجماهير؟ ولماذا لا تريد الولايات المتحدة المؤسسة له أن يسقط؟ ولماذا تتشبث أحزاب السلطة بالعملية السياسية رغم عدم تحقيقها شيئاً للعراق طوال هذه السنوات؟ ولماذا تسعى العديد من الأحزاب الجديدة إلى الانخراط فيها رغم أنها فاشلة بكل المقاييس، وفيها مظنة الموت واللاغتال بسبب نوعية الصراع والخلافات العميقة بين المنتسبين لها؟ إن للولايات المتحدة في العراق أهدافاً كثيرة ومتعددة، ومختلفة في مدياتها بين المرحلية والقصيرة والطويلة الأمد، ولقد ثبت في واقع العراق منذ أيام الاحتلال الأول؛ أن واشنطن تسعى في تحقيق هذه الأهداف سواء في العراق، أو فيما يتداعى بعد ذلك في المنطقة، إلى إبقاء حالة الفوضى قائمة، وتجديد ميادين الصراع في البلاد بين كل مرحلة وأخرى؛

موحداً بثوب وطني لا تشبوه الطائفية، ولا يكر نقاءه منهج المحاصصة. لقد أفرزت سياسات حكومة بغداد، التي منحت الدور الإيراني مساحات أوسع وأكثر إمضاءً في المشهد؛ تحرك الميليشيات بصلاحيات معلنة، وتجاوز للحدود بحيث باتت لها الصلاحية المطلقة في استخدام القوة المميتة ضد كل من يطالب بإسقاط المنظومة السياسية ذات المحاصصة الطائفية، علاوة على كل من يناهض إيران، وهذه الجزئية الأخيرة كانت بارزة في ثورة تشرين بشكل أوضح من أي حراك آخر سابق، وهو ما جعل السلطات وميليشياتها تتخبط في محاولة لإسكات الثورة وقمعها بكل وسائل العنف المتوافرة.

وإذا كان بعض المراقبين والمحليين للمشهد العراقي يصفون تنحي حكومة الاحتلال السابعة بزعامة (عادل عبد المهدي) بأنه نجاح مرحلي لثورة تشرين؛ فإن الثوار أنفسهم لا يقبلون بهذا الطرح؛ لأن القضية في منظور الجماهير العراقية التي تعاني منذ عقدين من الزمان لا تنظر إلى أن المشكلة متعلقة بالأشخاص بقدر نظرتها إلى أن النظام هو في الأساس مشكلة تزداد تعقيداً كلما استمر،

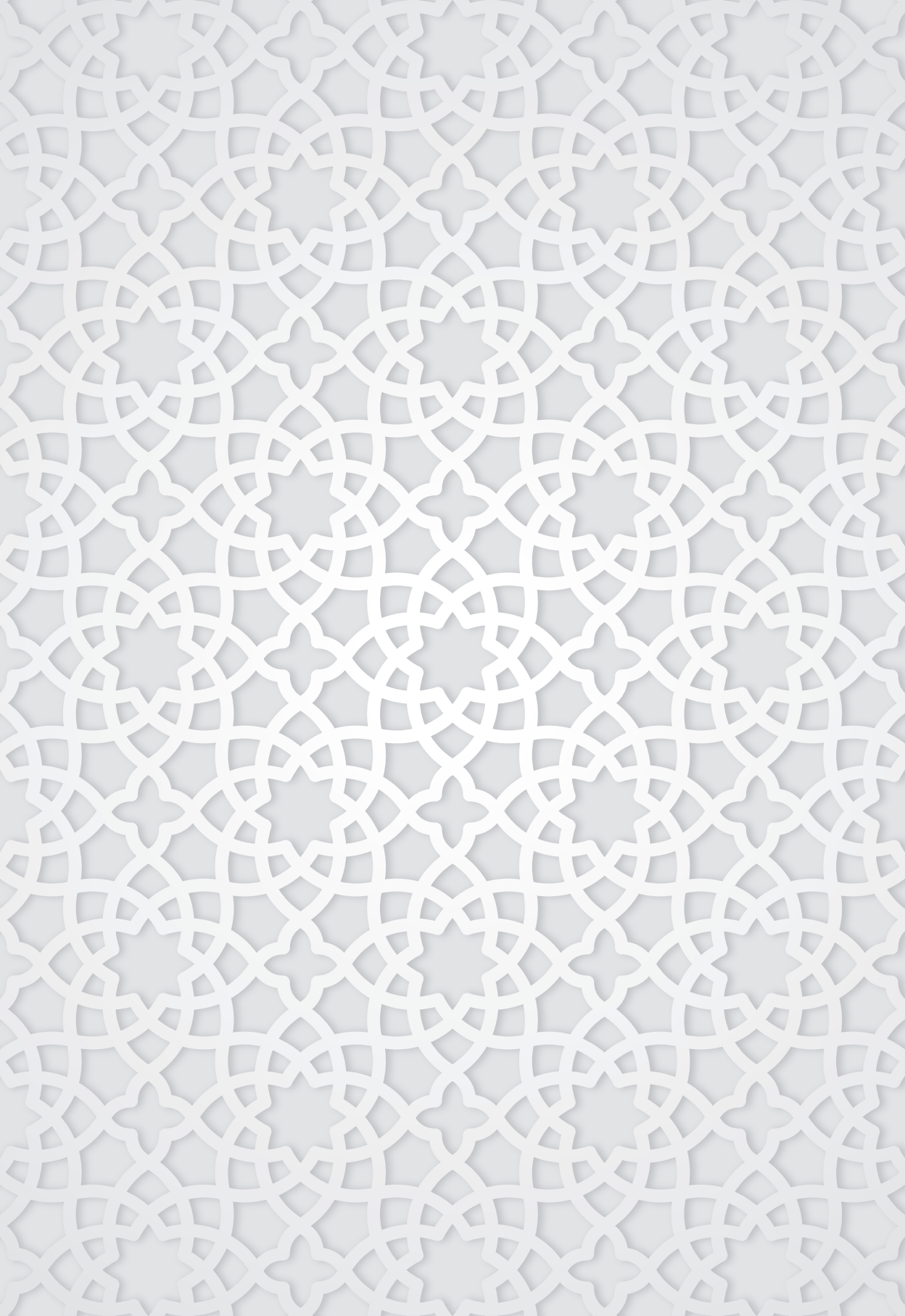
ولعل مقاطعة الانتخابات التي روّجت لها ثورة تشرين وتحققت بنسبة قاربت الثمانين في المئة في متوسط الأرقام التي أعلنت؛ دليل على أن الجماهير العراقية تدرك جيداً أن تغيير مواقع اللعب بين السياسيين، وسياسة تبديل الوجوه

جانباً من أهدافها التي كانت تتكئ على الطائفية في الوصول إليها، وحيث باتت السطوة بين يديها لم تعد بحاجة إلى المجتمع (الشيعي) في العراق لتمرر من خلاله مشروعاتها، فلما ثار هذا المجتمع بوجه أدوات إيران في العراق لم تكن ميليشياتها لتتردد في قمعه وإزهاق روح الثورة فيه.

إن سعي إيران والولايات المتحدة إلى عدم نجاح أي حراك جماهيري، أو شعبي في العراق متصل بسعيهما نحو تقاسم النفوذ في المنطقة، وعلى الرغم من مزاعم الصراع بينهما فإن الواقع يقول: إن الطرفين على توافق بشأن مساحات اللعب والحصص المصلحية لكل منها، وذلك بطبيعة الحال لا يمنع مشاكسات يديها أحد الطرفين تجاه شريكه، وهذا دأب معروف ومشهود في هذا النوع من الشراكات، فإذا كانت واشنطن تستخدم طهران كعصا شرطي في المنطقة بشكل عام، وقطب رحى في العراق على وجه خاص، فإن إيران تريد أن تستثمر هذه الصلاحيات لتمتد بنفوذها إلى مزيد من المساحات التي لا تشكل بطبيعة الحال خطراً على مصالح الولايات المتحدة فهي لا تأبه بحال شعوب المنطقة العربية ولا بمصير دينها وثقافتها.

لذلك، فإن بقاء العملية السياسية من منظور الولايات المتحدة عامل رئيس لتحقيق ذلك، وحتى تبقى هذه العملية قائمة لا بد من مناورات وتغييرات، وتقديم وتأخير، وعلى هذا الأساس يتم اختيار الشخصيات والأحزاب بناءً على قابليتها لتكون مطواعة، وأهليتها لتصبح أداة يتحكم بها مقابل مردود مصلحي محدود في حقيقته كبير وعظيم الشأن في نظر الطامعين به.

والملاحظ في المشهد؛ أن بُناة العملية السياسية يغيرون الكثير من المسارات بين المراحل المتنقلة، فبعدما كانت إيران تعمل خفية وفي غير صورة معلنة أمام الرأي العام بعد احتلال العراق مباشرة؛ لأهداف متفق عليها سلفاً؛ أخذت تلعب الأدوار بوضوح وقوة بعد ثورة وحراك المحافظات الست المنتفضة؛ لأن واشنطن رأت واقعاً لم تكن تتصوره بعد محاولة إقناع نفسها أن المقاومة العراقية كُبت، فلما ظهر الحراك من قلب الحاضنة الشعبية للمقاومة نفسها، حاولت ضخ المزيد من وقود الفوضى بأن منحت إيران ضوءاً أخضر للبروز أكثر من قبل، ولما تفشت الميليشيات في البلاد صار لإيران موقع أقوى من ذي قبل بموافقة أمريكية محضة، وبموجب سياسة التخاذل بين الطرفين، فحققت طهران بذلك



فارسا القضية الفلسطينية: الحاج الحسيني والشيخ القسام

بقلم د. غازي التوبة⁽¹⁾

ثورة الشريف حسين عام 1916م، التي جاءت بعد مراسلات الشريف حسين مع مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر عام 1915م، وانتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918م بتفكيك الخلافة العثمانية إلى عدة دول قطرية، وأسقطت الحكم بشريعة الإسلام، فأقرت الدول المنتصرة استعمار معظم الدول العربية واقتسمتها بينها، وصدر عام 1917م وعد بلفور نتيجة التعاون الوثيق بين الصهيونية العالمية والحلفاء، ثم نفذت إنجلترا وعد بلفور بعد أن احتل الجنرال "اللبي" القدس في 9 كانون الأول عام 1917م واستعمرت فلسطين، ومكّنت اليهود في فلسطين عن طريق الهجرات غير الشرعية من أوروبا وغيرها، وساعدتهم على اغتصاب الأراضي من أصحابها الفلسطينيين، وسمحت لهم بإقامة المستعمرات في كل أنحاء فلسطين، وساعدتهم في إقامة كياناتهم السياسية المستقلة:

حسم مؤتمر بازل الذي نجح هرتزل في عقده عام 1897 للصهيونية العالمية في تحديد فلسطين كأرض لإقامة الدولة الصهيونية المزمع إنشاؤها، ثم نلاحظ أنه تتالت بعد هذا المؤتمر الأحداث المزلزلة لكيان العالم الإسلامي. وقد جذبت الصهيونية العالمية كل طاقاتها من أجل تحقيق هذا الهدف، فتواصل هرتزل مع الدولة العثمانية، والتقى بالسلطان عبد الحميد، وتواصل مع الدولة الألمانية، وتواصل مع الامبراطور وليام الثاني، فلما وجد أن الأمور لا تمشي بالصورة التي يريدها، توجه إلى إنجلترا، ووضع ثقله فيها وتعاون معها، وخدمها بكل إمكانيات اليهود العالمية: المالية والسياسية والعلمية والثقافية.. إلخ. ثم بدأت الأحداث تتوالى، فقامت الحرب العالمية الأولى عام 1914م، وكان هناك طرفان: الدولة العثمانية والدولة الألمانية من جهة، وإنجلترا وفرنسا من جهة ثانية، وحركت إنجلترا العرب ضد الأتراك فكانت

(1) كاتب ومفكر إسلامي فلسطيني.

بعدها في صفوف الثورة العربية الكبرى عام 1916م.

شارك في ثورة النبي موسى عام 1920م، ثم انتخب مفتياً للقدس عام 1921م خلفاً لأخيه كامل الحسيني، وترأس أول مجلس للشؤون الإسلامية والأوقاف والمحاكم الشرعية، وهو المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين عام 1922م، وترأس مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد أول اجتماع له من أجل القضية الفلسطينية في القدس عام 1931م، وتكرر عقده برئاسته في مكة وبغداد وكراتشي وغيرها في أوقات لاحقة.

كوّن جمعية -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- من أجل الإصلاح بين المتخاصمين ومقاومة الدعوة الصهيونية للعرب لبيع أراضيهم، وأسس اللجنة العربية العليا لفلسطين وترأسها عام 1936م، كما شارك في ثورة 1936م، وقادت اللجنة العربية العليا الجانب السياسي من الثورة، وطارد الإنجليز الحاج أمين الحسيني مما اضطره للجوء إلى المسجد الأقصى ثم الهروب إلى لبنان، وهناك أقام من عام 1937م إلى عام 1939م بداية الحرب العالمية الثانية، وقررت السلطة الفرنسية تسليمه إلى الإنجليز في فلسطين، لكنه هرب إلى العراق، وهناك اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنجليز عام 1941م، ويقال إنه هو الذي حرض رشيد عالي الكيلاني على

كالوكالة اليهودية، وكياناتهم العمالية: كالهستدروت، ونقلت لهم معظم أملاك الدولة كي يتوسعوا في مستعمراتهم التي كانت تنقسم إلى نوعين: الموشاف والكيبوتز، فالموشاف كانت ملكية الأرض فيها جماعية، أما الكيبوتز فملكية الأرض فردية، أما آلات الزراعة الميكانيكية فملكيتها جماعية، وجميع المستوطنات بنوعها حصون قتالية.

في هذه الأثناء التي كانت فيها انجلترا تنسج خيوط مؤامراتها مع الصهيونية العالمية من أجل ابتلاع فلسطين، ونقلها إلى الصهيونية العالمية، وتنفيذ وعد بلفور،

برز عالمان من علماء الأمة هما: الحاج أمين الحسيني، والشيخ عز الدين القسام، الذين تصديا لهذه المؤامرة، وجعلوا القضية الفلسطينية ملء السمع والبصر على مستوى العالم الإسلامي، بل العالم أجمع، فمن هما هذان العالمان الفارسان؟

وفيم التقيا؟ وفيم افترقا؟

• **أولاً: الحاج محمد أمين الحسيني:**

ولد الحاج أمين الحسيني عام 1895م في القدس، وتلقى تعليمه الأساسي فيها، ثم انتقل بعدها إلى مصر ليدرس في دار الدعوة والارشاد التابعة لمحمد رشيد رضا، وليدرس في الأزهر وفي كلية الآداب في القاهرة، وأدى فريضة الحج في السادسة عشرة من عمره، والتحق بالكلية الحربية في استانبول، ليلتحق بعدها بالجيش العثماني، والتحق

1918م في نهاية الحرب العالمية الأولى وهنا تصدى عز الدين القسام لفرنسا، فباع عز الدين القسام بيته في جيلة ليشتري به سلاحاً، ثم درب المتطوعين في جنوب جيلة؛ لأنه كان عنده خبرة في السلاح وكان قد أخذها من تطوعه في الجيش العثماني في أكثر من مناسبة، ومنها تطوعه في لحرب إيطاليا في طرابلس الغرب 1911م.

وعندما اكتشفه الفرنسيون، انتقل من جيلة إلى جبل صهيون من أجل الاستفادة من مناعة الجبل، فقاوم الفرنسيين، ثم أعلن الفرنسيون عن جائزة لمن يساعد في القبض على الشيخ القسام، وأصدروا حكماً بالإعدام عليه، مما اضطره للهرب إلى دمشق، وعندما احتل الجنرال غورو دمشق بعد معركة ميسلون عام 1920م، غادر القسام دمشق إلى فلسطين.

عمل القسام في التدريس في بعض المدارس في حيفا، ثم استلم الإمامة والخطابة في جامع الاستقلال عند إنشائه في عام 1925م، وأعلن عز الدين القسام في خطبه في مسجد الاستقلال أن الإنجليز هم رأس البلاء، وأنه يجب توحيد الإمكانات لحربهم وطردهم، وحذر عز الدين القسام من التساهل مع الهجرة اليهودية، ثم عمل مأذوناً شرعياً، وكان هدفه من ذلك أن تتاح له فرصة التواصل مع الناس في بيوتهم ليكتشف أوضاعهم الحقيقية، ولتكون فرصته لدعوتهم

الثورة ضد الإنجليز والتعاون مع الألمان، وشارك الفلسطينيين الذين كانوا للجنين سياسيين مع الحاج أمين الحسيني في العراق في قتال الإنجليز، وعندما فشلت الثورة هرب الحاج أمين الحسيني إلى طهران، واعتقل اللجئون السياسيون، ثم طردوا من العراق.

ثم انتقل إلى ألمانيا والتقى هتلر في ألمانيا وتكلم هناك باسم العرب جميعاً، وطلب من هتلر أن يمنح الدول العربية استقلالها بعد الحرب، ثم عاد إلى القاهرة في نهاية الحرب العالمية الثانية، وترأس الهيئة العربية العليا التي شكلتها الجامعة العربية عام 1946م، وهي التي قادت الفلسطينيين في قتالهم اليهود بعد إعلان التقسيم في 29 تشرين الثاني 1947م والتي استمر طوال عام 1948م، وانتهى بإعلان دولة (إسرائيل) في 15/5/1948م، ثم انتهى به المطاف إلى الإقامة في بيروت والوفاة فيها عام 1974م.

• ثانيًا: الشيخ عز الدين القسام:

ولد الشيخ عز الدين القسام -رحمه الله- في بلدة جيلة من أعمال اللاذقية عام 1882م، وترى في أسرة متدينة ومعروفة باهتمامها بالعلوم الإسلامية، ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة سنة 1896م، وتخرج منه عام 1906م، وعاد إلى بلده حيث عمل مدرساً وخطيباً في جامع إبراهيم بن أدهم. احتل الفرنسيون الساحل السوري عام

في الازدياد"⁽¹⁾.

هنا حزم القسام أمره على الخروج واتصل بأتباعه، وأخبرهم عزمه على إعلان الجهاد، وخرج إلى جبال جنين في ليلة 26 من شهر تشرين أول (أكتوبر) 1935م، ثم

وقعت المعركة الفاصلة بين عز الدين القسام والقوات الإنجليزية قرب قرية الشيخ زيد في أحراش يعبد، وكانت معركة غير متكافئة في أعداد الطرفين، واستشهد عز الدين القسام في نهايتها وكان ذلك في 20 تشرين ثاني (نوفمبر) 1935م.

وكان استشهاد عز الدين القسام سببا في إشعال الثورة في كل أنحاء فلسطين، وكان قد وزع أعضاء تنظيمه على مناطق عدة ورتب أوضاعهم لكي تستمر الثورة، وبالفعل بدأت الثورة في نيسان (أبريل) 1936م واستمرت إلى عام 1939م، وبالفعل كان رجاله الذين رباهم ونظمهم أوفياء لدمه وجهده الذي بذله، وقادوا الثورة في مختلف مناطق فلسطين من الشمال في صفد وعكا، وفي الوسط في نابلس وجنين، وفي الخليل والقدس.

استعرضنا فيما سبق سيرة عالمين جليلين هما الحاج أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسام رحمهما الله، ورأينا أعمالهما في القضية الفلسطينية، ففيم التقت سيرة هذين الفارسين؟ وفيم افترقت؟ التقت سيرتهما بأنهما لم يأبها لمرض

في مختلف القرى والمدن، وبدأ يجمع مجموعات لا تتجاوز الخمسة أشخاص، ثم رفعها إلى تسعة أشخاص، وكان يضع نقيبا لكل مجموعة، وكان يعلمهم أمور دينهم، ثم يبدأ يدرّبهم على السلاح، وسمى هذه المجموعات (الجهادية) وكان الشعار الذي رفعه القسام: "هذا جهاد: نصر أو استشهاد".

وليس من شك بأن عمله كان مراقبا من قبل السلطات الإنجليزية التي زرعت الجواسيس في محيطه، ليتجسسوا عليه وعلى حركته، ومع ذلك فقد قام أتباعه بعدة عمليات ضد المستعمرات اليهودية في فلسطين منها إلقاء قنابل على مستعمرة نهلال عام 1932م.

وفي عام 1935 اجتمع أمران على عز الدين القسام، هما:

الأول: زيادة مراقبة السلطات الإنجليزية له، وخشيته من اعتقاله واعتقال القيادات التي حوله، وهذا سيؤدي إلى إحباط عمله وإنهائه.

الثاني: ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، واتساع مساحة الأراضي التي استولوا عليه، فقد وصل إلى فلسطين عام 1935م 62 ألف يهودي، وتملك اليهود في العام نفسه 73 ألف دونم، حتى كتب المندوب السامي البريطاني قبل نهاية عام 1935م إلى وزارة المستعمرات: "إن خمس القرويين أصبحوا بالفعل دون أرض يمتلكونها، كما أن عدد العمال العاطلين عن العمل آخذ

(1) تاريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب الكيالي: 251.

الجانب السياسي للقضية الفلسطينية، وعمل الثاني في الجانب الجهادي للقضية الفلسطينية، وكلاهما أغنى وأثري القضية الفلسطينية خير إغناء وإثراء، وكان عملهما في صالح القضية الفلسطينية، ثم اجتمع الجهدان، بعد أن اشتعلت الثورة عام 1936م، وقاد الحاج أمين الحسيني الجميع بعد استشهاد عز الدين القسام، ورعى تلاميذ وأبناء العصبة القسامية وتنظيم "الجهادية"، وأصبحوا جميعاً في صف واحد، وأصبح الكيانان كياناً واحداً في كل مراحل القضية الفلسطينية بعد ثورة 1936م، ثم في حرب عام 1948م التي قامت بعد انسحاب انجلترا من فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني في فلسطين، وقد عمل رجالات تنظيم القسام بإمرة الحاج أمين الحسيني في "قوات الجهاد المقدس" التي أنشأها الحاج أمين الحسيني لمواجهة اليهود عام 1948م من خلال "الهيئة العربية العليا" التي أسستها الجامعة العربية عام 1946م، والتي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني، واستمر التعاون بين الحاج أمين وجماعة القسام بل تم اللقاء الكامل بينهما إلى حين وفاته عام 1974م.

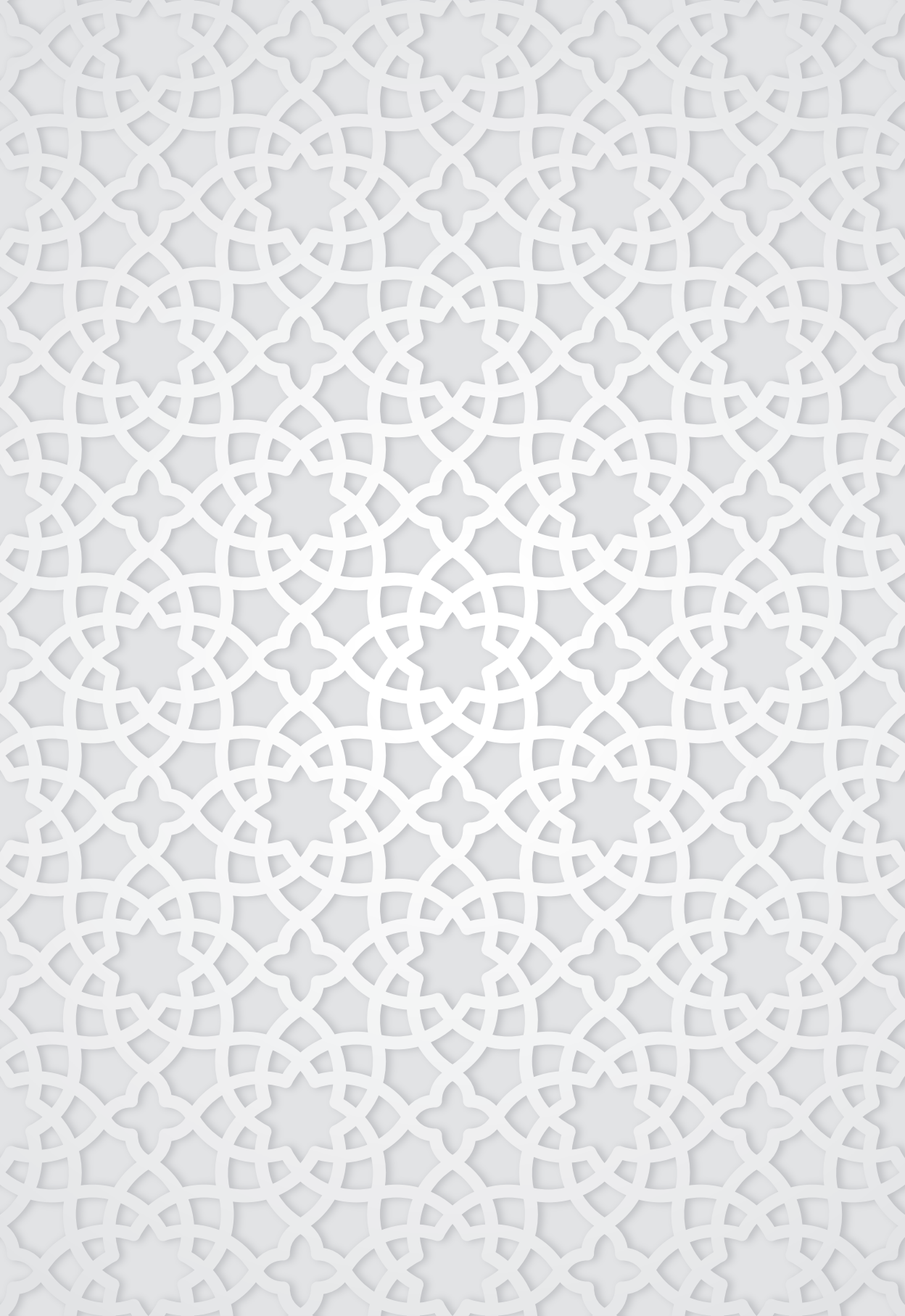
وقد التقى الجهدان (الحسيني والقسامي) في ثورة 1936م، وفي كل مراحل القضية الفلسطينية بعدها، فكانا فارسين عظيمين من فرسان الأمة، تجاوزا مرض القطرية في كثير من مراحل عملهما، فرحمهما الله رحمة واسعة.

القطرية الذي بدأ يتفشى في العالم العربي، ولم يلتزم كل منهما العمل بقطره وحده، بل اعتبر الحاج أمين الحسيني أنه ليس ابن فلسطين فحسب، بل ابناً للأمة الإسلامية، لذلك شارك في أحداث العراق، وساهم في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941م، بل وحث على ذلك، وكذلك اجتمع بهتلر عام 1942م فخطبه باسم العرب جميعاً. كذلك فعل الشيخ عز الدين القسام، فعندما جاء إلى فلسطين، تجاوز انتماءه السوري، واعتبر نفسه ابناً للأمة الإسلامية، وعليه أن يعمل في القضية الفلسطينية، فكلها قضايانا كمسلمين، وهي قضايا أمة واحدة.

لذلك انخرط في القضية الفلسطينية، وحذر من مخاطر الاستعمار الانجليزي والهجرة اليهودية، ونبه إليهما، وحشد جماهير الشعب الفلسطيني لمواجهتهما من خلال منبر جامع الاستقلال، ونظم النابيين من الفلسطينيين الذين تجاوزوا معه، ثم خرج مجاهداً حاملاً بندقيته، ثائراً في مقدمتهم وليس من خلفهم، حتى استشهد في جبال فلسطين.

من الواضح أن العالمين الجليلين غلبا انتماءهما الإسلامي على انتمائهما القطري، وهذا واجب المسلم؛ لأن المسلم ينتمي إلى الأمة الإسلامية وليس إلى جغرافيا محددة.

افترق الحاج أمين الحسيني عن الشيخ عز الدين القسام بأن الأول عمل في



بيت المقدس وواجب الأمة تجاهه

د. عمر مكّي⁽¹⁾

• مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد: فإنه ما نال بيت من الآلام والجراح الشديدة التي ينفر جرحها في كل حين؛ مثلما ناله بيت المقدس وأهله، ومن هنا كان بيت المقدس الثغر النازف الذي يستحق العناية به والتنويه بشأنه، وهذا شأن كل نفيس وعزيز وذو شرف تليد؛ حيث المصائب والمحن ترتبط به وتسقط الأشلاء من أجله وتسيل الدماء الزاكية على جوانبه وحدوده، ولا يطيب الشرب من منهل عذب ما لم تنف عنه الأقداء والأكدار.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم ولقد بذل المسلمون القاطنون حوالي بيت المقدس مهجهم وأروا عدوهم من أجل الدفاع عن بيت المقدس وحرماته كل بأس شديد، وكان عزمهم كحد الحديد؛ وذلك لعظمة ذلك البيت المقدس في إرث الأمة الخالد إذ هو المكان الذي باركه الله تعالى في محكم كتابه بقوله:

((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)) [الأنسراء: 1]. وهو مهبط الرسالات وفيه ظهرت البشارات والآيات وهو بإذن الله تعالى سيكون محطة لنهاية ذوي الخطيئات.

وإذا كانت الأوطان تسترخص في سبيلها المهج والنفوس فكيف يكون الأمر إذا زادت عليها قدسية المكان وإحفاقه بالبركات والخيرات من رب السماوات فهو بذا أخلق أن يحفظ ويصان وأن تسطر فيه البطولات وأن تصل صرخاته وصيحاته الشيب والكهول وليس لسان ناطق يعرب عن شكاته أكثر من لسان حاله من أذى قتلة الأصفياء والأنبياء غصبوا مغناه وأهانوا منزلته، ودنسوا رحمته وحطوا من نفاسته ورياسته، ولكن أنى لهم ذلك فالمعروف قدره والأريج عطره لا ترحزه الزعانف ولا الزواحف.

أبى الله إلا رفعه وعلوه

وليس لما يعليه ذو العرش واضع

وما من فضيلة جاء بها الإسلام إلا ورأى العقلاء نفعها وسموها وصلاحتها للعباد

(1) مسؤول القسم العلمي في هيئة علماء المسلمين في العراق.

وقد نصّ العلماء على ذلك، فقالوا: كان الجهاد في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرض كفاية وقد يكون في عهده -صلى الله عليه وسلم- فرض عين إذا أحاط عدو بالمسلمين كالأحزاب من الكفار الذين تحزبوا حول المدينة؛ فإنه يقتضي شرعاً تعيّن جهاد المسلمين للعدو.

وأما بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد جعل العلماء لهم حالين: الحالة الأولى: أن يكون الأعداء ببلادهم مستقرين بها، وغير قاصدين لبلاد المسلمين؛ ففي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية.

وأما الحالة الأخرى من حالتي الكفار فهي: بأن يدخلوا بلدًا من بلاد المسلمين فيلزم عندئذ الدفاع والجهاد بالممكن منهم، ويكون الجهاد حاليًا فرض عين⁽¹⁾.

والحالة الثانية هي التي تحققت في فلسطين وبيت المقدس؛ ولذا فجهاد الدفع فيها فرض عين على كل قادر؛ لأن الصهاينة قد احتلوا هذا البلد المبارك وسفكوا دماء أهله وهجروهم واستباحوا حرمتهم، ومقاومة العدو الغاصب والصائل من أعظم خصال الخير؛ إذ في الدفاع عن النفوس والأعراض والأموال يتحقق حفظ الضروريات الخمس، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال:

والبلاد، وحفظ مقدسات الإسلام ومنها بيت المقدس؛ هي من معالم الفضائل والمفاخر، ومن هنا كانت ورقة بحثنا؛ لبيان أثر وحدة كلمة المسلمين وقوة موقفهم في الحفاظ على بيت المقدس ومحاولة تخليصه من غاصبيه، والتأكيد على أن ديار المسلمين ينبغي ألا تأوي ناهبًا ولا غاصبًا قد جمع المثالب والمعائب.

ولو تدبر الغافلون هذا الشعور بهذه المسؤولية العظمى فقاموا بحقه حقيقة القيام؛ لأحصوا من الخيرات والثمار الجنيّة الكثير الكثير. ومن الخطأ التسويف والركون إلى الوعود من غير المسلمين في إرجاع الحق السليب إلى أهله وذويه. لا تنتظر أن تنال العتق من أمم

تجارة الرق ما زالت تعاطيها وعود خلف فسل عرقوب يعرفها وسل وزيرهم لا شك ناسيها فالحق يؤخذ لا يعطى مجاملة

فخذ قسرا ولا ترجوه تمويها وبعد هذه المقدمة يحسن بنا أن نبين الحكم الشرعي في حكم دفاع الأمة الإسلامية عن بيت المقدس، واسترداد حقها، وحقوق فلسطين وأهلها جميعًا.

• حكم الجهاد والدفاع عن بيت المقدس:

لا يستريب ولا يشك عاقل ولا منصف بأن إرجاع الحق هو فضيلة راسخة في حياة البشر جميعًا فكيف يكون الأمر إذا كان في دين الإسلام وفقهه، الذي يلزم ويوجب ذلك؛ بل ويمنح الدرجات العلى في الدنيا والآخرة لمن يفعل ذلك ويحقق التكليف الشرعي بشأنه،

(1) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للإمام الشرييني: 8/6.

تأخذوا فوق يديه⁽¹⁾.

وقد بين ابن تيمية ذلك في مجموع الفتاوى فقال: "وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل... فكيف بقتال هؤلاء الخارجين عن شرائع الإسلام المحاربين لله ورسوله الذين صولهم وبغيهم أقل ما فيهم، فإن قتال المعتدين الصائليين ثابت بالسنة والإجماع وهؤلاء معتدون صائلون على المسلمين في أنفسهم وأموالهم وحرمتهم ودينهم وكل من هذه يبيع قتال الصائل عليه"⁽²⁾. وقد نص العلماء في كتبهم على وجوب الدفاع عن النفس من: الحنفية⁽³⁾، والمالكية⁽⁴⁾، والشافعية⁽⁵⁾، والحنابلة⁽⁶⁾. ومن المعلوم أن الكافر المحتل يجب مقاتلته ويُقصد قتله؛ لأنه حربي صائل⁽⁷⁾، وهذه الحقوق لأهل فلسطين وبيت المقدس لا يمكن استردادها بمفردهم؛ ولذا تجب على الأمة جمعاء نصرتهم وإعانتهم؛ لأن الصهاينة قد استهانوا بحرمة الأنفس والأعراض والأموال والبلاد، وكثرت جرائمهم، واشتدت عداوتهم، ولا يجوز شرعاً للأمة أن تفرط أو تضيع حقوقها أو أن تضيع مقدساتها.

ويقول ابن تيمية: "الكافر الحربي الذي يستحل دماء المسلمين وأموالهم ويرى جواز قتالهم أولى بالمحاربة من الفاسق الذي يعتقد تحريم ذلك"⁽⁸⁾. وقال ابن تيمية أيضاً في وجوب إعانة المسلمين الذين لا يستطيعون كف عدوهم عن حرمتهم: "فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال الله تعالى: ((وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)) [الأنفال: 72] وكما أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بنصر المسلم⁽⁹⁾... وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد... كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداءً لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج، بل ذم الذين يستأذنون النبي -صلى الله عليه وسلم- ((يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً)) [الأحزاب: 13] فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس وهو قتال اضطرار وذلك قتال اختيار للزيادة في الدين وإعلائه وإلتهاب

(1) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث (2444)، وقوله: (تأخذوا فوق يديه) كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول، وعبر -صلى الله عليه وسلم- بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة، وقوله بنصر الظالم مجاز؛ لأن منع الظلم من الظالم هو نصر له وهو من باب تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة النبوية وسداد معانيها وجوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم-. وينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 98/5، ط السلفية.

(2) مجموع الفتاوى: 540/28-541.

(3) ينظر: تبين الحقائق للزيلعي: 110/6.

(4) ينظر: حاشية الدسوقي: 357/4.

(5) ينظر: روضة الطالبين للنووي: 188/10.

(6) ينظر: الإنصاف للمرداوي: 304/10.

(7) ينظر: حاشية الدسوقي: 357/4.

(8) مجموع الفتاوى: 470/28.

(9) تقدم تخريج الحديث.

العدو كغزاة تبوك ونحوها⁽¹⁾.

وقد نقل ابن حزم -رحمه الله تعالى- الإجماع في دفاع المسلمين عن بلادهم وعده فرضاً واجباً على البالغين المطيعين فقال: (واتفقوا أن دفاع المشركين وأهل الكفر عن بيضة الإسلام وقراهم وحصونهم وحريمهم إذا نزلوا على المسلمين فرض على الأحرار البالغين المطيعين)⁽²⁾.

وبنحو ما قاله ابن حزم وزيادة، قال ابن تيمية: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان"⁽³⁾.

وقال الإمام الرملي في شرح منهاج الطالبين للنووي: "الثاني من حال الكفار يدخلون، أي دخولهم عمران الإسلام ولو جباله أو خرابه فإن دخلوا بلدة لنا أو صار بينهم وبيننا دون مسافة القصر كان أمراً عظيماً فيلزم أهلها الدفع لهم بالممكن أي من أي شيء أطاقوه... وجب الممكن في دفعهم على كل منهم حتى على من لا جهاد عليه من فقير وولد ومدين وعبد وامرأة فيها قوة بلا إذن ممن مرّ ويغتفر ذلك لمثل هذا الخطر العظيم الذي لا سبيل لإهماله... إذ لا يجوز الاستسلام للكافر"⁽⁴⁾. وبنحوه قال ابن

حجر الهيتمي في تحفة المحتاج⁽⁵⁾.

وقال الحافظ ابن عبد البر الفقيه المالكي المُحدِّث مفصلاً حالات عجز أهل بلدة عن الدفاع عن أنفسهم ووطنهم عند اعتداء العدو الظالم: "الفرض في الجهاد ينقسم أيضاً قسمين: أحدهما فرض عام على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محارباً لهم، فإذا كان ذلك، وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفاً وثقالاً وشباباً وشيوخاً، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من قتل أو مكث، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا قلو أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدرهم ويمكنه غيائهم؛ لزمه أيضاً الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يد على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام، ولم يدخلوها لزمهم أيضاً الخروج إليه"⁽⁶⁾.

• تنبيه وتذكير:

ومما هو جدير بالذكر أن غياب التحريض على نصره بيت المقدس وأهله هو

(1) مجموع الفتاوى: 359/28.

(2) مراتب الإجماع لابن حزم، تحقيق حسن أحمد أسير: 201.

(3) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: 538/5.

(4) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين الرملي: 59/8.

(5) ينظر: تحفة المحتاج بشرح المنهاج: 231/4.

(6) الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: 205.

المواقف الأصيلة، وهي الفتوى المشهورة لرابطة علماء العراق وشيخها المجاهد العلامة (أمجد الزهاوي) سنة (1967م) الصادرة بعنوان: (نداء من جمعية رابطة العلماء في العراق إلى الشعب العراقي الكريم خاصة والعالم الإسلامي عامة) ، وقالوا فيها: "... فنظرًا إلى اشتداد الأزمة الأخيرة بين اليهود الصهاينة المعتدين وبين الأمة الإسلامية بسبب الاعتداءات من هذه العصابة المجرمة بقتل الأنفس البريئة وهدم الحرمات ونهب الأموال، ولخطورة الموقف الذي أصبح يهدد البلاد العربية والإسلامية جمعاء، فإننا نؤكد للامة أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل مسلم يطيق حمل السلاح عملاً بقوله تعالى:

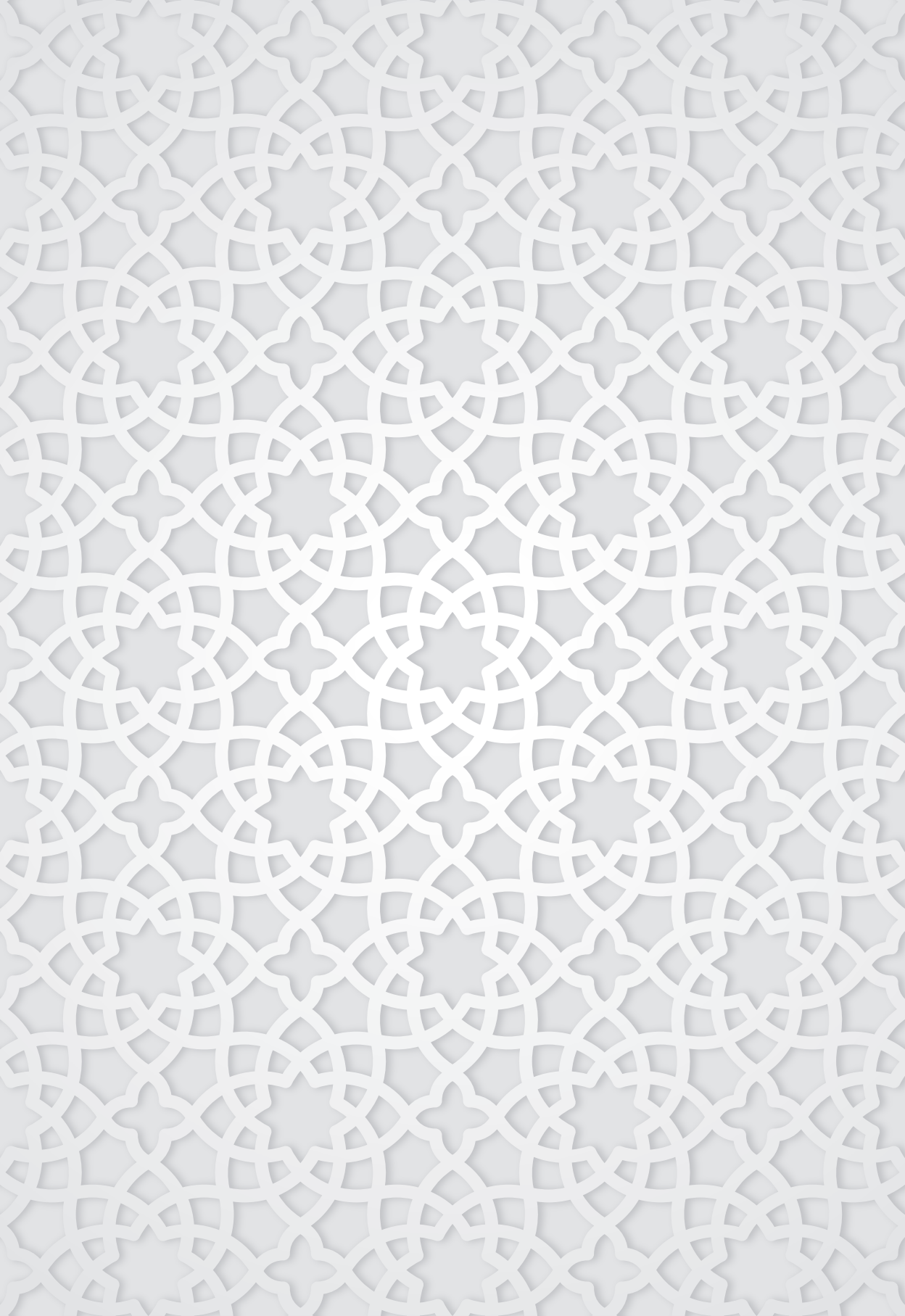
(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) [البقرة: 193]، وقوله تعالى: (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا) [النساء: 74]. وقد وعد سبحانه المؤمنين الصادقين بالنصر والظفر فقال تعالى: (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) [الأنفال: 65 ...] ⁽¹⁾.

ملحظ على تقصير الأمة في التوعية ومعرفة حق الله تعالى وحقوق إخوانهم المسلمين، وقد وجد بحمد الله تعالى في هذه الأمة من الذين سبطوا أسمى البطولات قديمًا وحديثًا، وكانت روح الفداء والتضحيات مما آلمت أعداء الله تعالى وأثخنت فيهم وأذاقتهم غصص المنايا والمهالك، وجرعتهم كؤوس الردى في ميادين المعارك، ومن هنا

يجب تسليط البحث على دور الأمة وأثرها في شحذ الهمم عند تكالب العدو على بيت المقدس وفلسطين، وبيان أن الاسترخاء في المواجهة، وإضعاف واجب الجهاد العيني، وفسح المجال لرفع عقيرة المتخاذلين والمثبطين، هي من أهم أسباب الانكسار وعدم الصمود في مواجهة العدو الغاصب.

وقد استصحب كثير من العلماء الصادقين والمخلص في العقود المتقدمة الحكم الشرعي السابق بيانه، ووعوا مقاصد التشريع في الدفاع عن حياض الأمة والذب عن مقدساتها، وأدلو بمواقفهم الشجاعة بلا مواربة وبعبارات صريحة مباشرة، وهي مواقف أحوج ما نكون إليها اليوم في عصرنا الراهن الذي نلحظ فيه للأسف تنكبًا عن طريق الأمر بمعروف الجهاد والمدافعة، والنهي عن منكر الجبن والتخاذل وتضييع الوطن وخذلن العباد. وبحسبنا هنا أن نستشهد بأحد هذه

(1) مجلة التربية الإسلامية، بغداد، العدد الثامن، السنة التاسعة، ربيع الأول 1387هـ - حزيران 1967م.



الخطر الصهيوني على العراق وواجب علماء العراق وفلسطين في مواجهته

أثر الغزو الأمريكي في التغلغل الصهيوني في العراق

حاتم كريم الفلاحى⁽¹⁾

• المقدمة

والسيطرة على منابع النفط، والهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية على دول المنطقة، وحماية الممرات البحرية لضمان إمدادات الطاقة، وتدفع النفط وبأسعار مناسبة، وكذلك تهئية المنطقة للتقسيم من خلال تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طرحته الإدارة الأمريكية في المنطقة لترسيخ زعامتها الانفرادية في العالم. وفي هذا الصدد يقول الدبلوماسي والعسكري الأمريكي (انتوني زيني) المتخصص في الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، في حوار له في قناة (CBS) الأمريكية في (20/5/2004م): "إن الولايات المتحدة الأمريكية شنت الحرب دفاعاً عن مصالح إسرائيل، كأحد أهم الأهداف الأساسية لها، وبناءً على دعوة المحافظين الجدد داخل الإدارة الأمريكية للدفاع عن مصالح إسرائيل"⁽²⁾. ويؤكد خبراء أمريكيون آخرون أن اللوبي

أوجدت أحداث (2000/9/11م)، بيئة مناسبة للغدرة الأمريكية لتنفيذ مخططاتها في المنطقة بخريعة محاربة الإرهاب، من خلال القيام بعمل عسكري كبير يقود إلى تغيير الأنظمة السياسية في بعض دول المنطقة ومنها النظام السياسي الحاكم في العراق، الأمر الذي ترتب عليه تنصيب نظام حكم جديد حليف، يتلاءم مع المصالح والأهداف (الأمريكية- الصهيونية) في المنطقة، وقد تلخصت أهداف الغزو (الأمريكي-البريطاني) للعراق على المستوى المحلي في احتلاله، وتدمير قوته، وسلب سيادته، وتقسيمه على أساس عرقي وطائفي، ونهب ثرواته، وتجويع شعبه، وإذلاله، ووضعه تحت حكم فاسد تابع لإيران. أما على المستوى الإقليمي والدولي فقد كان الغزو يهدف إلى تدمير مرتكزات القوة العربية لضمان أمن (إسرائيل)،

(1) عميد ركن، باحث في مركز الراقدين للدراسات الإستراتيجية (راسام)، إسطنبول، تركيا.

(2) إستراتيجية إسرائيل إزاء العراق (2)، الحوار المتمدن، فارس كريم فارس، 11/1/2017م: <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=544419&r=0>

المبحث الأول

• الإستراتيجية (الإسرائيلية) تجاه العراق

ترتبت على الغزو (الأمريكي-البريطاني) للعراق نتائج خطيرة سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، وفرض واقعاً جديداً في العراق والمنطقة، فالغزو منح كلاً من إيران و(إسرائيل) فرصة ثمينة لإزالة القوة التي طالما شكلت تهديداً مباشراً لأمنها القومي وعائقاً أمام مخططاتها التوسعية في المنطقة؛

الأمر الذي أدى إلى تمددها وظهورها كقوة إقليمية مؤثرة تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها وتحقيق أهدافها ومصالحها الإستراتيجية في المنطقة⁽²⁾.

لقد احتلت المصالح (الإسرائيلية) أولوية كبيرة ومتميزة في الأجندة السياسية الأمريكية العدوانية ضد العراق، كونها تأتي في إطار المصالح المشتركة بين الدوائر الأمريكية من جهة وبين المنظمة الصهيونية العالمية و(إسرائيل) الرسمية من جهة أخرى، فاللوبي الصهيوني له نفوذ كبير ومؤثر على صانع القرار السياسي والعسكري في أروقة البيت الأبيض، ومجلسي الشيوخ والكونغرس الأمريكي، وهناك نفوذ يهودي مؤثر لإصحاب الشركات، والمصانع العملاقة، وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة، ناهيك عن المنظمات اليهودية السياسية والدينية والتي يزيد عددها عن (34)

الصهيوني في الولايات المتحدة لعب دوراً كبيراً في تشجيع إدارة بوش على احتلال العراق، ومنهم: (ستيفن والتز) الأستاذ في جامعة هارفارد، و(جون ميرشيمر) الأستاذ في جامعة شيكاغو، في دراسة لهما عن اللوبي الصهيوني نشرت في (2006م)، يقولان فيها: "الضغط من (إسرائيل) واللوبي الصهيوني في واشنطن، كان له دور فعال في احتلال العراق، وغالباً لمصلحة إسرائيل، وليس البترول فقط⁽¹⁾."

وبناءً على ما تقدم تم تقسيم الدراسة وفقاً لخطة بحثية تضم مبحث بعنوان: الإستراتيجية (الإسرائيلية) تجاه العراق. قسم هذا المبحث إلى مطلبين. تناولنا في المطلب الأول موضوع العداء التاريخي بين العراق والكيان الصهيوني. ثم تناولنا في المطلب الثاني التحريض (الإسرائيلي) على غزو العراق، في حين جاء المطلب الثالث في التغلغل الصهيوني في العراق بعد الاحتلال الأمريكي (2003م).

وأخيراً أسأل الله -عز وجل- أن تكون دراستي المتواضعة هذه نافعة للجميع، ولست زاعماً أنني قد بلغت الغاية القصوى والهدف المرتجى، فإن وفقت فذلك من فضل الله -عز وجل- ونعمته عليّ وتوفيقه لي، وإن قصّرت فهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر.

(1) الموساد وانفصال كردستان والأمن الإقليمي، أطماع إسرائيلية إستراتيجية عبر البوابة الكردية، مركز الخليج للأبحاث، العدد 124، 2017/10/23م؛ https://araa.sa/index.php?option=com_content&view=article&id=4259&catid=3355&Itemid=172

(2) ينظر في هذه السياق: التغلغل الصهيوني في العراق، د. خالد الناشف: 9، والاختراق الإسرائيلي للعراق بعد الغزو الأمريكي، د. عبد الكريم العلوجي: المقدمة.

عندما قال: "في (2001/9/14م)، أي بعد ثلاثة أيام من الهجمات التي شنتها تنظيم (القاعدة)، اتصل الرئيس (جورج بوش) الابن (بتوني بليز) رئيس الوزراء البريطاني في حينها وأبلغه أن أمريكا ستهاجم العراق وليس أفغانستان فقط"، حيث لعب المحافظون الجدد مثل: (سكوتر لیبی) و(بول وولفويتز)، والمؤرخ (برنارد لويس)، دوراً كبيراً وهاماً وخاصاً في إقناع الرئيس الأمريكي ونائبه على شن هذه الحرب، حيث نصح (وولفويتز) الرئيس بوش الابن "بمهاجمة العراق قبل أفغانستان"، حتى وإن لم يكن هناك دليل على أن (صدام حسين) كان مشاركاً في أحداث (11 أيلول/ سبتمبر)، ولكن بوش رفض هذه النصيحة واختار أن يبدأ بأفغانستان أولاً، وهذا يعني إن غزو العراق أصبح احتمالاً قائماً، وبالفعل ففي (21 نوفمبر عام 2001م)، أوكل بوش للعسكريين الأمريكيين مهمة التخطيط والإعداد لغزو العراق، وهذا يعطي صورة واضحة بأن قرار غزو العراق اتخذته الإدارة الأمريكية لتنفيذ مشروعها في المنطقة، بغض النظر عن جميع الذرائع التي تم تسويقها لشن هذه الحرب⁽²⁾.

وللبحث أكثر في هذا الموضوع سنحاول من خلال مطلبين بيان الجذور التاريخية للعداء بين العراق والكيان الصهيوني، ثم ننتقل في المطلب الثاني لتوضيح الدور الذي لعبته إسرائيل من أجل غزو العراق، وذلك تبعاً لما يأتي:

منظمة، وتعمل بجهود حثيثة لصناعة رأي ضاغط لتحقيق مصالحها ومصالح الكيان الصهيوني، وأشهرها (لجنة الشؤون العامة الأمريكية الصهيونية) المعروفة اختصاراً بـ (آيباك)، التي تعد من أقوى جمعيات الضغط على الإدارة الأمريكية، علماً بأن اللوبي (الإسرائيلي) ورّموزه الأكاديمية، والسياسية، بدأت عملية التمهيد لغزو العراق قبل هجمات (9/11) عندما نشرت إعلاناً على صدر صفحة كاملة في صحيفة (نيويورك تايمز) ترى فيه أن العراق يشكل الخطر الأكبر على دولة الاحتلال (الإسرائيلي). وكان من أبرز الموقعين على هذا الإعلان المفكر الصهيوني المعروف (برنارد لويس) المعروف بمطالبته بتفكيك العراق وإقامة ثلاث دول على أرضه على أسس طائفية وعرقية⁽¹⁾.

وقد أثبتت المعطيات بأن غالبية من يمسك بالملف العراقي في (وزارة الخارجية الأمريكية) و(وزارة الدفاع البنتاغون) و(البيت الأبيض) هم من أعضاء اليمين الإنجيلي الأمريكي المتصهين، وجلهم من أعضاء منظمة (الآيباك) والجميع يدفع باتجاه شن الحرب على العراق، وكشف (بروس رايدل) المستشار الخاص للرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) الابن في ندوة نظمها (مُنْتدى السادات) في واشنطن بمناسبة الذكرى العشرين لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، سراً خطيراً وعلى درجّة كبيرة من الأهمية

(1) ينظر: السّر الخطير الذي كشفه المُستشار الخاص للرئيس بوش الابن، موقع رأي اليوم: (بدون تاريخ): <https://2u.pw/P9n3i>

(2) السّر الخطير الذي كشفه المُستشار الخاص للرئيس بوش الابن، موقع رأي اليوم: (بدون تاريخ): <https://2u.pw/P9n3i>

والاختراق لمؤسسات الدولة العراقية التي تم تشكيلها بعد الاحتلال. وللبحث في هذا الموضوع وبشكل موجز سنحاول بحثه وفقاً للآتي:

الفرع الأول: الدوافع العقدية للتغلغل الصهيوني في العراق.

الفرع الثاني: أول ظهور يهودي في العراق بعد الاحتلال (2003م).

الفرع الثالث: العلاقات الكردية- (الإسرائيلية).

الفرع الأول

الدوافع العقدية للتغلغل الصهيوني

في العراق

قبل أن أدخل في الدوافع العقدية اليهودية والمطامع الحقيقية للدولة العبرية تجاه العراق أريد أن أسوق بعض التصريحات الدالة على ذلك، ومنها: يقول (بن غورين) في عام (1950م) لطلاب الجامعة العبرية: "إن هذه الخريطة ليست خريطة دولتنا، بل إن لنا خريطة أخرى عليكم أنتم مسؤولية تصميمها وهي خريطة الوطن (الإسرائيلي)، الممتد من النيل إلى الفرات"⁽¹⁾. وقال بعد عام (1967م) "لقد استولينا على القدس واستعدناها، ونحن اليوم في طريقنا إلى يثرب"، بينما هتفت (غولدا مائير) عام (1967م)، في زيارة لها إلى أم الرشراش، (إيلات) أنني أشم رائحة أجدادي في الحجاز، وهي وطننا الذي علينا أن نستعيده". وعندما زارت مواقعاً في جنوب طابا تنفسست وقالت: أشم نسيم يثرب وخيبر! كما قالت في (10/7/1969م)، وهي تخاطب

المطلب الأول: العداء التاريخي بين العراق والكيان الصهيوني.

المطلب الثاني: التحريض (الإسرائيلي) على غزو العراق.

المطلب الثالث: التغلغل الصهيوني في العراق بعد الاحتلال الأمريكي (2003م).

المطلب الأول

• العداء التاريخي بين العراق والكيان الصهيوني

إن العداء بين الدولة العراقية والكيان الصهيوني هو عدائي تاريخي فالعراق قبل الاحتلال لا يعترف بدولة اسمها إسرائيل، وقد شارك في جميع الحروب العربية ضد الكيان الصهيوني كدولة مواجهة على الرغم من عدم وجود حدود برية مشتركة مع الكيان الصهيوني، كما إن (إسرائيل) ترى بأن العراق يشكل تهديداً قوياً ومباشراً للأمن القومي (الإسرائيلي)، وقد عملت على تدمير مفاعل تموز العراقي عام (1981م)، ودعمت نظام إيران بالسلاح والعتاد والمعلومات خلال الحرب الإيرانية-العراقية، ثم ساهمت في تدمير البنى التحتية العراقية في حرب الخليج الثانية عام (1991م)، عندما قدمت بنك معلومات مفصل عن القدرات العسكرية والاقتصادية ومنشآت التصنيع العسكري، ثم ساهمت بفرض الحصار الاقتصادي على العراق بعد عام (1991م)، ثم حرّضت وشاركت في الإطاحة بالدولة العراقية السابقة عام (2003م)؛ لتبدأ مرحلة جديدة فيها آفاق واسعة للتنسيق والتعاون

(1) الاستيطان (الإسرائيلي) في العراق؛ إسرائيل التوراتية الكبرى، (بدون تأريخ):

<https://docs.google.com/document/preview?hgd=1&id=1AtXBFIHlaWY0kys8v3JzmrJjorQulYpnnJGj3ji2eQw>

والرغبة التدميرية له، بقوله بعد اجتياح العراق ووصول الاحتلال إلى مدينة بابل: "ها هي تعود من جديد لتدخل في حلف عسكري واحد، وها هي أمم الأرض كما تقول النبوءات العبرانية تشكل نظام دفاع جديد للدفاع عن إسرائيل والانتقام من بابل بقصفها من السماء؛ لأنها هي التي عذبت شعب الله المختار وأغرقتة بالدموع والأحزان" وهناك نصوص توراتية وتلمودية وحقايق موثقة يعزز مقاصدها ما ذهب إليه الجنرال (شوارزكوف) عقب العدوان الثلاثيني على العراق عام (1991م)، حين خاطب بني صهيون قائلاً "لقد قمنا بالحرب من أجلكم!!"⁽²⁾.

الفرع الثاني

أول ظهور يهودي في العراق بعد الاحتلال (2003م)

سارع عدد من اليهود من ذوي الأصول العراقية بعد احتلال العراق إلى توجيه رسالة في (2003/4/25م)، يعبرون فيها عن تضامنهم مع الشعب العراقي، وجاء في تلك الرسالة: "توجيه نداء إلى اليهود من أصل عراقي في أرجاء المعمورة لضم أصواتهم إلى أولئك الذين يشاركوننا رأينا ويشاطروننا مشاعرنا ليعبروا عن تضامنهم مع العراق وأبنائه قولاً وفعلًا". وتم "تشكيل لجنة تضم أعضاء من اليهود من أصل عراقي حيثما كانوا لوضع برنامج تطبيقي لغرض إنجازه في إطار ما يتقرر في هذه الجلسة، ومتابعة تطبيق القرارات عن كثب، والحث على العمل

الجيش (الإسرائيلي): "إن الآخرين لم يحددوا، ولن يحددوا حدودنا، إذ إنه في أي مكان تصلون إليه وتجلسون فيه، يكون هو حدودنا"، بنزعة توسعية واضحة، بينما يقول (مناحيم بيغن): "لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا في أرض إسرائيل، ولن يكون هناك سلام للعرب- أيضًا- ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله من النيل إلى الفرات، حتى ولو وقعنا مع العرب معاهدة الصلح".

ومن الدوافع العقدية أيضًا الأساطير اليهودية الصهيونية التي تروج لضرورة سحق القوة العراقية مبكرًا، حيث يجد اليهود في التلمود المزعوم أن خراب دولتهم الثانية سيكون على أيدي جند أولي بأس شديد يخرجون من أرض بابل، كما خرج نبوخذ نصر الذي خرب دولتهم الأولى قبل آلاف السنين،

فأسر رجالهم وسبى نساءهم وجعلهم عبيدًا، وهذا يفسر لنا ما أصدره بعض الحاخامات اليهود من فتوى تنص على اعتبار العراق جزءًا من أرض (إسرائيل) الكبرى؛ فهم بذلك يطبقون عقيدتهم الدينية التي تقول "إن ما يسمى بهيكل سليمان لن يُبنى إلا إذا خربت بابل" لن يعود الرب حتى يُبنى الهيكل ولن يُبنى الهيكل حتى تؤدب بابل وآشور!!"⁽¹⁾.

لخص القس الإنجيلي (بات روبرتسن) أحد أبرز الآباء الروحيين لتيار المحافظين الجدد -ومنهم بوش ورامسفيلد ودك شيني- المطاعم الصهيونية في العراق

(1) في ذكرى غزو العراق.. لماذا نفذ الأمريكان ومن معهم توصيات التوراة، صحيفة دنيا الوطن، علاء لفته موسى، 19 / 3 / 2014م.

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/323838.html>

(2) المصدر نفسه.

وهذا ما حصل فقد أصبحنا فعلاً بعد احتلال العراق أمام مرحلة جديدة وغير مسبوقه من العلاقات بين الكيان الصهيوني والطبقة السياسية الحاكمة في العراق، وتكرر زيارات سرية لـ (إسرائيل) من قبل مسؤولين عراقيين.

الفرع الثالث

العلاقات الكردية- (الإسرائيلية)

يعود تاريخ العلاقات (الإسرائيلية) مع القياادات الكردية إلى عام (1931م)، حيث نسبت الوكالة اليهودية الصحفي اليهودي (روفين شيلو) مندوباً لها في كردستان العراق وكان ينشط بحجة عمله الصحفي⁽³⁾. علماً بأن جذور العلاقة التي بدأت بين الأكراد والإسرائيليين منذ عام (1942م)، تعمقت بعد قيام الدولة (العبرية)، حيث اتخذ التمدد والتواجد (الإسرائيلي) في إقليم كردستان العراق صوراً وأشكالاً عدة، سياسية واقتصادية وعسكرية واستخبارية خاصة بعد الحظر الجوي الذي فرض عام (1991م)، بحيث أصبحت هناك استقلالية للأكراد بحماية أجنبية توفرها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، الأمر الذي مهد لقيام شبه دولة كردية في شمال العراق، ثم جاء الاحتلال الأمريكي عام (2003م)، ليكون الإقليم الكردي "مستقلاً بحكم الأمر الواقع"، مما سمح لحكومة كردستان بتكثيف علاقاتها الخارجية وبصورة موازية للدولة العراقية المركزية بالتنسيق مع

الناجع والسريع، أما واجباتنا في المستقبل فستقرر في حينه!". وقد كانت هذه الرسالة التي بادر بها (دافيد ساسون) وهو رجل أعمال يهودي من العراق هي أول ظهور علني لليهود في العراق بعد الحرب، وقد كشفت هذه الرسالة النوايا اليهودية تجاه الشعب العراقي، ومدى التخطيط المحكم الذي كان يعمل له اليهود في الكيان الصهيوني ويستعدون لقطف أولى ثماره بعد الغزو الأمريكي⁽¹⁾. وقد بدأت الإدارة الأمريكية ومعها الكيان الصهيوني تطرح التصورات البديلة لعراق ما بعد الغزو والاحتلال، وتم تعيين الجنرال (جاي غارنر) حاكماً أمريكياً للعراق في الأسابيع الأولى من الغزو، ثم تم تبديله بالحاكم المدني (بول برايمر) وكان على رأس هذه التصورات مستقبل العلاقة بين العراق الجديد وبين الكيان العبري، حيث كتب (موشيه إيرز) في صحيفة (هآرتس) العبرية بعد احتلال العراق بأسبوعين مقالاً يقول فيه: "من ناحية إسرائيل يعتبر انتصار أمريكا نبأ جيدة جداً، فالنظام العربي الأكثر عداءً لإسرائيل والذي هدهدها بالأسلحة الكيماوية وأطلق عليها الصواريخ في عام (1991م)، والنظام الذي سيخلفه فإنه لن يشكل خطراً مشابهاً لسابقه خلال السنوات القادمة، وهزيمة صدام حسين تدفع نحو السلام مع (إسرائيل) بخطوة ضخمة إلى الأمام"⁽²⁾.

(1) هل يصبح العراق تحت الاحتلال الأمريكي في قبضة الصهاينة؟، جريدة التجديد المغربية، 2003/11/13: <https://www.maghress.com/attajdid/9814>

(2) الاختراق الإسرائيلي للعراق بعد الغزو الأمريكي، عبد الكريم العلوجي.

(3) ينظر: المصدر نفسه.

متواجدة بمعسكرات البارزاني طيلة هذه السنوات، وكانت هناك وفود (إسرائيلية) دورية تقدم الاستشارة اللازمة في مجال التدريب، والتنظيم، وأساليب قيادة الحرب الحديثة، والاستخبارات، واستخدام الأسلحة الحديثة، فضلاً عن المساعدات المالية والطبية، وقد كان هناك تواجد دائم لأحد عناصر الموساد مع هذه الطواقم التي يتم تبديلها كل ثلاثة أشهر، وغالباً ما كانت هناك وفود طبية لمعالجة الجرحى.

وقد بدأت قنوات الاتصال هذه تأخذ سياقاً آخر في فترة الخمسينيات، حيث كانت الاتصالات تجري بين الجانبين من خلال ثلاث قنوات رئيسية، هي:

أ: عن طريق الاستخبارات الإيرانية.
ب: عن طريق نشاط السفارات (الإسرائيلية) وعلاقاتها مع الأكراد الموجودين في الدول الأوروبية.

ج: عن طريق العلاقات المباشرة مع القيادات الكردية ومنها علاقة ملا مصطفى البارزاني مع صديقه السفير (الإسرائيلي) في إيطاليا (موريس فيتشر)، وعن طريق الوفود التي كانت ترسل إلى كردستان العراق.

- المرحلة الثانية: وتشمل هذه المرحلة ما بعد عام (1991م)، أي بعد خروج العراق من الكويت، حيث تعد مرحلة مهمة وحاسمة في تأريخ العراق الحديث، بعد أن نتج عنها إنشاء إقليم كردي في شمال العراق بحماية أجنبية، بعد أن تم فرض الحظر الجوي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية

الكتلة الشيعية، ولبيان حيثيات الموضوع سنحاول إيجاز أهم المحطات التي شهدتها العلاقات الكردية - (الإسرائيلية) عبر التاريخ إلى الآن، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: مراحل تطور العلاقات الكردية - (الإسرائيلية): ويمكن تقسيم هذه العلاقات على النحو الآتي:

- المرحلة الأولى: وتمتد هذه المرحلة من العلاقات منذ عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ولغاية عام (1990م)، وقد شهدت هذه الفترة تعاوناً كبيراً بين الجانبين أخذ أشكالاً متعددة، وقد فصل الصحفي (شلومو نكديمون) في كتابه (الموساد في العراق ودول الجوار)، ذلك التعاون بين الكيان الصهيوني والأكراد، وتحديدًا بين (مصطفى البارزاني) وبين الموساد (الإسرائيلي)، حيث أمدتها "بالسلاح والمال والأغذية والمعونات الصحية، وكان هناك ممثلون من الموساد (الإسرائيلي) يزورون المواقع الكردية في شمال العراق باستمرار منذ فترة الستينيات"، علمًا بأن (مصطفى البارزاني) زار إسرائيل مرتين، والتقى القادة (الإسرائيليين) وقادة الموساد في أواخر الستينيات؛ لتساعده على تحقيق فكرة قيام حكم ذاتي، علمًا بأن التعاون بين الجانبين كان يجري عبر طهران، ويشير إلى أن هذا التعاون والتنسيق قد شهد نشاطاً متزايداً واستمر لسنوات طويلة، بحيث كانت طواقم المستشارين العسكريين (الإسرائيليين)

ما يزيد عن (130) ألف مقاتل من قوات البيشمركة، مقابل تقديم معلومات مفصلة عن القدرات العسكرية للقوات العراقية؛ حيث يقول السياسي الكردي (محمود عثمان) مستشار (مسعود البارزاني) في هذا الصدد: "الإسرائيليون كانوا يطلبون منا المعلومات عن الجيش العراقي، وبالوقت نفسه يزودونا بمعلومات عن تحركاته، حتى المستشفى الميداني الذي أقامه الإسرائيليون في شمال العراق كان من أهدافه جمع معلومات استخبارية عن العراق لمصلحة إسرائيل"⁽¹⁾.

ثانيًا: علاقة الموساد باستفتاء كردستان: شجعت الدوائر الصهيونية بقوة مشاريع تقسيم العراق، والانفصال عن الدولة العراقية المركزية، وسعت لدعم أي توجه في هذا الصدد، من منطلق تحقيق الإستراتيجية الصهيونية المعروفة التي أعلنها (ديفيد بن غوريون) أول رئيس وزراء إسرائيلي والتي أطلق عليها نظرية (تحالف الأقليات) عام (1948م)، والتي تقوم على تفكيك دول المنطقة إلى كيانات طائفية وعرقية وعنصرية، قائلاً يجب: "علينا أن نكون طرفاً في العملية السياسية في كل دولة عربية لتهديد الأمن القومي العربي، وإثارة الأقليات العرقية والطائفية"⁽²⁾، فضلاً عن خطط ومشاريع أخرى في هذا السياق⁽³⁾.

وبريطانيا بحجة حماية الأكراد عند عرض (36) شمالاً والشيعة عند خط (32) جنوباً، وذلك حسب المشروع الفرنسي الذي قدم لمجلس الأمن الدولي والذي تمخض عنه صدور القرار الرقم (688) من مجلس الأمن في (5 أبريل/ نيسان عام 1991م)، والذي تضمن إنشاء منطقة آمنة شمال العراق بالقوة مما أفقد العراق (40%) من سيادته الجوية على هاتين المنطقتين، الأمر الذي استغلته واشنطن والكيان الصهيوني لتعزيز اتصالاتها بالمعارضة الكردية والشيعة لتقوية نزعتها الانفصالية عن بغداد، ومن هنا كانت البداية الفعلية لتمزيق وتفتيت الدولة العراقية، التي أصبحت عرضة للاختراق الجوي والاستخباري من قبل جهاز الموساد (الإسرائيلي)، والسافاك الإيراني.

- المرحلة الثالثة: وتبدأ من عام (2003م)، أي: بعد الاحتلال الأمريكي للعراق؛ حيث تحولت محافظات كردستان العراق قبل الاحتلال إلى قاعدة عسكرية خليفة للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وبوابة رئيسة للتجسس على العراق تمهيداً لغزوه واحتلاله، ولا سيما بعد أن وضعت الأحزاب الكردية قوات البيشمركة تحت إمرة القوات الأمريكية من أجل مشاركتها في احتلال العراق، علماً بأن الموساد والجيش (الإسرائيلي) دربا

(1) أذرع الأخطبوط (الإسرائيلي) في الدولة العراقية محمد الغياش، موقع صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/mkatarat/iraq/103.htm>

(2) الموساد وانفصال كردستان والأمن الإقليمي، أطماع إسرائيلية إستراتيجية عبر البوابة الكردية، مركز الخليج للأبحاث، العدد (124)، 10/23/2017م:

[2https://araa.sa/index.php?option=com_content&view=article&id=4259&catid=3355&Itemid=17](https://araa.sa/index.php?option=com_content&view=article&id=4259&catid=3355&Itemid=17)

(3) ينظر: المشاريع الكبرى لتقسيم العراق ومحافظاته: 270_299.

بجامعة (بيلكنت) في أنقرة (مصطفى كياروجلو)، في دراسته المنشورة في (ميدل إيست جورنال) عام (2005م)، بأن الإقليم يتيح لإسرائيل "مراقبة البرنامج النووي والصاروخي لإيران، وكذلك النشاط العسكري لتركيا وسورية"⁽²⁾.

وتشير الدلائل إلى أن (إسرائيل) لعبت دورًا كبيرًا في دفع القيادة الكردية إلى المضي قدمًا في قضية الاستفتاء الذي جرى في (25/9/2017م)، رغم الرفض الداخلي لهذه الخطوة حتى على مستوى كردستان العراق نفسها، ناهيك عن نداءات الحكومة المركزية العراقية والمجتمع الدولي لتأجيلها، فقد كان هناك رفض إقليمي ودولي من قبل غالبية الدول في العالم، بما فيها دول الجوار العراقي، والولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، والأمم المتحدة، ودول الاتحاد الأوروبي، والكثير من الدول العربية، باستثناء دولة الاحتلال (الإسرائيلي) التي أعلنت دعمها وتأييدها لهذه الخطوة، وبهذا تعد (إسرائيل) الدولة الوحيدة التي أيدت الاستفتاء، ورُفِعَ علمها من بعضهم في سماء أرييل، الأمر الذي يعكس مدى العلاقة المتينة بين إقليم كردستان العراق وإسرائيل"، علمًا بأن صحيفة (معاريف) الصهيونية كشفت في عددها الصادر بتاريخ (9/5/2015م)، بأن حكومة الإقليم أرسلت مستشارها السياسي الدكتور (ناهر زاغروس) للتباحث مع كبار المسؤولين (الإسرائيليين) حول سبل الدعم السياسي الذي يمكن أن تقدمه

كما أن هناك مشروعًا صهيونيًا آخر أطلق عليه مشروع (ينون)، نشرت تفاصيله منظمة الصهيونية العالمية في مجلة (كيفونيم) عام (1982م)، تحت عنوان: (إستراتيجية إسرائيلية في الثمانينيات)، وقد جاء فيها "إن تقسيم العراق إلى مقاطعات هو أحد أولويات أهداف إسرائيل"⁽¹⁾.

وهذا يفسر ما يجري في المناطق من عمليات تغيير ديموغرافي ضد العرب والترکمان في عدد من المناطق التي يطلق عليها (المناطق المتنازع عليها)، بغرض ضمها إلى كردستان في حال إعلان الدولة الكردية والانفصال، ولعل ما جرى من سيطرة الأحزاب الكردية على الكثير من المناطق بعد حزيران عام (2014م)، هو خير دليل على التوجه نحو تنفيذ هذا المشروع.

إن الاهتمام (الإسرائيلي) المتزايد بكردستان العراق يعود لأسباب كثيرة ومهمة وهي تتلخص في الأهمية الجيوستراتيجية للإقليم، ووجود مجتمع كردي يهودي في إسرائيل، كما أن التواجد العسكري والأمني والاستخباري (الإسرائيلي) في كردستان يوفر إنذار مبكر لإسرائيل ومحطة دفاعية متقدمة تمكّنها من شن حرب استباقية ضد أي هجوم صاروخي باليستي، أو على الأقل تدمير الصواريخ الباليستية المعدة للهجوم قبل إطلاقها، ما يعطي لإسرائيل ميزة إستراتيجية على أعدائها في الشرق الوسط حيث يقول: الأستاذ

(1) الجائزة الكبرى، لماذا تسعى إسرائيل لجذب العراق إلى التطبيع، ميرفت عوف الجزيرة نت، 2021/10/20: <https://2u.pw/DbVxs>

(2) نجمة داوود في سماء كردستان، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2010/7/21: <https://2u.pw/PuNeS>

دويلات: كردية في الشمال، وسنية في الوسط، وشيعية في الجنوب، الأمر الذي سيضعفه كجبهة شرقية، ودولة مواجهة قوية، طالما شكلت تهديدًا مباشرًا للأمن القومي (الإسرائيلي) رغم البعد الجغرافي، كما أن هذه الخطوة تعني شراكة إستراتيجية مع تل أبيب للتخفيف من عزلتها في المنطقة⁽³⁾.

ثالثًا: مؤتمر التطبيع في أربيل: احتفت بعض الدوائر الأمريكية بأنباء المؤتمر الذي عقد في مدينة أربيل بتاريخ (2021/9/24م)، والذي أطلق عليه مؤتمر (السلام والاسترداد)، وقد نظمته (مركز اتصالات السلام) وهو -كما يعرف نفسه-: منظمة غير ربحية مقرها نيويورك "تسعى إلى تعزيز علاقات أوثق بين الإسرائيليين والعالم العربي"! وقد حضرته عشرات الشخصيات من مكونات مختلفة، وقد أسهمت بعض الدوائر الأمريكية في عقد المؤتمر والذي نشرت عنه في صحيفة (وول ستريت جورنال) مقالة رأي حول الموضوع وأطلقت حملة إعلانية عنه على وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة تويتر، لحمل الإدارة الأمريكية على إعلان دعمها للمؤتمر، حيث تحدثت بعض الشخصيات ومنهم المدعو (وسام الحردان) وهو شخصية عشائرية وقائد أحد فصائل الصحوة في محافظة الأنبار، قائلًا: "إننا اتخذنا

(إسرائيل) للتحرك الكردي الهادف إلى تأمين اعتراف دولي بالاستقلال عن العراق⁽¹⁾.

وقد أعلن رئيس الوزراء (الإسرائيلي) (بنيامين نتنياهو) في (2017/9/13م) دعم حكومته "لجهود الشعب الكردي المشروعة لقيام دولته"، علمًا بأن رئيس الوزراء (الإسرائيلي) قد حث الرئيس (الإسرائيلي) (شمعون بيريز) عام (2014م)، على مفاتحة الرئيس الأمريكي (بارك أوباما) لتغيير موقف إدارته من استقلال كردستان⁽²⁾، وكذلك فعل وزير الخارجية (الإسرائيلي) السابق (أفيغدور ليبرمان) عندما اتصل بنظيره الأمريكي (جون كيري) في (2014/6/22م)، حاثًا إياه على تغيير موقف بلاده من استقلال كردستان، على اعتبار أن العراق مقسم عمليًا. وجزم معلق الشؤون العسكرية (ألون بن دافيد) لصحيفة (معاريف) في (2015/6/30م)، بأن (دولة كردية تضم أجزاءً من العراق وإيران وسوريا وتركيا ستمثل "حليف الأحلام بالنسبة لإسرائيل"، ولهذا فإن (إسرائيل) تشجع على قيام دولة كردية في شمال العراق من أجل مصالحها الإستراتيجية والجيوستراتيجية والاقتصادية والعسكرية؛ لأن قيام هذه الدولة سيسهم في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، وهذا يتطلب التعجيل بتقسيم العراق إلى ثلاث

(1) ينظر: الأبعاد الإستراتيجية في علاقة إسرائيل بكردستان العراق، صالح النعماني، الجزيرة نت، 2015/8/26م: <https://2u.pw/dYh8m>

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: المصدر نفسه.

دعوات القادة العراقيين للسلام بأن "الحدث في العراق مصدر أمل وتفاؤل، فإسرائيل تبحث دائماً عن طرق لتوسيع دائرة السلام"، وأضاف "منذ تولي هذه الحكومة مقاليد الأمور، كان هدفنا توسيع الاتفاقيات الإبراهيمية"⁽²⁾.

وقد أثار هذه المؤتمر ضجة كبيرة في الشارع العراقي الرافض للتطبيع مع الكيان الصهيوني هذا بالإضافة إلى الرافض الرسمي الذي وصل إلى إصدار أوامر قضائية بحق المنظمين لهذا المؤتمر، وهنا أسأل كيف سمحوا لهم بإقامة هذا المؤتمر بإعطائهم موافقات أمنية وهم رافضين له؟ وهل يجزؤ أحد على إقامة مثل هذا المؤتمر -غير المسبوق- ما لم تكن هناك موافقات رسمية؟ وضوء أخضر؟ بما فيه أنه مدعوم من جهات سياسية ورسمية وبقوة، علماً أنني لم أسمع عن اعتقال أي ممن صدرت بحقهم هذه المذكرات! لذا فهو جس نبض للشارع العراقي الذي أظهر رفض شعبي عارم، علماً أن الكثير من الحاضرين في المؤتمر ظللوا وخرجوا عندما عرفوا الحقيقة! والبعض الآخر بدأ يتنصل عن مسؤولية الحضور، ولكنه في النهاية هو اختراق كبير وغير مسبوق وهو خطوة ستؤسس لخطوات قادمة سيقدم عليها النظام السياسي الحاكم في العراق.

الخطوة الأولى للاجتماع علناً في أربيل وسنسعى بعد ذلك إلى إجراء محادثات مباشرة مع الإسرائيليين" وأضاف "على العراق الاعتراف بإسرائيل، قبل أن يصبح مثل لبنان الذي ابتلغته الميليشيات بالكامل"، وعبر عن أمله في التحاق العراق ببقية الدول العربية المشاركة في اتفاقية (أبراهام)⁽¹⁾. ثم تلت كلمته كلمة الموظفة في وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية (سحر الطائي) قائلة: "من الضروري والحتمي، من أجل السلام الإقليمي، الاعتراف بإسرائيل دولة صديقة.. (نحن) نريد السلام مع إسرائيل"، وأضافت "لا يحق لأي قوة، سواء كانت محلية أم خارجية، أن تمنعنا من إطلاق مثل هذا النداء"، وكذلك تحدث (سعد العاني) حول التطبيع مع (إسرائيل) لبناء العراق الجديد حسب وصفهم.

أما على الجانب (الإسرائيلي) فقد غرّد رئيس الوزراء (الإسرائيلي) (نفتالي بينيت) بعد المؤتمر مباشرة قائلاً: إن "مئات الشخصيات العامة العراقية، من السنة والشيعة، اجتمعوا أمس للدعوة إلى السلام مع إسرائيل.. هذه دعوة تأتي من أسفل لا من أعلى، من الشعب لا الحكومة.. الاعتراف بالظلم التاريخي الذي تعرّض له يهود العراق مهم بشكل خاص.. دولة إسرائيل تمتد يدها بالسلام" بينما عقب وزير الخارجية (يائير لبيد) على

(1) الجائزة الكبرى، لماذا تسعى إسرائيل لجذب العراق إلى التطبيع، الجزيرة نت، 2021/1/20م: <https://2u.pw/DbVxs>

(2) التطبيع، جدل في العراق بعد دعوات لإقامة علاقات مع إسرائيل أثناء مؤتمر في إقليم كردستان، بي-بي-سي عربي، 2021/9/25م:

<https://www.bbc.com/arabic/trending-58691036>

المطلب الثاني

• التحريض (الإسرائيلي) على غزو العراق

لقد لعبت (إسرائيل) واللوبي الصهيوني دوراً حيوياً في تحريض الولايات المتحدة الأمريكية على غزو العراق، وقد كان ذلك واضحاً وجلياً في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاستخبارية، خصوصاً وإن إدارة بوش كان يهيمن عليها التيار المحافظ الموالي لإسرائيل، والذي يدفع وبحرض الإدارة الأمريكية على شن العدوان على العراق واحتلاله وتدميره⁽¹⁾.

كما كتب رئيس الوزراء السابق (إيهود باراك) في صحيفة (النيويورك تايمز): "محذراً من أن الخطر الأكبر يكمن في عدم اتخاذ إجراء"، فيما كتب (بنيامين نتنياهو) في مقال له نشر بصحيفة (وول ستريت جورنال)، بالقول: "في هذه الأيام ليس هناك أقل أهمية من إسقاط النظام العراقي"⁽²⁾.

وأشارت (صحيفة هآرتس) (الإسرائيلية) في فبراير عام (2003م)، في مقال لها: إلى "أن القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية تتوق إلى شن الحرب على العراق"، وقد أبدى الكثير من القادة الإسرائيليين رغبتهم الجامحة لشن الحرب ضد العراق لدرجة أن الولايات المتحدة الأمريكية وجهتهم بتخفيف وكتم هذه الرغبة الجامحة حتى لا يقال بأن هذه الحرب قد جاءت من أجل إسرائيل⁽³⁾. علماً

بأن نائب الرئيس الأمريكي (ديك تشيني) قاد حملة تحريضية واسعة شملت لقاء مع المحاربين القدامى في (16 أغسطس عام 2002م)؛ للتحريض ضد العراق، وقد وصفت (صحيفة واشنطن بوست) في مقال لها بأن: إسرائيل تحض المسؤولين الأمريكيين على عدم تأخير شن الحرب والضربة العسكرية ضد نظام صدام حسين، وقد حشدت الجماعات اليهودية كل قواها السياسية لدعم الرئيس الأمريكي في حربه ضد العراق. وقد نشرت (صحيفة يديعوت أchronوت) إن قادة اللوبي اليهودي في أمريكا، أكدوا على ضرورة تخليص العالم من (صدام حسين) وأسلحته ذات التدمير الشامل، كما ذكرت بعض الصحف الأمريكية بأن موضوع أمن إسرائيل يُسرّع عوامل الحرب⁽⁴⁾.

ولبحث هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً، سنقوم بتقسيمه إلى ثلاثة فروع، وفقاً للآتي:

الفرع الأول : توريط العراق بالحروب لإضعافه تمهيداً لاحتلاله.

الفرع الثاني: الرؤية الأمريكية- (الإسرائيلية) لتغيير خرائط المنطقة.

الفرع الثالث: التحالف العسكري الأمريكي- الإسرائيلي لاحتلال العراق.

الفرع الأول

توريط العراق بالحروب لإضعافه تمهيداً لاحتلاله

نجحت جهات عدة في الثمانينيات الميلادية من إنشاد حرب ضروس بين العراق

(1) ينظر عن هذا التحريض: الاختراق الصهيوني للعراق: 113، والإعلام والحرب: العراق نموذجاً، د. عبد الكريم العلوي: 280_282.

(2) السّر الخطير الذي كشفه المُستشار الخاص للرئيس بوش الابن، موقع رأي اليوم: (بدون تاريخ): <https://2u.pw/P9n3i>

(3) مقاتل من الصحراء، التعاون الأمريكي الإسرائيلي خلال الحرب على العراق وما بعدها، خالد بن سلطان بن عبد العزيز، مايو، 1995م.

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Isar-Ameri/sec16.doc_cvt.htm

(4) ينظر: المصدر نفسه.

أثقلت كاهله في إعادة بناء مؤسسات الدولة، بما فيها القوات المسلحة بمختلف صنوفها وخاصة القوة الجوية، والدفاع الجوي، والقوات البرية وخاصة القوات المدرعة منها، ومع هذا كله فقد خرج العراق من هذه الحرب ليشكل كابوساً وتهديداً إستراتيجياً للكيان الصهيوني وفقاً للتقديرات العسكرية الصهيونية، ثم جاءت الفرصة سانحة مرة أخرى لـ (إسرائيل) للتخلص من القدرات العسكرية العراقية عند غزو الكويت في (2/8/1990م).

الفرع الثاني

الرؤية الأمريكية-(الإسرائيلية) لتغير خرائط المنطقة

واصلت (إسرائيل) ضغطها على الولايات المتحدة الأمريكية من خلال اللوبيات اليهودية المتواجدة في واشنطن من أجل القيام بعمل عسكري لغزو العراق حسب الرؤيا الأمريكية الجديدة للمنطقة ومشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي بشرت به وزيرة الخارجية الأمريكية (كونداليزا رايبس) لتحقيق العديد من الأهداف

ومنها السيطرة على منابع النفط، وحماية (إسرائيل) بما يؤمن قيام دولتها الكبرى من النيل إلى الفرات، ونشر الديمقراطية بإزاحة النظام العراقي الحاكم لمنعه من حيازة أسلحة التدمير الشامل، وإعادة تشكيل ورسم خريطة المنطقة الإقليمية بما يخدم المصالح (الإسرائيلية) في إطار خطة شاملة لتهيئة الواقع العربي لإيجاد حل للنزاع العربي-(الإسرائيلي)، وتحويله

وإيران اللتين تعدان أقوى دولتين في المنطقة، لإنهاكهما وإضعافهما، وقد استمرت الحرب لثمان سنوات طاحنة، عملت فيها (إسرائيل) على إطالة أمد هذه الحرب من خلال إمداد إيران بالسلح والمعلومات عبر وسطاء وبصورة مباشرة وهذا ما عرف (بفضيحة إيران جيت، ثم جاءت الفرصة مؤاتيه لـ (إسرائيل) مرة أخرى لتقوم بتوجيه ضربة جوية استباقية لمفاعل تموز العراقي في (5 حزيران عام 1981م)، تجسيدا للنظرية الأمنية (الإسرائيلية) التي تقوم على الضربة الوقائية (ضربة استباقية)؛ لأنها لا تسمح لأي دولة معادية لـ (إسرائيل) بامتلاك أسلحة التدمير الشامل وهذا ما صرح به (مناحيم بيغن) قائلاً: "لا يمكن لإسرائيل أن تسمح لدولة معادية بتطوير أو حيازة سلاح للتدمير الشامل"⁽¹⁾. وقد كانت هذه الضربة بضوء أخضر أمريكي؛ استغلالاً لانشغال العراق بالحرب وعدم قدرته على فتح جبهتين في آن واحد، وقد كانت هذه الضربة تعبيراً واضحاً عن مدى القلق (الإسرائيلي) من تعاظم وتطور القوى العسكرية العراقية على المستوى الإقليمي.

وبعد انتهاء الحرب (العراقية-الإيرانية) ازدادت المخاوف (الإسرائيلية) من خروج العراق منتصراً من هذه الحرب بأكبر جيش عرفته المنطقة في تاريخها، بعد انتصاره على الجيش الإيراني بكل إمكانياته وقدراته العسكرية، ولكنه بنفس الوقت خرج منهكاً ومثقلًا بمديونية مالية كبيرة

(1) حروب إسرائيل في العراق، سقوط الجبهة الشرقية وتفكك العالم العربي، زياد العناني، جريدة الغد الأردنية، 2011/7/25م، <https://2u.pw/uh2He>

الأمريكية و(الإسرائيلية)، حيث تولت هذه الغرفة مسؤولية توفير وتجهيز كل المستلزمات القتالية واللوجستية والإعلامية والعسكرية والاستخبارية اللازمة لاحتلال العراق، وقد أشار الكاتب الصهيوني (بوعز غاوون) في مقال له نشرته صحيفة معاريف (الإسرائيلية) تحت عنوان: (قواتنا في العراق)، أكد فيه حقيقة التواجد الصهيوني، وقال صراحة إن (إسرائيل) دخلت العراق لتأخذ حصتها "ويضيف إن كل "دبابة أو طائرة أو سفينة حربية أمريكية في العراق، كان يقودها أمريكي ومساعد إسرائيلي"⁽³⁾.

وهذا اعتراف صريح بمشاركة الكيان الصهيوني بالحرب على العراق، من يراجع ويتابع التصريحات والتحركات يتوصل إلى قناعة تامة بأن الأمريكيين خططوا وصمموا هذه الحرب لخدمة المصالح (الإسرائيلية)، على المدى البعيد، وقد اعترف بذلك عضو لجنة الشؤون الأمريكية (الإسرائيلية) العامة (باري جاكوب) في (مارس عام 2005م): والذي قال "إن الاعتقاد الموحد بتأمر (إسرائيل) والمحافظين الجدد على الولايات المتحدة الأمريكية لدفعها إلى الحرب على العراق، كان تدخلاً وتغلغلاً من الاستخبارات الأمريكية من هذين الطرفين، وحتى الآن فإن فئة قليلة من الشعب تذكر ذلك علانية، وأن الأغلبية منهم ومن ضمنهم السناتور "إيرنست هولنفر"،

إلى نزاع عربي- فارسي، وقد أكد رئيس الأركان (الإسرائيلي) (موشى يعالون) قائلاً: "إن الهجوم العسكري الأمريكي على العراق سيؤدي إلى زلزال إقليمي، يخلق أوضاعاً جديدة ويعيد توزيع القوة في المنطقة"⁽¹⁾.

وهذا ربط واضح من (يعالون) بين مصالح (إسرائيل) وأمريكا ونتائج هذا الزلزال ربطاً مباشراً. ومما يعزز هذا الطرح ما كتبه (وليم كريستول) في صحيفة (ويكلي ستاندرد) قائلاً: "كان تحرير العراق أضخم معركة من أجل مستقبل الشرق الأوسط، مما فتح الباب واسعاً أمام النفوذ الصهيوني والإيراني للتغلغل بالعراق والمنطقة على حد سواء للسيطرة والهيمنة عليها"، وما نشرته صحيفة (وول ستريت جورنال) قائلة: "أحلام الرئيس بوش ليس فقط في تغيير النظام بالعراق، ولكن في المنطقة كلها"⁽²⁾.

الفرع الثالث

التحالف العسكري الأمريكي- (الإسرائيلي) لاحتلال العراق

يعدّ التحالف الأمريكي-(الإسرائيلي) تحالفاً إستراتيجياً مصيري لتنفيذ حلم الإمبراطورية الأمريكية والدولة اليهودية الكبرى، فالصهيونية العالمية والدولة الصهيونية في فلسطين شاركت في رسم خرائط الحرب على العراق، وكانت لها مشاركة فعلية مباشرة في غرفة العمليات المشتركة بين وزارتي الدفاع

(1) مقاتل من الصحراء، التعاون الأمريكي الإسرائيلي خلال الحرب على العراق وما بعدها: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Isar-Ameri/sec16.doc_cvt.htm

(2) المصدر السابق.

(3) الأكراد وإسرائيل وأمريكا واحتلال العراق.. أحداث ومواقف، توفيق المديني، 2019/5/3م: <https://2u.pw/iQ9YW>

الإستراتيجي⁽³⁾، مما يعني الحصول على المعلومات، والتمهيد لعمليات عسكرية يمكن أن تقوم بها قوات (إسرائيلية) في الفترة المقبلة، كما تشير المعلومات بأن (إسرائيل) خطت للمشاركة الفعلية بالحرب في حال قصفت الأراضي المحتلة بصواريخ عراقية.

لقد أخذ التواجد (الإسرائيلي) في العراق واجهات متعددة منها سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وثقافية، وأمنية، واجتماعية وقد تمثل هذا التواجد بقوات عسكرية نظامية، وخبراء ومستشارين عسكريين، وبين تواجد غير رسمي لجهاز الموساد (الإسرائيلي)، وبين شركات أمنية ورجال أعمال ومقاولات،

ومتعهدين لشركات صناعية، وتجارية، ومراكز دراسات وبحوث، وشركات استشارية لدراسات المشروعات، وقوات أمن ضمن الشركات الأمنية الخاصة التي تعمل في العراق من مختلف دول العالم، والتي تقوم بعمليات معاونة للجهد العسكري والإداري للقوات الأمريكية.

المطلب الثالث

• التغلغل الصهيوني في العراق بعد الاحتلال الأمريكي (2003م)

يعد الكيان الصهيوني وإيران هما المستفيدان الأكبران من الاحتلال الأمريكي-البريطاني للعراق عام (2003م)، خصوصاً بعد أن خرج العراق من دائرة الصراع العربي (الإسرائيلي) ومن

والممثل (جيمس موران)، قد أدينوا بمجرد رفعهم لهذا الصوت إزاء هذه القضية، وإن هناك اتجاه واضح، أن (إسرائيل) واللوبي اليهودي، كانا عاملين رئيسيين مؤثرين في رسم القرار الأمريكي لشن الحرب على العراق⁽¹⁾.

لقد كان التعاون بين واشنطن وتل أبيب كبيراً وعلى مستوى عالٍ من التنسيق في المواقف بين البلدين، وقد تم الاتفاق على: "أن تحصل إسرائيل على إنذار مبكر بالحرب قبل بدء العمليات بـ (72) ساعة، على أن يكون هناك اتصال مباشر بين بوش وشارون، على أن يظل الاتصال قائماً على مستوى وزارة الدفاع، وتخصص الولايات المتحدة عدة أقمار صناعية لخدمة إسرائيل، حتى يمكن اكتشاف الصواريخ العراقية ليصل زمن الإنذار المبكر إلى (7) دقائق من لحظة الانطلاق"⁽²⁾. كما سيتم فتح جسر جوي ينقل إلى إسرائيل معدات عسكرية تستخدم احتياطياً لاستمرار الهجوم، مع تخزين قطع غيار للمعدات الأمريكية ويمكن نقلها إلى البحرين والكويت إذا دعت الضرورة لذلك. وتدل المعطيات في العراق على أن التعاون الأمريكي (الإسرائيلي) تجاوز سقف التشاور إلى المشاركة الفعلية في الحرب؛ حيث تشير المعلومات إلى "وصول قوات أمريكية من الوحدات الخاصة مطعمة بجنود إسرائيليين إلى الأراضي العراقية في إطار عمليات الاستطلاع

(1) كتاب: مقاتل من الصحراء، التعاون الأمريكي الإسرائيلي خلال الحرب على العراق وما بعدها:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Isar-Ameri/sec16.doc_cvt.htm

(2) كتاب: مقاتل من الصحراء، التعاون الأمريكي الإسرائيلي خلال الحرب على العراق وما بعدها:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Isar-Ameri/sec16.doc_cvt.htm

(3) المصدر نفسه.

من دول المنطقة مع مصالح المؤسسات الأمنية الأمريكية والبريطانية، لاختراق مؤسسات الدولة العراقية السابقة، وتحقيق مصالح إستراتيجية مشتركة وراجعة لهذه القوى التي عملت على تجنيد الكثير من العملاء والجواسيس لتحقيق أهدافها ومصالحها، ودفع عدد من الشخصيات المخبرانية والاستخبارية مع فرق التفتيش للتجسس على العراق، وهذا ما صرح به (رولف إيكوس) كبير مفتشي الأمم المتحدة، الذي اتهم الولايات المتحدة الأمريكية وقوى أخرى "باستغلال فرق التفتيش بالعراق لتحقيق مصالح سياسية خاصة، بما فيها مراقبة تحركات الرئيس العراقي"، وقال الدبلوماسي السويدي الذي رأس أول عمليات التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق من عام (1991م إلى عام 1997م)، أنه "في بعض الأحيان كانت الأزمات تفتعل لتصبح أساساً محتملاً لعمل عسكري" وأضاف "بأنه كانت هناك رغبة أمريكية للحصول على معلومات عن كيفية تنظيم الأجهزة الأمنية العراقية، وعن القدرات العسكرية التقليدية"⁽²⁾. وسنبحث حيثيات هذا الموضوع المهم، كما يأتي:

الفرع الأول: التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الأمني.
الفرع الثاني: التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى السياسي.
الفرع الثالث: التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الاقتصادي.

موازن القوى في المنطقة، الأمر الذي فتح الباب واسعاً أمام النفوذ الصهيوني والفارسي للتوسع والتغلغل والتواجد المباشر في العديد من دول المنطقة ومنها العراق، لاسيما وإن (إسرائيل) كانت حاضرة ومتواجدة ميدانياً منذ اللحظات الأولى لغزو العراق بمستشاريها وخبرائها العسكريين وأجهزتها الأمنية، التي تشمل الموساد الذي يتولى إدارة العمليات الاستخبارية في الخارج، وجهاز (الشاباك) الذي يتولى مهام الأمن الداخلي، وجهاز (أمان) الذي يتولى إدارة الأمن الميداني ومكافحة التجسس"، والتي قدمت الدعم والأسناد والمعلومات اللازمة للمؤسسات العسكرية الأمريكية لتثبيت احتلالها للعراق، كما ساعدتها في تدمير القوات العسكرية، ومنشأتها الصناعية العسكرية والمدنية، لبسط هيمنتها على المدن العراقية، على نحو معد ومخطط له مسبقاً، كما أن هناك معلومات كثيرة أشارت لها صحف أمريكية وبريطانية تؤكد على مشاركة وحدات عسكرية (إسرائيلية) في سير المعارك، وقالت بعض هذه المصادر: "إن ثمة وحدتين عسكريتين إسرائيليتين اجتازتا الحدود وتعملان في غرب العراق، ولهذا لم يكن غريباً أن يدعو مجلس حاخامات المستوطنات إلى إقامة الصلوات من أجل سلامة جنود الاحتلال الذين يحاربون في العراق، وقد شارك السفيران الأمريكي والبريطاني في تل أبيب في تلك الصلاة"⁽¹⁾. وقد توافقت المصالح الإستراتيجية لعدد

(1) التغلغل اليهودي في العراق... إلى أين، موقع المسلم نت، 20 ذي الحجة 1424هـ: <https://almoslim.net/node/85331>

(2) إيكوس يعترف: أمريكا استغلت فرق التفتيش لخدمة مصالحها، مجلة البيان نقلًا عن وكالة (رويتزر)، 2002/7/31م.

الطريق أمام عودة العراق ليكون دولة مواجهة مع إسرائيل، والإدارة الأمريكية حريصة على ضمان مصالحنا وعلى توفير هذه الضمانات عبر وسائل مختلفة... فالمعادلة الحاكمة في حركتنا الإستراتيجية في البيئة العربية تنطلق من مزيد من تقويض حزمة القدرات العربية في دولها الرئيسية، من أجل تحقيق المزيد من الأمن القومي الإسرائيلي". وينتهي إلى القول: "إن العراق تلاشى كقوة عسكرية وكبلد متحد، وخيارنا الإستراتيجي الآن ينصب بقوة على إبقائه مجزأ، كما أن تحييد العراق عن طريق تكريس أوضاعه الحالية يشكل أهمية إستراتيجية للأمن الاسرائيلي في المرحلة القادمة"⁽¹⁾.

ولا شك بأن جهاز المخابرات الصهيوني الموساد قد نفذ اختراقات استخبارية في العراق قبل وبعد الاحتلال وعلى جميع المستويات، خصوصاً بعد أن وفرت له القوات المحتلة الغطاء اللازم لتنفيذ عمليات خطيرة تتعلق بجمع المعلومات وتحليلها، والعمل على الأرض،

والتقصي والتفتيش عن برامج أسلحة التدمير الشامل العراقية، حيث سعى جهاز الموساد (الإسرائيلي) في العراق خلال هذه الفترة إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية، هي:

الهدف الأول: إعادة بناء وتشكيل وتشغيل شبكة الموساد (الإسرائيلي) في العراق بناءً على المعطيات والتطورات الجديدة المتمثلة باحتلال العراق، وتدمير مؤسسات الدولة العراقية وخاصة الأمنية

الفرع الرابع: التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الثقافي.
الفرع الخامس: التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الاجتماعي.

الفرع الأول

التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الأمني

لعبت (إسرائيل) دوراً قذراً في العملية الممنهجة لتدمير القدرات العراقية فالهدف الإستراتيجي (الإسرائيلي) هو تقسيم العراق، وإبقائه مجزأ، وضعيفاً، وبعيداً عن محيطه العربي، وإبقاء العراق ضمن دائرة الصراع الداخلي وبما يجعله منكفاً على نفسه، وبذلك يتم تحييده وإخراجه من معادلة القوة الإقليمية في المنطقة. يقول وزير الأمن القومي (الإسرائيلي) الأسبق (آفي ريكتر) في محاضرة له في معهد الأمن القومي (الإسرائيلي) "ليس بوسع أحد أن ينكر أننا حققنا الكثير من الأهداف على هذه الساحة، بل وأكثر مما خططنا له وأعدنا في هذا الخصوص، ويجب استحضار ما كنا نريد أن نفعله وننجزه في العراق منذ بداية تدخلنا في الوضع العراقي منذ بداية عقد السبعينات من القرن العشرين"، ويضيف بأن "هدفنا الإستراتيجي كان وما زال عدم السماح لهذا البلد أن يعود إلى ممارسة دور عربي وإقليمي، لأننا أول المتضررين من هذا الدور، لذلك نعمل على إيجاد ضمانات لبقاء العراق خارج دائرة الدول العربية" ويضيف أيضاً قائلاً: "نحن نتفاوض مع الأمريكان من أجل قطع

(1) اعترافات إسرائيلية حول العراق، د. أحمد القطامين، موقع عمون، 11/8/2009م: <https://www.ammonnews.net/article/4851>

وايران، كما أنه عمل على إقامة مراكز تنصت وأجهزة مراقبة حساسة، وقد اعترف بعض المسؤولين الأمريكيين بأن ما تفعله (إسرائيل) سيخلق مزيداً من العنف والفوضى، وأضاف "بأن هناك معلومات مؤكدة عن قيام (إسرائيل) بتدريب فرق اغتيال خاصة لتنفيذ واجبات مهمة"، ومنها اغتيال العلماء العراقيين⁽²⁾.

لقد مارست قوات الاحتلال الأمريكي-البريطاني في العراق الكثير من الجرائم التي تشبه الجرائم التي ارتكبتها الجيش (الإسرائيلي) في فلسطين، خصوصاً بعد تزايد عمليات المقاومة العراقية ضد القوات المحتلة، مما دفع الجيش الأمريكي إلى الاستعانة بخبرات الجيش (الإسرائيلي) لتدريب جنوده على القتال في المناطق المبنية، وحرب الشوارع، وحرب العصابات، وعمليات الدهم، والاعتقال، والاقتحام، ونسف المنازل، وتجريف البساتين، وتعذيب السجناء لانتزاع الاعترافات بالقوة، كما حصل في فضيحة سجن (أبو غريب) بما فيها الاعتداءات الجنسية، وهذا ما أكدته تقرير صحيفة (نيويورك تايمز الأمريكية) الذي جاء فيه: "إن الجيش الأمريكي بدأ في تطبيق أسلوب الترويع لمواجهة حرب العصابات في العراق، والذي يطابق العمليات التي تقوم بها القوات (الإسرائيلية) في الأراضي الفلسطينية، وهو ما أكدته البريغادير الأمريكي (مايكل فين) في مقال نشرته مجلة الجيش الأمريكي في

والعسكرية منها. الهدف الثاني: العمل على اختراق الأحزاب السياسية التي تصدرت المشهد السياسي العراقي بشكل أعمق وأوسع. الهدف الثالث: دعم الجهود الأمريكية في البحث عن البرنامج السري العراقي لأسلحة التدمير الشامل، بما فيها ملاحقة وتصفية العلماء العراقيين، وهذا ما نقلته إحدى النشرات الأمنية المتخصصة في لندن عن لسان رئيس الموساد (الإسرائيلي) الذي كان يتحدث إلى ضباط وعناصر في الموساد (الإسرائيلي) يطلق عليهم (الشعبة العراقية) وهي المكلفة "بمهمات حساسة في العاصمة بغداد"، وقوله: "إننا نعود إلى بلد في غاية الأهمية الجغرافية والجيوستراتيجية، ونصبح على حدود إيران، ونطوَّق سوريا، ولذلك فالأخطاء أو الخطوات الناقصة ممنوعة"⁽¹⁾.

إن التغلغل (الإسرائيلي) على المستوى الأمني كان مخططاً ومدرساً وفعالاً، حيث أخذ (الموساد) يسرح ويمرح في العراق مستغللاً حالة الفوضى فيه: تخطيطاً واغتيالاً وتطهيراً واختراقاً بحماية أمريكية، ومن خلال جوازات سفر غير (إسرائيلية). وهذه الفوضى هي جزء من الإستراتيجية (الإسرائيلية) تجاه العالم العربي، حيث تشير المعلومات التي نشرها الصحفي الأمريكي (سيمور هيرش) عن قيام الموساد بعمليات تسلل عبر الحدود لإدارة عمليات سرية قرب حدود سوريا

(1) هل حققت الصهيونية آمالها باحتلال العراق، عبده عياش، مجلة البيان، رجب 1425هـ: <https://al-maktaba.org/book/1541> 5038

(2) راجع في أسماء العلماء الذين تم اغتيالهم في العراق في السنوات الأولى للحرب: الكفاءات العلمية التي تم اغتيالها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، حسين الرشيد وسيف الجبوري، مركز الأمة للدراسات والتطوير، ط 1، 2008م.

لدى قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال (كيسي)⁽³⁾، ويوصف هذا العمل بأنه طبيعي في أعقاب إرسال الرئيس بوش لعدد من الضباط الأمريكيين إلى الدولة الصهيونية لتبادل الخبرات والتدريب من أجل ضبط الحرب في العراق. وقد ذكرت صحيفة (الغارديان) البريطانية بأن هناك "أكثر من ألف جندي من المارينز تلقوا تدريباً في إسرائيل حول حرب المدن"، وذلك لما تمتلكه القوات الصهيونية من خبرة كبيرة في تعبئة حرب العصابات، والقتال في المناطق المبنية، علماً "بأن إسرائيل أنشئت مجسمات في جنوب إسرائيل للمدن العراقية المستهدفة لتدريب جنود المارينز"، كما بثت قناة الـ (بي بي سي) الثانية شريطاً لضباط إسرائيليين يدربون جنوداً أكراداً شمال العراق على نقل تقنيات الحرب الحديثة، وتوفير الاستشارات اللازمة بمجال مكافحة الإرهاب للجيش الأمريكي، وقوات البيشمركة الكردية.

تشير المعلومات أيضاً إلى أن وحدات أمنية صهيونية تابعة للجنرال الصهيوني (ديفيد تزور) المسؤول عن تطوير التعاون مع القوات الأمريكية في بغداد، قد دخلت إلى بغداد في اليوم التالي لسقوطها بملابس وسيارات مدنية⁽⁴⁾. وقد تحركت هذه الوحدات من أربيل لتستقر في بغداد، كما كشفت مصادر صحفية في

(تموز 2003م)، حيث قال: "إن ضابطاً أمريكياً سافروا مؤخراً للاستفادة من الدروس التي خرج بها الإسرائيليون من القتال ضد الفلسطينيين"⁽¹⁾.

تقول (جانيت كارينسكي) المسؤولة الأمريكية السابقة عن سجن (أبو غريب) في مقابلة لها مع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) في (يوليو/تموز من عام 2004م)، بأنها قد "التقت في السجن مع محقق إسرائيلي يجري عمليات استجواب للسجناء المقاومين"، مما يعني أن عمليات التحقيق والتعذيب كانت بمشاركة (إسرائيلية)، وهذا يجعلنا نتساءل عن الأدوار التي يقوم بها الجيش (الإسرائيلي) وجهاز الموساد في العراق، وقد ذكر العديد من العراقيين الذين اعتقلوا لفترات قصيرة أنه بعد إجراء الجنود الأمريكيين التحقيق معهم، أحيلوا على محققين من نوع مختلف! حيث تركّزت أسئلتهم على استفسارات من قبيل: مقامات لأبناء بني (إسرائيل) وآثار يهودية قديمة في العراق، ويشير هؤلاء إلى أن لهجة المحققين الملتئمين كانت أقرب إلى اللبنانية، وتدلّ على أنهم تعلّموا العربية وليسوا عرباً⁽²⁾.

ومن المعلومات السرية التي كشفتها إحدى الصحف الصهيونية أن الجنرال (أهارون زيفي فاركاش) رئيس قسم المخابرات الصهيونية يعمل مستشاراً

(1) حروب إسرائيل في العراق؛ سقوط الجبهة الشرقية وتفكيك العالم العربي، زياد العناني، الغد الأردنية، 2011/7/25م: <https://2u.pw/> uh2He

(2) ينظر: بالأرقام والأسماء... دراسة تفحص التغلغل الصهيوني في العراق، موقع المجد، (بدون تأريخ): <https://almajd.ps/news990>

(3) ينظر: التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة، د. أكرم المشهداني، كتاب مجلة البيان، 23 ذي الحجة 1427هـ: <https://al-maktaba.5826/org/book/1541>

(4) ينظر: أذرع الأخطبوط (الإسرائيلي) في الدولة العراقية، موقع صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/mkatarat/iraq/103.htm>

ركزت على عملية السور الواقعي" التي شنتها قوات الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني، كما أنها كانت جزءاً من سلسلة محاضرات وتدريبات تمحورت حول حرب المدن والقتال في المناطق المبنية وحرب العصابات⁽²⁾. كما نشرت صحيفة (جيرولم بوست) في (2003/8/15م)، تقريراً مفاده بأن مدرسة مكافحة الإرهاب في منطقة (موديعين) بالقرب من مدينة القدس قد دربت جنوداً أمريكيين، وتابعت صحيفة (ذي تايمز) هذا التقرير وحصلت على تأكيد من خبير في حرب العصابات في كلية الأركان العسكرية في الدولة الصهيونية الدكتور (تال توفى)، الذي قال: "بأن المارينز ووحدات جواله في الجيش الأمريكي قامت بزيارات متكررة إلى الدولة الصهيونية للمشاركة في مناورات، وكان هناك تعاون وثيق على صعيد التكتيكات" كما صرح في (2003/8/19م) قائلاً: "لدينا خبرة كبيرة في حرب العصابات، وقد أظهر الأمريكيون اهتماماً خاصاً بثلاثة مجالات هي: استخدام مروحيات (الآباتشي) لعمليات قتل مستهدفة، وحرب المدن، وكيفية القيام بعمليات عسكرية كبيرة في مناطق مكتظة بالسكان، ونحن نملك الكثير من الخبرة في هذا المجال". وقد استهدف جهاز الموساد (الإسرائيلي) البنى العلمية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية التي قامت عليه الدولة العراقية السابقة لتدميرها، ومنها

هذه الأثناء إن الوحدات الصهيونية وبالتنسيق مع (أحمد الجلبلي) كلفت بواجب معرفة مكان الأرشيف الخاص بالمخابرات العراقية السابقة لأسباب ترتبط بعمليات الموساد (الإسرائيلي)، وخاصة معرفة صلة المخابرات العراقية مع الجهات الفلسطينية.

وقد كشفت بعض الصحف العراقية عن دور (حزب المؤتمر) في تنفيذ عمليات اغتيلات في هذه الفترة، وسرقة وثائق حساسة جداً تخص النظام السابق من مبنى المخابرات، والمساعدة على اقتحام متحف بغداد وسرقة مئات القطع الأثرية الثمينة والنادرة.

والأمر الخطير الذي تم كشفه أيضاً أن (أربيل شارون) وافق على منح (حزب المؤتمر) مبلغاً مالياً شهرياً؛ دعماً لأنشطة الحزب داخل العراق⁽¹⁾.

وقد نشرت صحيفة (هاآرتس) الصهيونية تقريراً جاء فيه: بأن القوات الأمريكية الغازية استعانة بخبرات صهيونية في فنون وأساليب حرب المدن لقمع المقاومة العراقية المسلحة بعد عام (2003م)، وألقى في هذا الإطار الكولونيل الصهيوني (موشيه تامير) قائد فرقة (جولاني) الصهيونية محاضرة على ضباط من المارينز الأمريكي تمحورت حول الدروس التي تعلمها الجيش (الإسرائيلي) من الصراع المسلح مع قوى المقاومة الفلسطينية خلال (انتفاضة الأقصى) عام (2002م)، علماً بأن هذه المحاضرة

(1) ينظر: التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 5826/https://al-maktaba.org/book/1541

(2) ينظر: المصدر نفسه.

الطائرات، والدكتور (مهند الدليمي)، والدكتور (شاكر الخفاجي)، والدكتور (علي موجد الحميداوي)⁽²⁾.

لقد ارتدى التغلغل الصهيوني في العراق لبوسات مختلفة على المستوى العسكري والمخابراتي، وقد كشفت صحيفة (إيديعوت أحرونوت) الصهيونية بتاريخ (2004/12/5م)، عن "وجود عشرات الخبراء العسكريين الصهاينة المرسلين من قبل شركات أمنية صهيونية لتدريب أطراف عراقية في قاعدة عسكرية شمال العراق، كما كشفت الجريدة في تقريرها أن الشركات الصهيونية انطلقت لبناء مطار دولي في منطقة أربيل، ولتأكيد هذه المعلومات نشرت الصحيفة صورة ولافتة للمطار وأمامه وحدة أمنية متنقلة"، وتضيف الصحيفة بأن هناك "معلومات سبق وأن ترددت كثيراً وحاول مسؤولون عراقيون إنكارها تفيد أن الشركات الصهيونية تغلغلت في العراق، وتعمل بصورة سرّية، وتحمل أسماء متعددة للتمويه"⁽³⁾. فيما أكدت معلومات أخرى أن شبكات الموساد الصهيونية عملت على إثارة الفتن الطائفية والمذهبية، ونفذت عمليات إرهابية ضد المدنيين لتشويه صورة المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي وتشويه صورة الإسلام والمسلمين على حدّ سواء، كل تلك دلائل على الدور الصهيوني في تخريب العراق. تعد (مؤسسة الشؤون اليهودية)

استهداف واغتيال العلماء العراقيين الذين وردت أسمائهم في قوائم مفتشي الأسلحة الدوليين، وقد أكد جنرال فرنسي متقاعد للقناة الخامسة الفرنسية في (2004/4/8م)، بأن هناك أكثر من (150) جندي صهيوني من وحدات الكوماندوز الصهيونية داخلت العراق وكلفت بمهمة اغتيال وتصفية العلماء العراقيين، الذين كانوا وراء برامج التسلّح العراقية وقُدّمت أسمائهم إلى لجنة مفتشي الأسلحة الدولية برئاسة (هانز بليكس)، وأضاف: "إن مخطط الاغتيال هذا قد تمّ وضعه من قبل مسؤولين أمريكيين وصهاينة، وأن لديه معلومات دقيقة بوجود الكوماندوز الصهاينة داخل العراق حالياً، بهدف اغتيال العلماء العراقيين الذين كانوا نواة برامج التسلّح الصاروخي والنووي والكيميائي، التي أرعبت الدولة الصهيونية، وعددهم حسب الجنرال الفرنسي قرابة ثلاثة آلاف و(500) عالم عراقي عالي المستوى، من بينهم نخبة تتكون من (500) عالم عملوا في تطوير مختلف الأسلحة، وهذه هي النخبة المستهدفة من العمليات الصهيونية بالدرجة الأولى"⁽¹⁾.

ومن هؤلاء العلماء: الدكتور (غالب الهيّتي) أستاذ الهندسة الكيميائية والمتخصص في بحوث الكيمياء النووية في مجال الطرد الذري، والدكتور (مجيد حسين) الأستاذ في العلوم، والدكتور (محيي حسين) العالم في هندسة

(1) التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 5826/https://al-maktaba.org/book/1541

(2) ينظر: الأكراد وإسرائيل وأمريكا واحتلال العراق.. أحداث ومواقف، موقع عربي 21، 2019/5/3م: https://2u.pw/iQ9YW وراجع أيضاً:

الكفاءات العلمية التي تم اغتيالها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، حسين الرشيد وسيف الجبوري: الكتاب كامل.

(3) التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 5826/https://al-maktaba.org/book/1541

اسمه (إيغثال شارن) ومعه (800) جندي من قوات الكوماندوز الصهيوني، وذكرت المصادر إن العقيد (إيغثال شارن) قال: "إن الأمريكيين تبدو عليهم السذاجة تجاه حادثة المعركة ضد المقاتلين المسلمين، ولذلك شعروا بالامتنان لشركائهم الصهاينة".

لقد كان الدور العسكري للكيان الصهيوني في معركة الفلوجة حاضرًا بقوة وهناك اعترافات لمصادر صهيونية تفيد بأن عددًا من الجنود اليهود من حملة الجنسيات الصهيونية والأمريكية قُتلوا في الهجوم الأخير على مدينة الفلوجة، إذ قالت صحيفة (هآرتس) في (21 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 2004م) على لسان أحد كبار الحاخامات اليهود في القوات الأمريكية في العراق: "إن المقاومة العراقية تمكنت من قتل ضباط وجنود يهود أمريكيين في الفلوجة". وأكد ذلك مراسل الصحيفة المذكورة في (نيويورك) وعلى لسان الحاخام (أرفينينج إلسون) وهو برتبة رائد في الجيش الأمريكي؛ حيث يقول: "إن هناك العديد من اليهود قُتلوا في المعارك الأخيرة في الفلوجة، ومنهم: المقدّم (آندي شتيرن) ويعمل في سلاح المدفعية، وجرى دفنه في المقبرة العسكرية الأمريكية في (آرلينغتون) في أمريكا، ومنهم (ماك أفين) وهو قناص يهودي وحفيد أحد الحاخامات الكبار في أمريكا" وأضاف الحاخام معلومات تفيد بوجود "عدد كبير من الجنود اليهود في

في مقدمة المؤسسات التي قدمت المشورة للرئيس الأمريكي جورج بوش الابن تدعوه إلى الاستعانة بالخبرة الصهيونية وحددت له أسماء بعض القادة والضباط المهمين لمساعدتهم في الحرب على العراق منذ بدايتها، وهذا يعني إن إدارة بوش والمحافظين الجدد المتشددون وجدوا بأن اليهود الأمريكيين والصهاينة لديهم من دوافع الحرب لتدمير وتحطيم الإرادة العراقية أكثر من الأمريكيين أنفسهم⁽¹⁾، علمًا بأن (تومي فرانك) القائد الأعلى السابق لقوات الاحتلال في العراق هو من أصل يهودي روسي، وهو من الجيل الثاني الذي نشأ صهيونيًا متشددًا⁽²⁾، وأن الجنرال الأمريكي (ريتشارد ناتونسكي) القائد العسكري الذي تولّى مهمة الهجوم المكثف على الفلوجة هو صهيوني يهودي من القادمين من أوكرانيا، ومن تصريحاته: "إن الفلوجة سرطان، فالمسلمون فيها يستخدمون المساجد والمدارس لنصب الكمائن لقوات المارينز، كما كشف العقيد الصهيوني (نوعام تيفون) الذي شارك في تدريب عدد من الضباط والجنود التابعين لقوات المارينز على اقتحام مداخل المخبئ يضم بعض المساجد بعد مناورة مع الجيش الصهيوني انطلقت من (نيتسانيم) قرب قطاع غزة، كما استعانت القوات الأمريكية وفي المعارك التي جرت في الفلوجة بعقيد من الجيش الصهيوني

(1) ينظر في توجهات الرئيس الأمريكي (جورج بوش الابن) الدينية المتشددة: الدين في السياسة الأمريكية، فرانك لامبرت: 165_166.

(2) ينظر: المصدر السابق.

ويعلم بهم العراقيون ويعرفونهم من خلال ملابسهم ولهجتهم العبرية، وأضاف أن (الإسرائيليين) يعملون مع الفرق الأمنية الأمريكية، وفي الجيش الأمريكي، وحماية المنشآت الأمنية الأمريكية وأن الوجود (الإسرائيلي) في العراق ضارب بأطنابه⁽¹⁾ تحت عناوين ومسميات مختلفة⁽²⁾. وقد كان هناك تعاون عسكري بين الكيان الصهيوني وحكومة كردستان العراق، يتخذ أشكالاً مختلفة منها: تدريب قوات البيشمركة وإمدادها بأسلحة ومعدات عسكرية حديثة، وتجهيز منشآت حربية فمثلاً في عام (2005م)، وطبقاً لمعلومات نشرتها صحيفة (يديعوت أحرنوت)، فاز عدد من الشركات (الإسرائيلية) بعقود للتدريب وبناء مطار عسكري في أرييل⁽³⁾.

لقد كان التغلغل الصهيوني كبيراً ومتنوعاً فقد بلغ عدد الشركات العسكرية (الإسرائيلية) العاملة بالعراق ما بين (70) إلى (100) شركة (إسرائيلية) وفقاً لما أوردته صحيفة (معاريف) العبرية في (أيلول/ سبتمبر عام 2008م)⁽⁴⁾، ومن أهم هذه الشركات العسكرية هي شركة (رفائيل) للصناعات العسكرية (الإسرائيلية) والتي تعمل مع شركة أمنية أمريكية فازت بمناقصة تحصين مدرعات نوع (برادلي) يستخدمها جيش الاحتلال الأمريكي في العراق، وقد زودت هذه الشركة القوات

الجيش الأمريكي، معظمهم يعملون في القنص، وتتراوح أعمارهم بين (18) و(19) عاماً، منهم مجندات يهوديات⁽¹⁾. ودعا الحاخام: عائلات الشباب اليهودي الأمريكي إلى إرسال أبنائهم إلى العراق للحرب ضد من أسماهم أعداء الدين اليهودي، معتبراً أن القتال ومساعدة الأمريكيان في العراق أفضل بكثير من العمل الديني في المعابد اليهودية. كما كشف الحاخام (أرفننج) عن عدد الجنود اليهود في العراق قائلًا: "إنهم حوالي (1000) جندي، منهم بعض الضباط العاملين في الجيش الأمريكي"، حيث تشير الصحيفة أعلاه بأن "عدد الجنود الإسرائيليين بالعراق والتي تتراوح أعدادهم ما بين (800) إلى (1000) جندي وضابط"⁽²⁾.

علمًا بأن الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق الشيخ الدكتور (حارث الضاري) -رحمه الله- قد حذر في لقاء مع موقع (الجزيرة نت) في (4/10/2008م): من "وجود (إسرائيلي) كثيف في كافة المدن العراقية".

وقد شدد الشيخ في هذا اللقاء على أن (الإسرائيليين) كانوا موجودين في شمال العراق في كردستان العراق قبل الغزو الأنجلو أمريكي عام (2003م)، ولكنهم اليوم موجودون في كل مدن العراق في البصرة وبغداد والشمال،

(1) التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 5826/https://al-maktaba.org/book/1541. وينظر أيضًا عن دور الحاخام أرمينج: التغلغل الصهيوني في العراق: 25_26.

(2) التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 13.

(3) حارث الضاري يتحدث عن وجود إسرائيلي كثيف بالعراق، الجزيرة نت، 4/10/2008م: https://2u.pw/yb3tx

(4) نجمة داوود في سماء كردستان، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية: 2010/7/21م: https://2u.pw/PuNeS

(5) أذرع الأخطبوط "الإسرائيلي" في الدولة العراقية، موقع صيد الفوائد: http://www.said.net/mktarat/iraq/103.htm

و(الإسرائيلية)، والألمانية، عن تطور مظاهر النشاط والتغلغل الاستخباري والسياسي والعسكري (الإسرائيلي) في كردستان العراق ودوافعه؛ أكد على أن هذه التغلغل كان بهدف خفض الأضرار الناتجة عن عدم نجاح الحرب الأمريكية في العراق ومراقبة إيران⁽³⁾.

إن التقرير الذي أعدته وزارة الخارجية الأمريكية ونشرته (مؤسسة الحقيقة) ورفع إلى الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، يوضح بأن "الموساد تمكن بمساعدة قوات الاحتلال الأمريكي والميليشيات الطائفية والعنصرية والحكومات المنصبة في العراق من تصفية العلماء النوويين المتميزين والأساتذة الجامعيين من الاختصاصات العلمية كافة"⁽⁴⁾. كما كشفت (قناة الجزيرة الفضائية) في برنامج (الصندوق الأسود) عن ضلوع نائب رئيس الحكومة العراقية السابق (نوري المالكي) في عملية اغتيال المئات من العلماء النوويين والطياريين العراقيين"، وقد بثت القناة فيديو لوثيقة سرية لموقع (ويكيليكس) تكشف "كيف زود المالكي عام (2007م)، كلاً من (إسرائيل) وإيران بمعلومات خاصة عن السيرة الذاتية للعلماء، وطرق الوصول إليهم لتصفيتهم، علماً بأن الوثيقة المسربة موقعه باسمه وصفته وساهمت في تصفية المئات من العلماء النوويين والطياريين العراقيين"، وقد ذكرت القناة: "أن (350) عالماً نووياً

الأمريكية بأنظمة تدريب لمدركاتها وصلت قيمتها إلى أكثر من (100) مليون دولار منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق، علماً بأن هذه الشركات (الإسرائيلية) تعمل على تصدير كل المنتجات (الإسرائيلية) إلى العراق، بما فيها الوقود، والمياه المعدنية، والهواتف، والإلكترونيات، والأجهزة الزراعية، والمنسوجات، والحافلات، والسيارات الواقية من الرصاص، وصولاً إلى حاويات النفايات، وهي تقوم بإعادة تغليف منتجاتها المخصصة للسوق العراقي حتى لا يكتشف المستهلك مصدر إنتاج تلك السلع حفاظاً على مصالحها، وعدم استهدافها أو مقاطعتها⁽¹⁾.

ويروي الصحفي الأمريكي المعروف (سيمور هيرش) في مقاله المهم المنشور بمجلة (نيويورك) الأمريكية الصادرة في (2004/6/21م)، تحت عنوان (تحليل للأمن القومي الخطة بي)، ويقصد بها الخطة التي أعلن عنها رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (شارون) بعد احتلال العراق بأشهر والقاضية بـ "حصار الأضرار التي تسببها الحرب العراقية للموقع الإستراتيجي الإسرائيلي، من خلال توسيع العلاقات القديمة القائمة مع أكراد العراق، ونشر وجود إسرائيلي بارز في منطقة الحكم الذاتي الكردستاني..."⁽²⁾. وحسب المعلومات التي ساقها (هيرش) من مصادر مسؤولة في مخابرات عدد من الدول منها المخابرات الأمريكية،

(1) ينظر في هذا الصدد: الاختراق الصهيوني للعراق: 125، 181، 182، 184، وغيرها.

(2) ينظر: الأكراد وإسرائيل: لعبة كبرى خطيرة، موقع سويس إنفو، 2004/7/14م: <https://2u.pw/1u1rQJ>

(3) ينظر: المصدر نفسه.

(4) الموساد قام بتصفية علماء العراق، موقع المجد نقلاً عن ويكيليكس، (بدون تاريخ): <https://almajd.ps/news3471>

تستهدف أكثر من ألف عالم عراقي.

الفرع الثاني

التغلغل الصهيوني على المستوى السياسي

كانت دلائل تطبيع الطبقة السياسية الحاكمة في العراق مع الكيان الصهيوني، واضحة منذ بداية الاحتلال، فهناك الكثير من المؤشرات والخطوات والتحركات التي كانت تصب باتجاه فتح علاقات وتأسيس بؤادر للتقارب بين الجانبين،

ومنها ما كشفت عنه وزارة الخارجية (الإسرائيلية) من قيام ثلاثة وفود عراقية بزيارات سرية إلى (تل أبيب)، تضم بين جنباتها خمسة برلمانيين عراقيين، وتشير التسريبات من أحد المستشارين في وزارة الخارجية العراقية لصحيفة (الخليج أونلاين) وطلب عدم ذكر اسمه. ويمكن هنا التذكير بالمشادات الكلامية والاشتباك بالأيادي في مجلس النواب بسبب زيارة النائب (مثال الآلوسي) إلى (إسرائيل)، والتي انتهت بإنهاء عضويته من مجلس النواب، غير أن المحكمة الاتحادية كان لها رأي آخر فأعادت له العضوية، بل إنها عدت قرار مجلس النواب قراراً غير دستوري، هذا بالإضافة إلى ما فعلتها الحكومة العراقية وميليشياتها المسلحة مع الفلسطينيين الموجودين في العراق من مدامات واعتقالات

عراقياً و(80) ضابطاً طياراً من القوة الجوية العراقية قد تعرضوا لعمليات اغتيال بقيت لغزاً شغل الشارع العراقي⁽¹⁾.

إن الخيار الدموي والتصفية الجسدية كان هو الخيار الراجح في هذه الفوضى السياسية والأمنية التي يمر بها العراق، وهو الخيار الأمثل لإسرائيل، علماً بأن التقرير أوضح "بأن البنتاغون قد أقتنع بوجهة نظر الاستخبارات الصهيونية، وأنه لهذا الغرض تقرر قيام وحدات من الكوماندوز الصهيونية بالتعاون مع ميليشيات إيرانية للقيام بهذه العملية، وأن هناك فريقاً أمنياً من العراق كُلف بمساندة الكوماندوز والميليشيات لإتمام تلك العمليات ووفقاً للتقرير، كما أن هناك شخصيات حكومية مختصة ساعدت في تقديم السيرة الذاتية الكاملة عن العلماء العراقيين المطلوب تصفيتهم، وطرق الوصول إليهم للقيام بهذه المهمة، وأن هناك فريقاً أمنياً أمريكياً خاصاً يساند القوات الإسرائيلية في أدائها لهذه المهمة"⁽²⁾. وقد كشف التقرير حجم التواطؤ الأمريكي- الإسرائيلي في تنفيذ هذه المهمة، ومنها قيام الفريق الأمني الأمريكي بتقديم السيرة الذاتية الكاملة والمعلومات المفصلة عن العلماء العراقيين المطلوب تصفيتهم، وطرق الوصول إليهم، علماً بأن هذه العمليات

(1) ويكيليكس تكشف دور المالكي باغتيال إسرائيل لعلماء عراقيين، موقع عربي 21، 2015/10/20م: <https://2u.pw/fjDBD>

(2) المصدر نفسه.

تم استبدال مفردة إسرائيل بدلاً من الكيان الصهيوني في الكثير من الأدبيات العراقية والمخاطبات السياسية الرسمية للطبقة الحاكمة، وآخر هذه الخطوات تعليق رئيس الوزراء (مصطفى الكاظمي) حول اتفاقية السلام الإماراتية- (الإسرائيلية)، بأنها "شأن إماراتي داخلي"، وهذه سابقة جديدة في تاريخ العراق السياسي لم يسبق لها مثيل.

وتشير التسريبات إلى أن مصادر عراقية قريبة من الكتل السياسية الكبرى في مجلس النواب سربت معلومات تشير إلى أن: "وفوداً من دول الاتحاد الأوروبي أبلغت القيادة العراقية باستعدادها لتقديم دعم سياسي واقتصادي وأمني ومالي مقابل القبول بمشروع دولي مدروس ومرتبطة بـ (صفقة القرن)، التي طرحتها إدارة الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، بشرط أن يكون التطبيع مع إسرائيل هو أحد أركان هذه الصفقة والمشروع"⁽³⁾. وقد صرح (بهاء الأعرجي) في لقائه مع قناة (أي نيوز)، في (2020/10/15م)، في معرض رده على سؤال حول إمكانية عقد اتفاقية السلام بين العراق و(إسرائيل)، قائلاً: أن "العراق مهياً جداً، وكل الطرق مهيأة نحو اتفاقية السلام"، وأضاف: "من الممكن أن يصدر قرار التطبيع من النجف لا من بغداد". علماً أن المرجعية الدينية في النجف لم تصدر أي بيان تستنكر فيه تصريحات الأعرجي، الأمر الذي يجعل الباب مفتوحاً

وخطف وتعذيب وإصدار قوانين مجحفة بحقهم للتضييق عليهم بذريعة الإرهاب، ودعم النظام السابق لإجبارهم على الهجرة والخروج من العراق⁽¹⁾. وقد صرح أحد أعضاء اللجنة القانونية في مجلس النواب ببغداد لموقع (الخليج أونلاين) بأن "هناك تحركات جدية نحو تعزيز العلاقات بين العراق و(إسرائيل)، ولكن النائب نسي بأن هذه الخطوة ستسبب مشاكل داخلية كبيرة بسبب الرفض الشعبي للتطبيع مع الكيان الصهيوني، ومع هذا فقد عملت الحكومات المتعاقبة على اتخاذ الكثير من القرارات والخطوات التي تدل على السير نحو التقارب مع الكيان الصهيوني وخاصة على المستوى الداخلي ومنها: أنها شددت الإجراءات اللازمة لدخول الفلسطينيين إلى العراق إلا عن طريق الفيزا والتي غالباً ما ترفض، يضاف إلى ذلك "إلغاء القرار الرقم (202) الخاص بمعاملة الفلسطينيين كمعاملة العراقي في الحقوق والذي صدر عام (2001م)، ثم تلاه إلغاء البطاقة الغذائية الشهرية التي كانوا يحصلون عليها أسوة بالعراقيين، ثم تم إخراجهم من دائرة التنافس على فرص العمل، والتوظيف الحكومي، والتعليم والخدمات الصحية"⁽²⁾. أما على المستوى الخارجي فقد تم حذف الدولة العراقية لعبارة كانت موجودة في الجواز العراقي قبل الاحتلال مفادها بأنه يسمح لحامل هذا الجواز بالسفر إلى كافة دول العالم ما عدا إسرائيل، كما

(1) هل يمضي العراق قدماً نحو التطبيع مع (إسرائيل)، محمود النجار، موقع الخليج أونلاين، 2020/11/20م: <https://2u.pw/IBhVW>

(2) المصدر نفسه.

(3) هل يمضي العراق قدماً نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أونلاين، 2020/11/20م: <https://2u.pw/IBhVW>

عضو بارز في حزب المؤتمر الوطني آنذاك، الذي قال: إنه أخذ موافقته على هذه الزيارة، علمًا بأن هناك عدة مسؤولين حكوميين عراقيين زاروا (تل أبيب) بصورة سرية، وقد أدلى الآلوسي بتصريحات لصحيفة (هاآرتس) في عددها الصادر في (2004/9/4م).

وفي (آب/ أغسطس عام 2019م)، صرح السفير العراقي لدى واشنطن (فريد ياسين) بعدم ممانعة بلاده التطبيع مع (إسرائيل)، ثم عيّبت الخارجية العراقية على التصريحات بقولها: "تناقلت وسائل الإعلام تصريحات غير مناسبة على لسان السفير العراقي في واشنطن، ولكنها لم تنف إمكانية عقد سلام مع (إسرائيل)، ولم ترفض تصريحاته تلك⁽³⁾، في تناقض غريب في مؤسسات الدولة العراقية حول الموقف من القضية الفلسطينية والكيان الصهيوني، كما

أن العراق قد امتنع في (9 سبتمبر/ أيلول عام 2020م)، عن التصويت في جامعة الدول العربية على مشروع قرار فلسطيني يدين التطبيع بين الإمارات وإسرائيل،

بل إن رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي علق على اتفاق التطبيع بين البلدين قائلًا: "إن السلام بين أي دولة عربية وإسرائيل مسألة سيادية تقررها الدولة المعنية"⁽⁴⁾. وأخيرًا فمن المعروف بأن الدستور هو العقد الاجتماعي الذي ينظم العلاقة بين

حول موقفها من التطبيع، وتضيف (الخليج أونلاين) بأنها تواصلت مع مستشار في وزارة الخارجية طلب عدم ذكر اسمه، وقد صرح لها قائلًا: "إن الكتل السياسية الكبرى، من ضمنها الشيعية والكردية والسنية، لا ترى مشكلة في التطبيع مع إسرائيل، ويرون أنّ فساد المنظومة الحاكمة هو الخطر الحقيقي"⁽¹⁾. وتشير المعلومات بأن إسرائيل عقدت (25) ندوة خلال شهرين حول التطبيع بين الدولة العبرية والعراق.

كما أن هناك حادثة سياسية معروفة نشرتها جريدة الدستور الأردنية بعددها الصادر في (2005/5/23م)، حول المصافحة التاريخية التي جرت في البهو الرئيسي لقصر المؤتمرات، بين وزير الخارجية العراقي (هوشيار زيباري) مع وزير البنى التحتية الإسرائيلي (بنيامين بن أليعاز)، على هامش المنتدى الاقتصادي للشرق الأوسط الذي عقد في الأردن، وهي سابقة خطيرة، مما يبين بشكل واضح التوجه السياسي الجديد للنظام الحاكم في العراق بعد عام (2003م)⁽²⁾. وبتأريخ (2004/9/26م)، نشرت صحيفة (الشرق الأوسط) في العدد (9434)، تقريرًا عن زيارة قام بها مدير هيئة اجتثاث البعث النائب مثال الآلوسي لـ (إسرائيل)، وحضوره ندوة عن الإرهاب أقامها مركز دراسات (هرتزل) الصهيوني، ويعتبر الآلوسي مساعدًا (لأحمد الجليبي) وهو

(1) المصدر السابق.

(2) جريدة الدستور الأردنية: زيباري وبنيامين أليعاز تصافحا وتحادثا باللهجة العراقية، 2005/5/23م: <https://2u.pw/4qnx>

(3) هل يمضي العراق قدمًا نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أونلاين، 2020/11/20م: <https://2u.pw/IBhVW>

(4) جريدة القدس العربي، 2020/11/3م: <https://2u.pw/1xkKk>

العراق والذي جرى عام (2017م)، في كردستان.

الفرع الثالث

التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الاقتصادي

إن الأطماع (الإسرائيلية) في العراق كانت واضحة وكبيرة من خلال التقارير الصحفية التي صدرت عن المسؤولين الصهاينة خلال السنة الأولى للاحتلال والتي تواتت ليومنا هذا، وقد تلخصت الأهداف الاقتصادية الصهيونية في العراق بحاجة للاقتصاد (الإسرائيلي) الماسة للخروج من حالة الاختناق التي يمر بها، وذلك من خلال إيجاد أسواق جديدة توفر لها دخلاً إضافياً للتخلص من ضغط الأزمة المالية والاقتصادية، وقلة فرص العمل، وارتفاع معدلات البطالة داخل الأراضي المحتلة، ناهيك عن الغطاء الأمني الذي يمكن أن توفره هذه الشركات كغطاء لعمل جهاز الموساد (الإسرائيلي)، لذا فاحتلال العراق يشكل فرصة ثمينة للإنعاش الاقتصادي الصهيوني المأزوم، كما أن الدخول إلى الأسواق العراقية سيوفر فرصة كبيرة لتصدير منتجاتها المكدسة، وهذا سيعود عليها بمرحود مادي كبير هي بحاجة إليه لإقامة مشروعها القائم على التوسع، ومواجهة التهديدات والتحديات دون الحاجة إلى المساعدات الأمريكية، لتظهر إسرائيل كقوة إقليمية قادرة على حماية كيائها، وتسعى لبسط نفوذها في المنطقة. ومن الأمور المهمة التي يجب الإشارة إليها

الشعب والسلطة الحاكمة، ويعدّ من أهم الوثائق في حياة الشعوب، وتتطلب كتابة الدستور وضع أمني مستقر، وكذلك استقرار سياسي، وخبرة متميزة لدى الخبراء والقائمين على كتابته كلاً حسب اختصاصه، كما أنه يحتاج لوقت كافٍ دون العجلة في كتابته، ولكن من يتابع تلك الحقبة الزمنية يجد بأن جميع هذه النقاط غير متوفرة، والعراق خاضع للاحتلال الكامل، ويمر بمخاض عسير وتطورات سريعة، وتحولات مهمة، وحالة من الغليان الشعبي والفوضى السياسية والأمنية، بسبب عمليات المقاومة العراقية التي فرضت واقعاً جديداً على الأرض قض مضاجع المحتلين، ومع هذا لم يتم كتابة الدستور العراقي من قبل الخبراء والمختصين العراقيين بل تمت كتابته من قبل (نوح فليدمان)⁽¹⁾ البالغ من العمر (32) عاماً، والذي ترعرع في بوسطن كـ "يهودي أرثوذكسي، ودرس في (مايمونيدس)، وهي مدرسة دينية يهودية في بروكلين ماساتشوسيتس، وعمل كمستشار دستوري لسلطة الائتلاف المؤقتة. وقد أدخل (فليدمان) الكثير من الإشكالات والقنابل الموقوتة فيه، وتسببت بالفوضى وعدم الاستقرار، ومنها إشكالات المادة (140) حول قضية كركوك، وكذلك الصراع بين حكومة كردستان العراق والحكومة المركزية في بغداد حول واردات النفط والمنافذ الحدودية والمطارات، وكذلك قضية الاستفتاء حول الانفصال عن

(1) الاختراق الصهيوني للعراق: 83-85.

إلى "استخدام العراق لميناء حيفا للاستيراد والتصدير، وتظهر الوثائق بأن إسرائيل أجازت لكبار رجال الأعمال والتجار والمصدرين الإسرائيليين التعامل والاستثمار التجاري مع بغداد مباشرة خصوصاً بعد شطب القانون (الإسرائيلي) صفة (العدو) عن دولة العراق، مما مكنهم من تنشيط التبادل التجاري بمختلف الميادين والمجالات، وقد كشفت وثائق (ويكيليكس) عن تأكيد رسمي بهذا الخصوص صدر عن رئيس الوزراء (الإسرائيلي) (بنيامين نتنياهو) خلال اجتماعه مع (بنجامين كاردن)، ممثل الرئيس الأمريكي عام (2009م)، كما يضيف الموقع بأن وزير المواصلات (يسرائيل كاتس) قد "أجاز تصدير السيارات والشاحنات القديمة إلى العراق"، كما كشف النقاب عن "قيام شركات إسرائيلية للاستثمار في إعادة إعمار العراق بتفويض من الاتحاد الأوروبي والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، كما أن هناك شركات إسرائيلية تنشط في شمال العراق بمجالات مختلفة منها الزراعة والبنى التحتية والشؤون الأمنية والعسكرية والكهرباء وتكنولوجيا الاتصالات"، كما نقلت الجزيرة بأن "الشاحنات تنطلق من ميناء حيفا إلى العراق عبر الأردن وأن هناك علاقات تجارية حرة ومباشرة مع العراق، وهذا ما تناقلته وسائل الإعلام الأردنية علماً بأن رئيس بلدية حيفا (يوني ياهف) صرح قائلاً: "بأن النشاط التجاري العراقي عبر ميناء حيفا

تجارياً مع سلطة الاحتلال؛ لإقامة شبكة هواتف في شمالي العراق، ولا سيما في مدينتي كركوك، والموصل، وشركة (أوسيم) للمنتجات الغذائية، وشركة (تنور غاز) لتصنيع الأفران، وشركة (موليتيلوك) للأبواب المصفحة، وشركة (تاسي) لتكرير المياه⁽¹⁾.

لقد اتخذ التواجد (الإسرائيلي) في كردستان العراق عدة اتجاهات، وأولها الجانب الاقتصادي، حيث يعمل عدد من المستثمرين الإسرائيليين في قطاع النفط مثلاً، وقد رصدت صحيفة (هآرتس) زيارة سرية نفذها (عديني عوفر)، رئيس (شركة إسرائيل)، وهي من أكبر الشركات (الإسرائيلية)، إلى إقليم كردستان لاستكشاف مزيد من فرص الاستثمار في قطاع النفط وتكريره، وتنمية العلاقات الاقتصادية بين الإقليم وإسرائيل، وقد التقى (عوفر) بمسؤولين أكراد، منهم: نائب رئيس الإقليم (كوسرت رسول)، ورئيس الوزراء (برهم صالح). ووفقاً للمقالة التي نشرها (إسرائيل شامير) في (2010/6/28م)؛ فإن الدولة العبرية تستهدف تدفق نفط كركوك إلى حيفا كما كان يحدث أثناء الاحتلال البريطاني. وقد أعلن (عوفر) خلال زيارته عن نيته إقامة مصفاة تكرير في كركوك، بالتعاون مع شركاء أوروبيين وآسيويين⁽²⁾.

وبتأريخ (2012/6/26م)، نشر (موقع الجزيرة نت) معلومات عن نشاط تجاري سري بين العراق وإسرائيل، كما يشير

(1) ينظر: التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة: 5826/https://al-maktaba.org/book/1541

(2) ينظر: نجمة داوود في سماء كردستان، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 7/21/2010م: https://2u.pw/PuNeS

1. شركة الحافلات (دان) التي تباع الحافلات المستعملة.
2. شركة (ريبنتكس) لبيع الأقمشة الواقية.
3. شركة (سونول) وهي من أكبر الشركات لبيع الوقود، وتزود يوميًا جيش الاحتلال الأمريكي بملايين اللترات من الوقود.
4. شركة (دلتا) للمنسوجات.
5. شركة (سوليل بونيه)؛ من مجموعة (شيكون فيبنوي) (إسكان وبناء).
6. شركة (ارونسون)، وهي من أكبر الشركات في مجال تأهيل البنى التحتية.
7. شركة (كاردان) المتخصصة في المياه.
8. شركة (أشتروم) في مجال إنشاء بنى تحتية⁽²⁾.

ويقول أحد الخبراء الاقتصاديين في مجلس النواب لموقع (الخليج أونلاين): بأن "إسرائيل ساعدت حكومة العراق سرًا، في المجال العسكري ودرّبت قوات جهاز مكافحة الإرهاب، والبشمركة وزودتها بالسلاح أثناء عمليات التحرير ضد تنظيم داعش عام (2017م)، بالمقابل حصلت تل أبيب على مساعدات استخبارية من العراق عن إيران، وعن هجرة اليهود الذين عاشوا في العراق". وقد كشفت وزارة الخارجية (الإسرائيلية) النقاب عن زيارات سرية قامت بها ثلاثة وفود عراقية إلى (تل أبيب)، قائلة: إن هذه الزيارات "قد مهدت لزيارة الوفود العراقية للتبادل التجاري في مطلع عام (2018م)، من خلال فتح صفحة على (فيسبوك)، وعلى

يتم بالسر وبعيدًا عن أضواء الصحافة والإعلام وذلك منذ فترة زمنية طويلة"⁽¹⁾. وقد كشف موقع (الجزيرة نت) نقلًا عن صحيفة (الفايننشال تايمز) البريطانية في (أغسطس/ آب 2015م)، بأن (75%) من واردات الكيان الصهيوني من النفط هي من النفط المهرب عن طريق كردستان العراق، وهو يصل إليها بأسعار منخفضة جدًا. وقد استقبل ميناء (أشكلون) على البحر الأبيض المتوسط العديد من شحنات النفط المهرب من كردستان العراق، وقد كتبت صحيفة (إسرائيل هيوم) بأن هذا إسهام إسرائيلي في الحملة الدولية على تنظيم الدولة لتمويل الجهد الحربي لكردستان العراق، والحقيقة أن الإستراتيجية التي تتبعها إسرائيل في التعامل مع كردستان تتجاوز مسألة الحرب على تنظيم الدولة الذي يوظف كشماعة لتبرير الشراكة الإستراتيجية القائمة بين الجانبين.

وتشير التقديرات التي أجراها مدير (معهد الصادرات الإسرائيلية) السابق، (شراغا بروش)، إلى أن حجم الصادرات (الإسرائيلية) المرتبطة بقطاع البناء وتأهيل البنى التحتية إلى العراق تقدر بمئة مليون دولار سنويًا، وذلك عبر مسارات نقل غير مباشرة عبر تركيا أو الأردن أو بولندا. ومن أهم الشركات (الإسرائيلية) العاملة على الساحة الاقتصادية العراقية، بحسب ما ذكرته صحيفة (معاريف) الصهيونية في تحقيقها:

(1) نشاط تجاري سري بين العراق وإسرائيل، محمد محسن، الجزيرة نت، 2012/7/26: <https://2u.pw/GRuuD>
 (2) بالدرهم والأسماء... دراسة تفحص التغلغل الصهيوني في العراق، موقع المجدي، (بدون تأريخ): <https://almajd.ps/news990>

رابطة التدريسيين العراقيين الدكتور (عصام الراوي) -رحمه الله- بأن (1250) أستاذًا جامعيًا وخبيرًا غادروا العراق بعد الاحتلال خوفًا من الاستهداف الذي طال الكثير منهم، كما أن الكثير من الحوادث التي لا تزال عالقة في الذهن في تلك الفترة ومنها أن (مركز الدراسات الدولية) في (كلية العلوم السياسية) أقام ندوة حول (تداعيات ما حدث في العراق)، وإذا بإدارة الجامعة والمركز تفاجأت بحضور الضابط الأمريكي الذي نسب رئيسًا للجامعة ومعه مجموعة من الضباط الآخرين لحضور الندوة، وعند دخولهم لاحظ قائد المجموعة خارطة كبيرة لفلسطين حرصت إدارات المركز المتعاقبة على وضعها في المدخل، فتوقف عندها وأشار إليها بيده ليقول بالإنكليزية، "هذه الخارطة يجب أن ترفع، فلا فلسطين بعد اليوم"⁽²⁾، وبعد مدة من الزمن تم إلغاء مركز الدراسات الفلسطينية، ونقل موظفيه إلى مركز الدراسات الدولية.

وقد نظمت (تل أبيب) بالتنسيق مع بعض الشخصيات العراقية المحسوبة على المعارضة العراقية سابقًا زيارات لوفود من العراقيين تضم مجموعات من المفكرين والمثقفين لزيارة إسرائيل، ومن هذه الوفود وفد ضم الباحث (كنعان مكية) الذي وصف سقوط قنابل القصف الأمريكي-البريطاني للعراق في عام (2003م)، قائلًا: "إن لها وقع الموسيقى في أذني، إنها أشبه بأجراس

(تويت) باسم (إسرائيل باللهجة العراقية)، وقالت في تغريدة لها على (تويت): إن "هذه الخطوة تهدف لخلق تواصل وحوار مثمر بين الشعبين الإسرائيلي والعراقي وإظهار الوجه الحقيقي لإسرائيل"⁽¹⁾.

الفرع الرابع

التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الثقافي

لا شك بأن الغزوين الفكري والثقافي هما أخطر من الغزو العسكري كون آثارهما ستبقى عالقة في ذاكرة الأجيال لفترات طويلة، حتى ولو خرج الاحتلال العسكري، وذلك لما له من تأثير كبير على بناء وتفكير الفرد والمجتمع خصوصًا في بلد محتل مثل العراق الذي تعرض لزلزل مدمر شمل جميع نواحي الحياة وخاصةً الثقافية منها،

فمثلًا في بغداد نهبت جميع ممتلكات (وزارة التعليم العالي) أمام أنظار القوات الغازية للعراق، حتى وصل الأمر إلى أن جامعة بغداد وموقعها الرئيسي في منطقة (الجادرية) تحولت إلى معسكر لقواتها العسكرية، التي كانت تفعل في هذه الأكاديمية ما تشاء بدون حسيب أو رقيب، بل إنها أخضعت جميع الأساتذة الجامعيين والطلاب للتفتيش قبل دخولهم إلى الجامعة من قبل الجنود الأمريكيين.

لقد استمر هذا الضغط النفسي الكبير على الطبقة المثقفة في العراق لدفعها إلى الهجرة خارج العراق حيث يؤكد رئيس

(1) هل يمضي العراق قدمًا نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أونلاين، 2020/11/20: <https://2u.pw/IBhVW>

(2) واقع الفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال، د. سعد ناجي جواد، موقع رأي اليوم، 2021/12/26: <https://2u.pw/P9n3i>

وذلك من أجل تحقيق الهدفين الآتين:
الهدف الأول: جذب العقول العراقية بتقديم الكثير من المغريات لهم، كون هذه الشريحة أحد عوامل نجاح الدولة العراقية السابقة علمياً وتكنولوجياً، لذا فهم يركزون عليها وهم بين ثلاث خيارات أما جذبهم إلى المراكز البحثية الأمريكية والأوروبية، أو تصفيتهم، أو اعتقالهم وتهجيرهم.

الهدف الثاني: تقديم الزيارة التي قام بها الوفد المؤلف من بعض الشخصيات المحسوبة على المثقفين العراقيين كنموذج لباقي البلدان العربية الأخرى، لكسر الحاجز النفسي في الداخل والخارج ودفع الجميع نحو التطبيع العلمي والثقافي، أسوة بالتطبيع الاقتصادي، والأمني، والسياسي مع بعض الدول العربية، علماً بأن (إسرائيل) عقدت (25) ندوة حول التطبيع بين الدولة العبرية والعراق الجديد عقدت خلال شهرين فقط داخل (إسرائيل)⁽³⁾.

الهدف الثالث: استخدام الشخصيات الثقافية للترويج الفكري والثقافي لبناء تيارات سياسية وثقافية لصناعة رأي جديد يقبل بالتطبيع مع اليهود، والاستفادة من هذه الشخصيات للترويج الفكري والثقافي لبناء تيارات سياسية وثقافية لصناعة رأي جديد يقبل بالتطبيع مع اليهود، ويخفف من الروح العدائية ضدهم، وهذا ما حصل في كردستان العراق، بحيث بلغت العلاقات (الإسرائيلية)-الكردية إلى

تقرع للتحريض" وهذه الشخصية معروفة بتحمسها للتطبيع مع (إسرائيل)، والذي حول مؤسسة الذاكرة العراقية إلى مؤسسة تجسسية، بعد أن حصل على أكثر من ثلاثة ملايين وثيقة من الأرشيف الحكومي التي سلمها بدوره إلى المخابرات المركزية الأمريكية، وهو متهم بتسليم الأرشيف اليهودي الموجود في العراق لإسرائيل، حيث يقول أحد المستشارين في وزارة الخارجية ببغداد طلب عدم ذكر اسمه لموقع (الخليج أونلاين) بأن هناك نواباً وشخصيات كانت ضمن الوفد العراقي الذي زار إسرائيل عام (2019م)⁽¹⁾.

وقد تمت مكافأة (مكية) من جامعة بأن (تل أبيب) بالحصول على درجة الدكتوراه الفخرية مرتين، وقد وصف (مكية) زيارته قائلاً: "لقد حضرت إلى إسرائيل لعدة أسباب مهمة، ولتحقيق أهداف سامية ربما لا يستطيع الكثيرون استيعابها بسهولة، ولكنني متأكد من أن التأريخ سيخلد أسم أي مسؤول أو مفكر ساهم بقدر في قيام علاقات طبيعية بين بغداد وتل أبيب، حيث أن كلتا الدولتين العراق وإسرائيل من شأنهما وبفضل ما يمتلكانه من حضارة وإمكانات سيكونون قادرين على إنشاء العديد من الدعائم والأسس التي لن تفيدهما وحدهما فقط، بل ستفيد المنطقة والعالم بأسره"⁽²⁾. وقد كانت تلك الزيارة أول محاولة (إسرائيلية) لاخترق العراق الجديد،

(1) هل يمضي العراق قدماً نحو التطبيع مع (إسرائيل)، الخليج أونلاين، 20/11/2020م: <https://2u.pw/IBhVW>

(2) التغلغل اليهودي في العراق.. إلى أين، موقع المسلم نت، 20 ذي الحجة 1424هـ: <https://almoslim.net/node/85331>

(3) ينظر: التغلغل اليهودي في العراق.. إلى أين، موقع المسلم نت، 20 ذي الحجة 1424هـ: <https://almoslim.net/node/85331>

فضي، وقد أعلنت إسرائيل عن وصول كامل الأرشيف اليهودي في العراق إلى تل أبيب، وأنها دفعت رشوة كبيرة لعدد من المسؤولين العراقيين، وهناك اتهامات تدور حول (برهم صالح)، و(حسين الصدر)، و(مصطفى الكاظمي)، و(كنعان مكية) حول ضلوعهم في عملية اختفاء الأرشيف اليهودي، الذي يعرض الآن في متحف (أحفاد بابل)، كإشارة لليهود الذين تركوا العراق واستقر معظمهم لاحقاً في إسرائيل⁽³⁾.

وقد بينت القناة (الإسرائيلية) السابعة في تقريرها: أن "نسخة التوراة مكتوبة في القرن الثامن عشر وبغطاء من الفضة الخالصة مرصعة بأنواع من الخرز والزجاج، وعليه أيضاً قطع من الألواح التوراتية، إضافة إلى شمعدان له (7) فوهات نقش عليه صورة للهيكل"، وقد ذكرت صحيفة (معاريف): أن هناك تعاملًا فائق السرية جرى بين قوات الاحتلال في العراق وعناصر من الموساد ومختصين يهود بالآثار، والذين عملوا طوال مدة الاحتلال على شكل خلية مصغرة داخل السفارة الأمريكية، ولم تكشف النقاب عن عملها إلا بعد إتمام المهمة⁽⁴⁾، علماً بأن وسائل إعلام أمريكية و(إسرائيلية) قد نقلت عام (2015م)، خبر احتفال أقيم في القدس المحتلة، بوصول مخطوطة نادرة للتوراة كانت ضمن مقتنيات المتحف العراقي، وأظهرت صور الخبر تفاصيل عملية

مستويات غير مسبقة، وخاصةً على مستوى العلاقات الثقافية التي وصلت إلى تأسيس مؤسسة (إسرائيل-كورد)، وإصدار مجلة ثقافية مشتركة في (أربيل) أطلق عليها مجلة (ثيسرايل-كورد)، عام (2008م)، وتدعو المجلة الجديدة إلى تأسيس علاقات طبيعية مع إسرائيل، وقد فتحت مكتباً لها في القدس، وناشر المجلة هو (داوود باغيستاني) وهو مسؤول حكومي سابق في الموصل⁽¹⁾. ويقول رئيس تحرير المجلة (مولود آفند) عن مكتب أربيل بأنه أقرب إلى المركز الثقافي منه إلى مكتب مجلة⁽²⁾.

وفي هذا السياق شهد العراق نشاطاً واسعاً وغير مسبوق لممثلي الوكالة اليهودية والموساد، تمخض عن وضع اليد على: المكتبة اليهودية القديمة الموضوعة في مبنى المخابرات العراقية، والتي تضم تحفاً نادرة من كتب التوراة، والتلمود، والكابالا، والزوهار المكتوبة على لفائف البردي وجلود الغزلان،

ويعود تاريخها إلى فترة السبي البابلي لليهود في الألف الأول قبل الميلاد. وتم نقل هذا الأرشيف اليهودي عام (2003م)، إلى معهد (هوفر) التابع لجامعة (ستانفورد)؛ لغرض صيانتها وترميمه من التلف، ولكن تبين فيما بعد أنه تم نقله إلى (تل أبيب)، بعدما عرضت (القناة الإسرائيلية السابعة) عام (2010م)، لفافة التوراة مكتوبة على جلد ومحاطة بإطار

(1) ينظر: المشاريع الكبرى لتقسيم العراق ومحافظة، د. نور الدين الجيالي: 289_295.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 291.

(3) تهريب الأرشيف اليهودي من العراق في 2003م، ما علاقة الكاظمي؟ يوسف العلي، صحيفة الاستقلال، 2020م؛

<https://www.alestiklal.net/ar/view/4813/dep-news-1589833165>

(4) ينظر: المصدر نفسه.

الدبلوماسي العراقي السابق (حامد الشريفي) الذي زار تل أبيب في نيسان عام (2016م)، والتقى بأعضاء من الكنيسة (الإسرائيلية) بناءً على دعوة من وزارة الخارجية (الإسرائيلية) للباحث بشأن منظمة (مسلمون ليبراليون) التي شكلها الشريفي عام (2015م)⁽²⁾؛ حيث زار (الشريفي) وزارة الخارجية (الإسرائيلية) والتقى عددًا من اليهود ذوي الأصول العراقية، علمًا بأن الشريفي عمل كمستشار ومؤسس في وزارة الدفاع العراقية ومستشارًا في وزارة الخارجية العراقية وأصبح قائمًا بأعمال السفير العراقي في الكويت، وعمل مستشارًا للسفارة العراقية في عمان.

وفي (يوليو/ تموز 2017م)، زارت إسرائيل العراقية من أصل يزدي (نادية مراد) الفائزة بجائزة نوبل للسلام عام (2018م)، بناءً على الحملة التي قادته الوكالة (الإسرائيلية) غير الحكومية (إيسرايد) واللجنة اليهودية الأمريكية التي طالبت بوقف الإبادة اليزيدية والتي شاركت بمؤتمر أقيم بالكنيسة (الإسرائيلية)، وقد نقلت الصحف العبرية القول: "إنها سافرت لآلاف الأميال وعرضت حياتها للخطر ليس للتعبير فقط عن مدى شعورنا بالسأم، بل هي للتعبير عن هذه الحرب التي لا نهاية لها بين بلدينا"، وقد جاءت هذه الزيارة عن طريق منظمات (إسرائيلية) تعمل في مجال حقوق الإنسان⁽³⁾. ثم جاءت المفاجئة التي كشفتها وزارة الخارجية (الإسرائيلية) في

استقبال المخطوطة من مسؤولين إسرائيليين، ورجال دين يهود، ومواطنين. ومهدت (تل أبيب) لزيارة الوفود العراقية والتبادل التجاري بإطلاق الخارجية (الإسرائيلية)، حملة إعلامية في مطلع (مايو 2018م)، تضمنت فتح صفحة على (فيسبوك) و(تويتر) باسم (إسرائيل باللهجة العراقية)، فضلًا عن نشر فيديوهات مختلفة عن يهود العراق، وإنتاج فيلم سينمائي طويل عن واقعة الفرهود والترويع التي تعرض لها يهود العراق عنوانه: (طير حمام) وباللهجة العراقية، لترتفع بعدها مطالبات الجالية العراقية اليهودية الموجودة بإسرائيل بمنحهم جنسيات عراقية⁽⁴⁾، وقالت الخارجية في تغريدة لها على (تويتر): إن "هذه الخطوة تهدف لخلق تواصل وحوار مثمر بين الشعبين الإسرائيلي والعراقي وإظهار الوجه الحقيقي لإسرائيل"⁽⁵⁾. بينما يصف مسؤول في جهاز الاستخبارات لصحيفة (الخليج أونلاين) أن "العلاقات الثنائية بين العراق وإسرائيل تمضي نحو العمل المشترك، على إثر حذف الدولة العراقية لعبارة من الجواز العراقي مفادها بأنه يسمح لحامل هذا الجواز بالسفر إلى كافة دول العالم ما عدا إسرائيل"، وجميع هذه الخطوات هي للتقارب المستند إلى خطط مدروسة للوصول إلى قضية التطبيع في العلاقات بين البلدين.

وقد تم استقطاب عدة شخصيات سياسية عراقية لزيارة إسرائيل ومن أبرزهم -فضلاً عن مثال الألوسي-

(1) هل يمضي العراق قدمًا نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أونلاين، 20/11/2020م: <https://2u.pw/IBhVW>

(2) ينظر: دبلوماسي عراقي يتباهى بزيارة إسرائيل وينتقد الفلسطينيين، أدهم مناصرة، موقع المدن، 18/3/2018م: <https://2u.pw/FuTNg>

(3) ينظر: العلاقات الكردية الإسرائيلية.. جدل مستمر بشأن طبيعتها، الجزيرة نت، 13/12/2017م: <https://2u.pw/0yBgK>

أن التواصل الإلكتروني بين العراقيين والإسرائيليين تحول لأمر روتيني بفضل صفحات التواصل الاجتماعي التي خصتها إسرائيل لمخاطبة العراقيين⁽²⁾. ونشرت صحيفة (العربي الجديد) في (2018/9/30م)، عن مسؤول في وزارة الخارجية ببغداد قوله: "بأن هناك تركيزاً إعلامياً إسرائيلياً على العراق يستهدف العوام من الناس، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، والمنابر الإعلامية الممولة من جهات غربية مشبوهة"⁽³⁾، حيث تركز هذه المنابر والواجهات على مسألة الأديان، والحريات، والدعوة لقبول اليهودي، واعتبار التفريق عنصرية، ويجب تقبل الآخر، وجميع هذه الطروحات في حقيقتها هي لتقبل الاحتلال (الإسرائيلي)، تمهيداً لتهيئة وتغيير المزاج والرأي في الشارع العراقي. ويضيف هذا المسؤول قائلاً: "بأنه تم اكتشاف دخول (6) إسرائيليين دخلوا إلى العراق بجوازات سفر بريطانية وفرنسية وأمريكية، زاروا مراكب أنبياء، وآثار بابلية، ومقابر، ومباني تراثية تعود ليهود عراقيين". وبحسب هذا المسؤول نفسه، فإن

"هناك تزايداً في الأنشطة (الإسرائيلية) التي تستهدف العراق، من خلال منظمات وجمعيات عدة بعضها مسجلة في دول غربية، وغالبيتها في بريطانيا، وتتحرك تحت أغطية مختلفة، من بينها أنشطة حماية الإرث، والتراث، وحرية التعبير، وقضايا التمييز، والعنف المجتمعي، ومطالبة العنصرية والإرهاب،

(2019/1/6م)، عندما أصدرت بياناً باللغة العربية كشفت فيه عن "قيام ثلاثة وفود عراقية غير رسمية بزيارة تل أبيب وبينها شخصيات سنية وشيعية مؤثرة". وقد جاءت تحت غطاء كثيف من التعتيم والسرية وتكونت الوفود الثلاثة من (15) شخصية عراقية، وقد التقى أعضاء من هذه الوفود بعدد من المسؤولين الإسرائيليين والشخصيات الأكاديمية وقادة المنظمات ذات صلة بالطائفة اليهودية في العراق، كما زاروا متحف (ياد فاشيم) لتخليد ذكرى ضحايا النازية⁽¹⁾. لقد أخذ التدخل الصهيوني أشكالاً وأساليب متعددة وجديدة، تتمثل باستخدام العلاقات التجارية الواسعة كأحد وسائل القوة الناعمة للاختراق، وكذلك العمل على بناء علاقات صداقة على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية والثقافية، من خلال خطة مدروسة وإدارة ناجحة تنتهج سياق جديد في العلاقة مع العراق، فمثلاً حضور اليهود العراقيين إلى معرض بغداد الدولي للكتاب في نيسان عام (2018م)، "تعتبره الأطراف الإسرائيلية بشائر تقارب ثقافي مدني بين العراق وإسرائيل"، كما كتبت صحيفة (إسرائيل باللغة العربية) مقالاً تقول فيه "إن هذا الانفتاح المبارك سيساهم في بناء جسور من المعرفة والتعاون الثقافي والتقارب بين المثقفين العراقيين والإسرائيليين، وبالأخص من هم من أصول عراقية، لأن السلام الحقيقي يبنى من الجذور، كما

(1) ينظر: إسرائيل تشطب العراق من قائمة الأعداء، الجزيرة نت، 2019/1/8م: <https://cutt.us/ZDlGz>

(2) التغلغل الصهيوني في العراق إلى أين، الجزء الأول، موقع الصدى نت، (بدون تاريخ): <http://elsada.net/105970>

(3) التغلغل الإسرائيلي في العراق: وقائع جديدة، سلام الجاف، العربي الجديد، 2018/8/30م: <https://tinyurl.com/4shmcuv>

مع رئيس الوزراء (الإسرائيلي) وهيئات في (إسرائيل الخارج) ك (جمعية معونة المهاجرين العبريين) فريقاً من ثلاثة شخصيات يترأسها (جيف كاي) وسافر الفريق إلى بغداد في (21 حزيران عام 2003م)، للتأكد من الوضع الأمني الحساس للجلالية اليهودية في بغداد، وتعزيز العلاقة مع قوات الأمن الأمريكية، والتعرف على الأوضاع المادية وتشجيعهم معنوياً بإعطائهم مواد دينية من (إسرائيل)، ومعالجة محفوظات الجماعة اليهودية التي عثر عليها في مكاتب المخابرات العراقية بغرض جلبها إلى (إسرائيل)، كما تم توثيق مكتوب ومصور لأعضاء الجماعة اليهودية وممتلكاتها، ووجد (جيف كاي) بزيارته إلى بغداد (34) يهودياً عراقياً، معظمهم مسنون ويقيمون في بغداد والبصرة، وقد أحيطت تفاصيل الرحلة بسرية تامة، حيث تمكن (جيف) من تحقيق الاتصال المنشود بين الجماعة اليهودية والقوات الأمريكية في بغداد، وحصل على معلومات إضافية عن محفوظات الجماعة اليهودية التي صادرتها السلطات العراقية في السبعينات، وقدم نتائج رحلته إلى مجلس الوكالة اليهودية وإلى رئيس الوزراء (الإسرائيلي) أرييل شارون⁽³⁾.

لقد حدد الصهاينة أملاكهم في العراق حسب رأيهم في مناطق متميزة بموقعها التجاري في بغداد والمحافظات، وأنهم كانوا يملكون البيوت، والأسواق، والخانات، والمراكز الثقافية والدينية،

لديناً إلى أن "إقليم كردستان العراق يُعدّ نافذة دخولها الرئيسية للبلاد، وبالعادة هذه الجمعيات لا تفعل شيئاً سوى تأسيس علاقات وصداقات مع قواعد شعبية ناقمة على الوضع السياسي الحالي في البلاد"، باستخدام القوة الناعمة للاختراق⁽¹⁾.

الفرع الخامس

التغلغل الصهيوني في العراق على المستوى الاجتماعي

إن التغلغل الصهيوني على المستوى الاجتماعي كان واضحاً رغم التعقيم الإعلامي الكبير الذي فرضه الكيان على نشاطاته في بداية الاحتلال، خصوصاً في ظل الفوضى السياسية والأمنية والاقتصادية التي يمر بها العراق، وقد أخذ التغلغل الاجتماعي الكثير من الأشكال والأساليب ومنها: شراء الأراضي والعقارات، وإقامة الشراكات التجارية، والمؤسسات الفندقية، وتنظيم الوفود السياحية للقيام بزيارات دينية للمعابد اليهودية في العراق، حيث كشف مراسل (الأسوشيتد بريس) عن وصول مسؤول (إسرائيلي) إلى العاصمة العراقية قبل إعلان الرئيس الأمريكي (بوش) انتهاء العمليات العسكرية لتفقد أوضاع اليهود، ويذكر موقع (أروتس شيفا) إن مسؤولين من الوكالة اليهودية أمضوا أسابيع في العراق ليفتشوا عن اليهود ووجدوا هناك (43) منهم⁽²⁾.

لقد شكلت الوكالة اليهودية بالتنسيق

(1) ينظر: المصدر نفسه.

(2) ينظر: الاختراق الصهيوني للعراق: 83-85.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 83-85.

(1948م)، مع قطعات الجيش العراقي، واستقروا فيه. وكانت لهم تجمعات عدة في بغداد وخارجها، ومن ثم استقر قسم منهم في مجمعات سكنية في مناطق مختلفة من بغداد ومنها: مجمع الزعفرانية ومجمع البلديات، وشارع حيفا وسط بغداد. كما وفرت لهم الدولة فرص للعمل والتوظيف في مؤسسات الدولة أسوة بالعراقيين، خصوصاً بعد أن صدر قرار مجلس قيادة الثورة الرقم (202) في عام (2001م)، والذي تضمن معاملة الفلسطينيين كمعاملة العراقي في كل الجوانب، واستثنى منها الجنسية وتملك العقارات فقط من أجل أن تبقى القضية الفلسطينية حاضرة في ذاكرة اللاجئين⁽³⁾.

تم استهداف الفلسطينيين من قبل قوات الاحتلال (الأمريكي-البريطاني) بصورة مباشرة بعد الاحتلال وبشكل مخطط له، حيث أثبتت الحوادث والمعلومات إلى قيام القوات الأمريكية بالتحقيق مع المنظمات الفلسطينية التي تتخذ من بغداد مقراً لها، كما شنت القوات الأمريكية حملات مدامات واسعة لمناطق سكن العوائل الفلسطينية،

وتم القاء القبض على شبابها بدعوى الإرهاب، وأنهم من أنصار النظام السابق، الأمر الذي ساعد الميليشيات الطائفية التي انتشرت بعد الاحتلال على مهاجمة المجمعات السكنية للفلسطينيين والقيام بجرائم الخطف، والقتل،

بعضها مختوم عمرانياً بنجمة داوود، حيث تشير الإحصائيات (الإسرائيلية) إلى أن عدد أملاك اليهود في العراق تقدر بـ (12736) عقار في عموم العراق، وأنهم قد حركوا قضية للمطالبة بإعادة أملاكهم التي تركوها أو تعويضهم بما فيها إعادة الجنسية لهم⁽¹⁾، وهي مطالب مدعومة من الحكومة (الإسرائيلية)؛ حيث قدرت صحيفة (يديعوت أحرانوت) العبرية حجم هذه التعويضات بمليار دولار، عن ممتلكاتهم المزعومة في العراق، والتي تتوزع بين ممتلكات عقارية، ومساكن، وأرصدة مالية في المصارف العراقية، وهذه المطالب سيتم تنفيذها عاجلاً أم آجلاً، وستتكفل الحكومة العراقية الجديدة بدفعها لليهود؛ لأن وزير الأسكان وقتها (بيان باقر صولغ) قال في (2004/3/31م) بأن: "من حق اليهود العراقيين استعادة ممتلكاتهم في العراق"⁽²⁾. وهذا التصريح بحد ذاته يؤسس للتغلغل الصهيوني في العراق بعد الاحتلال بذريعة ممتلكات اليهود.

الاستهداف الصهيوني للفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال:

تعاملت الحكومات العراقية في مختلف عهودها مع القضية الفلسطينية باعتبارها قضية عربية ذات أولوية في السياسة العراقية، وفي سياق الصراع مع الكيان الصهيوني ومن هنا كانت مهتمة باللاجئين الفلسطينيين في العراق الذي قدموا بعد النكبة سنة

(1) ينظر: التغلغل الصهيوني في العراق إلى أين، ج3، جمال الجبوري، موقع الصدى (بدون تاريخ): <http://elsada.net/106668>

(2) وزير عراقي.. يحق لليهود العراقيين استعادة ممتلكاتهم، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 2004/3/31م.

<https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?language=ar&id=1422999>

(3) ينظر: اللجوء والاضطهاد، اللاجئون الفلسطينيون في العراق 1948-2010م، ناهض خميس زقوت: 9_11.

المقيمين مع غياب توصيف قانوني واضح، خاصةً بعد إلغاء الحكومة العراقية للقرار رقم (202)، والذي أفقد اللاجئين الفلسطينيين الامتيازات القانونية، بل وضاع توصيفه القانوني، فلا حصل على صفة لاجئ إنساني ولا لاجئ سياسي، علمًا بأنه لا يزال يعيش بالعراق قرابة (4000) لاجئ فلسطيني⁽⁴⁾.

ولم تكثف الحكومة بإصدار هذه القوانين، بل إنها أصدرت قوانين أخرى هي أكثر إجحافًا بحق الفلسطينيين، كونها تلزمهم بالحصول على موافقات لتجديد الإقامات سنويًا، ثم أصدرت قانون آخر مفاده بأن كل فلسطيني يغادر العراق لمدة ثلاثة أشهر تلغى إقامته ويجب عليه أن يحصل على فيزا دخول جديدة للعراق، والتي غالبًا ما ترفض، بينما يسمح للإيرانيين بدخول العراق بسهولة. وهذا الإجراء لا ينسجم مع الجعجة الإعلامية للميليشيات الولائية التي تدعي معاداتها لـ (إسرائيل)، خصوصًا وإن المادة (201) من قانون العقوبات العراقي تم تعطيلها، وهي تنص على "الإعدام لكل من أيد أو روج لمبادئ صهيونية أو انتسب إلى أي من مؤسساتها أو ساعدها ماديًا أو أدبيًا أو عمل بأي كيفية لتحقيق أغراضها، ولكن هذه المادة معطلة حاليًا نتيجة الضعف الذي أصاب الدولة العراقية بعد عام (2003م)، بسبب طبيعة النظام السياسي الحاكم والانقسام الحاد بين مكوناته"، وجميع هذه الخطوات

والتعذيب، والتهديد، والابتزاز، حيث تشير الإحصائيات إلى أن حوالي (700) شخص تم تصفيتهم من الجالية الفلسطينية⁽¹⁾. حتى وصل الأمر إلى انتزاع ممتلكاتهم وطردهم من مساكنهم، بحيث أجبر الكثيرون على ترك العراق والهرب باتجاه الدول العربية المجاورة، التي رفضت دخولهم، بحجة عدم وجود جوازات سفر لديهم، مما اضطرهم إلى إقامة معسكرات لهم في الصحراء على الحدود، ليتم ترحيلهم بعد ذلك إلى أمريكا الجنوبية، ولم يبق منهم سوى بضعة آلاف⁽²⁾.

وقد رافق تنفيذ هذه الجرائم ضد اللاجئين الفلسطينيين صمت حكومي شمل جميع الطبقة السياسية الحاكمة، وليتها اكتفت بهذا، بل إنها بدأت من خلال الحكومات التي شكلها الاحتلال بالتضييق على الفلسطينيين، فبدأت بإصدار القوانين، ومنها صدور القانون المرقم (76) لعام (2017م)، والذي ألغى بموجبه القرار رقم (202) لعام (2001م)، والذي يقضي بمعاملة اللاجئين الفلسطينيين كمعاملة العراقي وتمت المصادقة عليه من قبل رئيس الجمهورية (فؤاد معصوم)⁽³⁾. وقد وصف الباحث الحقوقي الفلسطيني (سامي الخطيب)، لموقع (الخليج أونلاين) وضع اللاجئين الفلسطينيين في العراق بعد هذا القانون قائلاً: "إن الوضع القانوني لفلسطيني العراق بعد عام (2017م) أصبح مجهولًا، وأشار إلى معاناة

(1) ينظر: واقع الفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال، موقع رأي اليوم، 2021/12/26م: <https://2u.pw/P9n3i>

(2) ينظر: اللجوء والاضطهاد: اللاجئين الفلسطينيين في العراق 1948-2010م: 318_129.

(3) ينظر: هل يمضي العراق قدمًا نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أون لاين، 2020/11/20م: <https://2u.pw/IBhVW>

(4) المصدر السابق.

الاحتلال الأمريكي-البريطاني التي تعتبر المركز الأساس للتغلغل الصهيوني الحاصل في العراق والمنطقة، كما أنها كشفت وفضحت الطبقة السياسية العراقية الحاكمة والتي جاء بها الاحتلال لحكم العراق، من خلال تواطؤها لخدمة المصالح الأمريكية والبريانية والتي لا تنفصل أبداً عن المصالح الصهيونية التي تسعى لإقامة دولة (إسرائيل) الكبرى من النيل إلى الفرات، الأمر الذي حول العراق إلى ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية والدولية، ولا يزال العراق في قرن المحرقة العسكرية الأمريكية-الصهيونية-البريانية.

ويمكن أن نلخص أهم الأهداف الصهيونية الإستراتيجية للتغلغل في العراق، فيما يأتي:

1. أنها القوة العسكرية العراقية كقوة إقليمية كانت تشكل ثقلًا عسكريًا لا يمكن تجاوزها أو الاستهانة بها على المستوى الإستراتيجي للمنطقة، والتي طالما شكلت تهديدًا مباشرًا للأمن القومي (الإسرائيلي) طوال الفترة الماضية.
2. بناء دولة ضعيفة، ونظام سياسي طائفي، يقوم على التمثيل النسبي، ويشجع على الانقسامات الطائفية والمذهبية والعرقية، ويقوم على تقاسم السلطة، والحكم، مما أدى إلى سقوط العراق في فخ الفتنة الطائفية والمذهبية، الأمر الذي أدى إلى تدمير النسيج الاجتماعي للمجتمع العراقي.
3. بناء قوات عسكرية طائفية وضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن نفسها والعمل على عدم عودة العراق إلى بناء قواته.

مقصودة وهي مؤشرات على توجه الطبقة السياسية الجديدة الحاكمة في العراق نحو التطبيع مع (إسرائيل)⁽¹⁾.

• الخاتمة

من خلال ما تقدم في البحث، يمكننا أن نقول: بأن الحقائق والأدلة تشير بدقة إلى مدى التغلغل والاختراق (الإسرائيلي) الملموس في العراق والذي أصبح علينا بعد الاحتلال، كما أن التواجد (الإسرائيلي) أصبح حقيقة لا جدال فيها مطلقاً، رغم المحاولات التي يقوم بها الكثير من المسؤولين العراقيين للتخفيف من حدة الخطب الذي عم وطم، والذي يعد سابقة خطيرة في تاريخ العراق الحديث، علماً بأن ما يجري يتم بدعم وتنسيق مع قوات الاحتلال الأمريكي -البريطاني التي سهلت ودعمت التواجد (الإسرائيلي) على أرض العراق، مما يعيد إلى الأذهان نفس التجربة البريطانية الاستعمارية في فلسطين والتي مهدت للسيطرة والهيمنة الصهيونية لإقامة دولتهم في فلسطين المحتلة، خصوصاً وأن الإدارة الأمريكية فتحت أبواب العراق على مصراعها لتدمير الدولة العراقية، وسمحت للكيان الصهيوني بتنفيذ مخططاته التوسعية الطامعة فيه.

مما يعني ازدياد التحديات والمخاطر والتهديدات التي يولدها هذا المد والتواجد والتغلغل الصهيوني ليس على العراق فحسب، بل على جميع الدول العربية في المنطقة، بما فيها دول الجوار، وهذا ما وعته فصائل المقاومة العراقية مبكراً وعملت على التصدي له بكل قوة من خلال استهداف قوات

(1) هل يمضي العراق قدماً نحو التطبيع مع (إسرائيل)، موقع الخليج أون لاين، 20/11/2020م؛ <https://2u.pw/IBhVW>

8. زيادة الضغط على القيادات الفلسطينية، وخاصة فصائل المقاومة للقبول بالشروط والإملاءات (الإسرائيلية) والأمريكية للقبول بقرارات الشرعية الدولية، وفي الوقت نفسه زيادة الضغط على الأنظمة العربية للتطبيع العلني مع (إسرائيل).

9. إن (إسرائيل) تستهدف من وراء غزو العراق تنفيذ مشروعها في العراق، من خلال عودة اليهود العراقيين إلى مناطقهم في العراق وقيامهم بشراء الكثير من الأراضي تنفيذاً لأطماعهم المستقبلية بإعلان دولة (إسرائيل) الكبرى، كما أن تغلغلها في العراق ودول المنطقة يعني تحقيق العديد من المصالح الإستراتيجية كـ النفط، والماء، والأمن.

• المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- 1 - الاختراق الإسرائيلي للعراق بعد الغزو الأمريكي بالوثائق؛ الثار البابلي، د. عبد الكريم العلوجي، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة.
- 2- الاختراق الصهيوني للعراق، د. خالد الناشف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
- 3 - الإعلام والحرب، العراق نموذجاً، د. عبد الكريم العلوجي، الدار الثقافية، القاهرة، ط 1، 1431هـ-2010م.
- 4 - التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة، د. أكرم المشهداني، كتاب مجلة البيان، ذو الحجة 1427هـ.
- 5 - الدين في السياسة الأمريكية، فرانك لامبرت، ترجمة: عبد اللطيف موسى أبو البصل، نمو للنشر، بيروت، ط 1، الرياض،

4. تحويل العراق بعد الاحتلال إلى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى الداخلية، والإقليمية، والدولية، مما حول العراق لدولة فاشلة، تحكمها التدخلات الخارجية، والميليشيات المسلحة التابع لإيران، والتي نجحت في توظيف الأدوات المذهبية والقومية والطائفية وامتداداتها المذهبية لخدمة مصالحها من خلال بناء نظام سياسي طائفي يقوم على أساس المكونات، والمحاصصة الطائفية والعرقية.

5. الاختراق الأمني والاستخباري لجميع مقدرات الدولة العراقية، من خلال أغذية: تجارية، واستثمارية، وحقوقية، ومنظمات إنسانية، لجمع المعلومات، وتنفيذ مهام خطيرة تتعلق بالتقاضي والتفتيش عن برامج أسلحة الدمار الشامل، والبرنامج النووي العراقي، ومطاردة وتصفية وتهجير العلماء العراقيين، والبحث عن أرشيف المخابرات العراقية.

6. ضمان تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة، والذي يعد احتلال العراق هو البداية لتنفيذ هذا المشروع الذي يشمل تقسيم واحتلال عددًا من الدول العربية وفق جدول زمني.

7. الهيمنة والسيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية على الممرات البحرية، وطرق المواصلات العالمية، ومنابع النفط في الخليج ولا سيما النفط العراقي سيطرة مباشرة؛ للضغط على الدول الأخرى المنافسة، وإطلاق يد (إسرائيل) في المنطقة.

1436هـ.

/news990

15 - التغلغل اليهودي في العراق.. إلى أين، المسلم نت، 20 ذي الحجة 1424هـ:

<https://almoslim.net/node/85331>

16 - حارث الضاري يتحدث عن وجود

إسرائيلي مكثف بالعراق، الجزيرة نت،

<https://2u.pw/yb3tx> م. 2008/10/4

17 - نجمة داوود في سماء كردستان،

مركز الإمارات للدراسات والبحوث

الإستراتيجية، 2010/7/21 م: <https://2u.pw/PuNeS>

18 - نشاط تجاري سري بين العراق

وإسرائيل، محمد محسن، الجزيرة نت:

<https://2u.pw/GRuUD> م. 2012/7/26

19 - هل حققت الصهيونية آمالها باحتلال

العراق، عبده عياش، مجلة البيان، رجب

<https://al-maktaba.org/5038/book/1541>

20 - هل يصبح العراق تحت الاحتلال

الأمريكي في قبضة الصهاينة؟ صحيفة

التجديد المغربية، 2003/11/13 م: <https://www.maghress.com/attajdid/9814>

21 - هل يمضي العراق قدمًا نحو التطبيع

مع (إسرائيل)، محود النجار، الخليج أونلاين،

<https://2u.pw/IBhVW> م. 2020/11/20

22 - واقع الفلسطينيين في العراق بعد

الاحتلال، د. سعد ناجي جواد، رأي اليوم،

<https://2u.pw/P9n3i> م. 2021/12/26

23 - وزير عراقي... يحق لليهود العراقيين

استعادة ممتلكاتهم، وكالة الأنباء

الكويتية، (كونا): 2004/3/31 م: <https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?language=ar&id=1422999>

6 - الكفاءات العلمية التي تم اغتيالها بعد

الاحتلال الأمريكي للعراق، حسين الرشيد

وسيف الجبوري، مركز الأمانة للدراسات

والتطوير، ط 1، 2009 م.

7 - ينظر: اللجوء والاضطهاد؛ اللاجئين

الفلسطينيون في العراق 1948-2010 م،

ناهض خميس زقوت، دار دجلة، عمّان، ط

1، 1437 م.

8 - المشاريع الكبرى لتقسيم العراق

ومحافظاته، د. نور الدين الحياي، الموصل،

2011 م.

9 - مقاتل من الصحراء؛ التعاون الأمريكي

الإسرائيلي خلال الحرب على العراق وما

بعدها، خالد بن سلطان بن عبد العزيز،

1995 م. http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Isar-Ameri/sec16.doc_cvt.htm

ثانيًا: المواقع الإلكترونية:

10 - الأبعاد الإستراتيجية في علاقة

إسرائيل بكردستان العراق، صالح النعامي،

الجزيرة نت، 2015/8/26 م: <https://2u.pw/dYh8m>

11 - إسرائيل تشطب العراق من

قائمة الأعداء، الجزيرة نت، 2019/1/8 م:

<https://cutt.us/ZDIgz>

12 - الأكراد وإسرائيل: لعبة كبرى خطيرة،

موقع سويس إنفو، 2004/7/14 م:

<https://2u.pw/u1rQL>

13 - الأكراد وإسرائيل وأمريكا واحتلال

العراق.. أحداث ومواقف، توفيق المديني،

<https://2u.pw/iQ9YW> م. 2019/5/3

14 - بالأرقام والأسماء.. دراسة تفصّل

التغلغل الصهيوني في العراق، موقع

المجد (بدون تاريخ): <https://almajd.ps/>

جهود علماء العراق والعلماء الفلسطينيين في العراق في مواجهة الخطر الصهيوني

د. مثنى حارث الضاري⁽¹⁾

• مقدمة

كان الموقف العراقي متقدماً شعبياً ورسمياً في مواجهة الخطر الصهيوني، والدفاع عن فلسطين ودعم صمود أهلها ومقاومتهم، وكشف المخططات الصهيونية وفضحها، وقد كُتبت في هذا السياق دراسات كثيرة، بحثت جوانب متنوعة من جوانب هذا الموضوع الواسع الأطناب، فمنها: ما تناول الجانب الرسمي الحكومي، ومنها ما تناول الجانب الشعبي، ومنها ما جمع بين الأمرين في إطار زمني محدد، أو على وفق سياق بحثي خاص، أو بحث موضوعات أكثر تفصيلاً تتعلق بأصداء القضية الفلسطينية في العراق عامة، أو في بعض مناطقه، أو درس علاقة القضية الفلسطينية بملفات عربية أو إقليمية أو دولية⁽²⁾. وجرى أثناء ذلك الإشارة إلى جهود عدد كبير من رجال العراق وقادة العلم والفكر والعمل العام فيه في نصرة القضية الفلسطينية ومواجهة الخطر

الصهيوني، فضلاً عن المعطيات التي تفيدها دراسة جهودهم الكلية وأعمالهم الشاملة كل بحسب ما ينشط فيه. وقد سبق لي أن تناولت هذا الموضوع في ندوة خاصة بـ (أسبوع القدس الدولي)، قبل عشرة أشهر في ورقة بحثية تناولت فيها: (جهود العراقيين في دعم القضية الفلسطينية) على المستوى الشعبي، وفي نطاق شريحة علماء الدين والمثقفين، وعرّفت فيها بعدة نماذج منهم؛ وأعود اليوم لبحث الموضوع نفسه من زاوية أخرى، أعرض فيها لجهود علماء العراق، والعلماء الفلسطينيين، الذين هاجروا إلى العراق وعاشوا فيه بعد النكبة سنة (1948م)؛ تلبية لمتطلبات ندوة: (الخطر الصهيوني على العراق، وواجب علماء العراق وفلسطين في مواجهته).

• تمهيد

تنوعت الجهود العراقية المتعلقة بالقضية الفلسطينية وتكاثرت، وتكونت من أجلها

(1) مسؤول القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق.

(2) يمكن الاطلاع على جانب من هذه الكتب والدراسات في: فلسطين في المؤلفات العراقية؛ بيبليوغرافية تفصيلية، حسام حمودي الساموك، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، 1979م.

فلسطين) سنة (1947م).

وقد أشاد بهذه الجهود عدد من الكاتبيين لتأريخ فلسطين الحديث، ونوهوا بها، وعدوا ما قدمه العراق شعبياً ورسمياً، من أبرز ما قُدِّم لنصرة فلسطين أثناء أزمتها المتتالية،

ومن هؤلاء: المفتي الشيخ (محمد أمين الحسيني) -رحمه الله- الذي يقول: "وصل قبلي إلى العراق مائتا مجاهد فلسطين، فأظهر لهم الشعب والحكومة العراقية كرمًا عظيمًا، فلقد كان الشعب العراقي أكثر الناس حماسًا للقضية العربية"⁽³⁾. ومنهم أيضًا الأستاذ (محمد عزة دروزة) -رحمه الله- الذي يقول عند حديثه عن موقف الدول العربية من قضية فلسطين: "لقد كان موقف الأقطار العربية وخاصة العراق والشام بما فيها الأردن ولبنان قويًا كريمًا في أزمة فلسطين، فاهتمت أوساطها الوطنية وصحافتها اهتمامًا كبيرًا، وتألّفت لجان سميت بلجان الدفاع عن فلسطين، وأخذت تجمع التبرعات وترسلها إلى فلسطين، كما أن مدنها أضربت أكثر من مرة وقامت فيها المظاهرات المتعددة تضامناً معها. ووصل الأمر كما قلنا أن أخذ أبناء هذه الأقطار يتسربون إلى فلسطين ليجاهدوا إلى جانب إخوانهم، ويمزجوا دمائهم معاً في سبيل عروبة فلسطين وحريتها واستقلالها"⁽⁴⁾.

اللجان، وأقيمت التجمعات والملتقيات، وعقدت المؤتمرات، وأسست الجمعيات. وقد اتسمت هذه الجهود بصفات عدة، لعل من أبرزها: مشاركة مكونات الشعب جميعاً فيها، ونشاط قادة الفكر والثقافة الجاد والفاعل فيها، من: العلماء، والمفكرين، والأدباء، والشعراء، والصحفيين، والسياسيين، فضلاً عن الفئات والشرائح المجتمعية من الطلاب والشباب، والنساء، وشيوخ العشائر، والنقابات المهنية الممثلة: للمحامين، والمعلمين، والأطباء، والمهندسين والعمال، وغيرهم.

وشواهد الأعمال التي قام بها هؤلاء والجهود التي بذلوها كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، وحسبنا أن ننوه في هذا التمهيد بنماذج من الأعمال الجماعية، نحو: (لجنة الشباب الموصلية) التي شكلها مجموعة من شباب الموصل سنة (1933م)⁽¹⁾، و(لجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين) المشكلة بعد صدور قرار (لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية) في نيسان (1946م)⁽²⁾، و(جمعية الدفاع عن فلسطين) التي شكلت في العراق بعد انعقاد مجلس جامعة الدول العربية في (بلودان) بسوريا في حزيران (1946م)، و(لجنة الاجتماع الجماهيري) المعلنة في الموصل سنة (1936م)، للتضامن مع ثورة الشعب الفلسطيني، و(جمعية إنقاذ

(1) ينظر: أصداء القضية الفلسطينية في الموصل (1932-1948)، وائل علي النحاس، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، المجلد 4، 2002م: 162، 263، 264.

(2) هي لجنة بريطانية أمريكية مشتركة، انعقدت في (واشنطن)، وكُلِّفت بدراسة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتأزمة في فلسطين، بسبب الاستيطان اليهودي فيها، لتقديم -كما أعلن وقتها- توصيات لحل مؤقت أو دائم للمشكلة بعد التشاور مع الفلسطينيين والمستوطنين. ونُشر تقرير اللجنة في (لوزان) بسويسرا في (20/4/1946م) بعنوان: (تقرير لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية فيما يتعلق بمشاكل يهود أوروبا وفلسطين)، وتضمن عدة وصايا، مالت فيها اللجنة إلى جانب الطرف الصهيوني. ينظر: الموسوعة الفلسطينية: 320-318/1.

(3) فلسطين والحاج أمين الحسيني، زهير مارديني: 125.

(4) حول الحركة العربية الحديثة، محمد عزة دروزة: 163/3.

القدس لعدة أيام (7-17/12/1931م)، وحضره ممثلون من غالب البلاد العربية -بحسب مسميات ذلك الزمان- وهي: الحجاز، وبرقة وطرابلس الغرب، ولبنان، واليمن، وتونس، والجزائر، وسورية، وشرق الأردن، والعراق، وفلسطين، ومصر، والمغرب الأقصى، وعدن، فضلاً عن ممثلين للمسلمين في العالم من: تركيا، وإيران، والهند، وسيلان، وتركستان الشرقية والغربية، والقرم والأورال والقفقاس، وإندونيسيا، ونيجيريا، وأوغندا، ويوغسلافيا، وألبانيا، وأمريكا الشمالية، والأرجنتين⁽²⁾.

وحضر المؤتمر عشرة ممثلين من العراق، هم: الشيخ نعمان الأعظمي (مدير دار العلوم العربية والإسلامية)⁽³⁾، والشيخ محمد حبيب العبيدي (مفتي الموصل)، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (المرجع الديني)، وعبد الرسول آل كاشف الغطاء وعبد الحليم آل كاشف الغطاء (من النجف)⁽⁴⁾، والعلامة محمد بهجة الأثري، وإبراهيم الواعظ (نائب في مجلس النواب)، وحسن رضا (رئيس جمعية الشبان المسلمين)، وسعيد الحاج ثابت (الوطني الموالي المعروف)، وماجد شكري القرغولي (عضو مجلس بغداد). وقد دعا الحاج (أمين الحسيني) رئيس (المجلس الإسلامي الأعلى) في فلسطين؛ إلى هذا المؤتمر من أجل "إثارة اهتمام الرأي العام الإسلامي العالمي بقضية فلسطين وتأليف جبهة

وخص العراق بالحديث، قائلاً: "لقد كان حماس العراق الأبي، الذي كان ينعم أكثر من غيره بالاستقرار وقوة النفس والحركة، عظيماً سواء في ما أقامه من مظاهرات أو تبرع به من مال أو ساعد عليه من وسائل الكفاح، وتجهيز حملة القواقجي وتيسير رحلتها، ثم بما كان من اهتمام حكومته ومبادراتها إلى الخطوات التي اتخذتها في صد التدخّل والوساطة على ما سوف نذكره بعد"⁽¹⁾.

المطلب الأول

• جهود العلماء العراقيين في مواجهة الخطر الصهيوني

نتناول في هذا المطلب ذكر أمثلة للجهود التي قدمها علماء العراق لمواجهة الخطر الصهيوني، قياماً منهم بواجب النصر لقضية فلسطين عامة، وقضية القدس والمسجد الأقصى خاصة، باختصار يتناسب مع طبيعة البحث المطلوب في هذه الندوة ومساحته. وتنقسم هذه الجهود على قسمين: جهود جماعية وجهود فردية، وكما يأتي:

أولاً: الجهود الجماعية

1. المؤتمرات: وهي كثيرة: داخلياً وخارجياً، ونقتصر هنا على ذكر مشاركة علماء العراق في المؤتمرات الثلاثة المقامة في القدس سنوات: (1931، و1952، و1953م)، والمؤتمر الإسلامي العام في بغداد سنة (1962م):
أ. المؤتمر الإسلامي في القدس (1931م): انعقد هذا المؤتمر في

(1) حول الحركة العربية الحديثة: 163/3.

(2) ينظر: الموسوعة الفلسطينية: 347/4-348.

(3) هي: مدرسة الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-، ثم الكلية الأعظمية، ثم كلية الإمام الأعظم، ثم كلية الشريعة، ثم كلية العلوم الإسلامية.

(4) هما: مساعد الشيخ كاشف الغطاء، وابنه. ينظر: عقود حياتي، محمد حسين آل كاشف الغطاء: 138.

أنهم قاموا بمقابلة الملك فيصل الأول "لغرض الحصول على الإجازة المطلوبة لتأسيس لجان أو فروع المتابعة، إلا أنه اعتذر عن تلبية طلبهم بسبب المانع القانوني المذكور"⁽⁴⁾.

ب. المؤتمر الإسلامي العام في القدس في سنتي: (1952م) و(1953م):

كان الشيخ (أحمد الزهاوي) (1866-1967م)؛ معروفاً باهتمامه بقضايا المسلمين عامة، ومعيناً بمتابعة أخبارهم ودعم قضاياهم، ولا سيما القضية الفلسطينية، حيث أولى عناية فائقة بالدفاع عن القدس والمسجد الأقصى،

وحضر لأجل ذلك المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج سنة (1372هـ/1952م)؛ للنظر في قضية فلسطين، وشؤون إسلامية أخرى. وشارك الشيخ (الزهاوي) في هذا المؤتمر ممثلاً لعلماء العراق و(جمعية إنقاذ فلسطين)، وصحبه فيه: الشيخ (محمد محمود الصواف) سكرتير الجمعية، والمحامي (عبد الرحمن خضر) محاسبها.

وقد تبنى الشيخ الزهاوي-رحمه الله- فكرة المؤتمر، وسعى بعد عودته إلى بغداد، إلى عقده مرة أخرى اعتماداً على الجهود الشخصية والشعبية؛ فقررت (جمعية إنقاذ فلسطين في العراق) الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في القدس بمناسبة المولد النبوي في المدة (27/ربيع الأول-3/

إسلامية قوية في مواجهة الصهيونية العالمية وانحياز العالم الغربي -وعلى رأسه بريطانيا آنذاك- للفكرة الصهيونية" و"للبحث في حالة المسلمين الحاضرة، وفي صيانة الأماكن المقدسة الإسلامية من الأيادي الممتدة إليها الطامعة بها، وفي شؤون أخرى تهم المسلمين جميعاً"⁽¹⁾. وصدرت عن المؤتمر قرارات تفصيلية متعلقة بفلسطين والقدس، منها: تأسيس مكتب رئيس ومكاتب فرعية للدعاية لمقاصد المؤتمر في أنحاء العالم، وتشكيل لجنة خاصة تطوف على جميع الملوك والأمراء والعظماء والأثرياء المسلمين لجمع التبرعات، وإنشاء جامعة في القدس باسم (جامعة المسجد الأقصى الإسلامية)، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية، وقرارات أخرى مهمة.⁽²⁾

وقد كان للشيخوخ (نعمان الأعظمي) و(حبيب العبيدي) و(محمد حسين كاشف الغطاء) وصحبهم في هذا المؤتمر؛ أثر مهم ومشاركة نافعة، فضلاً عن سعي من بعض أعضاء الوفد العراقي بعد المؤتمر؛ لتنفيذ مقرراته عن طريق تشكيل لجان فرعية في العراق لمتابعة ذلك؛ إلا أن وزارة الداخلية وقتها لم توافق على طلبهم، متذرة بأن (قانون تأليف الجمعيات) لا يسمح بفتح فروع لجمعيات خارج العراق⁽³⁾. وينقل أحد الباحثين عن عضو الوفد الشيخ (محمد بهجة الأثري)؛

(1) ينظر: الموسوعة الفلسطينية: 347/4.

(2) ينظر: مقررات المؤتمر الإسلامي العام في دورته الأولى: كاملاً، والموسوعة الفلسطينية: 347/4، والباح محمد أمين الحسيني، دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921-1937م)، الدكتور تيسير جبار: 186-187.

(3) ينظر: العراق والقضية الفلسطينية (1932-1941)، د. عباس عطية جبار: 76.

(4) المصدر نفسه: 76.

والشيخ أحمد الشرباصي وسيد قطب من مصر، وغيرهم، ووصلت إلى المؤتمر برقيات كثيرة مؤيدة ومثنية عليه⁽²⁾. يقول الشيخ علي الطنطاوي: "من ست سنين، انعقد في القدس، مؤتمر إسلامي، للنظر في نكية فلسطين، وطريق العمل على نصرتها، وفدت عليه الوفود من بلاد الإسلام كلها، من مراکش إلى إندونيسيا، وكان (برلماناً شعبياً) مثل كل بلد فيه زعماءه وكبار أهله. وقد أوفدت بعض البلاد رجالاً لهم صفة رسمية... وأوفدت بعضها رجالاً يمثلون أحزاباً أو هيئات معروفة، كالأستاذ علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال في مراکش، والأستاذ الشيخ إبراهيمي رئيس جمعية العلماء في الجزائر، والأستاذ القليبي -رحمه الله- رئيس الحزب الدستوري في تونس، واللواء صالح حرب (باشا) الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين في مصر..."⁽³⁾.

ومن قرارات هذا المؤتمر وتوصياته: بطلان الوضع الذي أحدثه اليهود في فلسطين من تقسيم واحتلال وتشريد للفلسطينيين، وغضب لحقوقهم، وعد الصلح مع إسرائيل، أو التعامل معها خيانة عظمى، والتفكير في تحويل القدس مؤامرة استعمارية يقف العالم الإسلامي في وجهها⁽⁴⁾. وقد اختار المشاركون في المؤتمر الشيخ الزهاوي مع عدد من أعضاء المؤتمر في لجنة إعلامية سميت لجنة (الدعاية)، للتعريف بالقضية الفلسطينية،

ربيع الثاني/1373هـ). واستطاع الشيخان الزهاوي والصواف ومن معهما جمع مبلغ من المال من الحكومة العراقية وعدد من التجار العراقيين؛ لهذا الغرض، ووجهوا دعوة مكتوبة إلى أنحاء العالم الإسلامي، دعوا فيها: العلماء وقادة الفكر والدعاة والمصلحين وقادة الجهاد ونخب المجتمع ووجهاء البلدان للمشاركة فيه. ووقعت الدعوة باسم الشيخ الزهاوي عن جمعية إنقاذ فلسطين، وباسم الشيخ الصواف عن المكتب الدائم للإسراء والمعراج في القدس.

ولم يكتف الشيخان بذلك "بل طافا بمختلف الأقطار يحثان على تلييتها، ويستنفران الهمم إلى إجابة داعي القضية الفلسطينية"⁽¹⁾. وهكذا سافر الشيخ الزهاوي والشيخ الصواف إلى مصر والسعودية؛ للقاء علمائهما وقادة الفكر والعمل العام فيهما، وحثهم على المشاركة في المؤتمر، وبعدها توجهوا إلى القدس قبل انعقاد المؤتمر بأيام عن طريق (الأردن) التي كان لهم فيها أيضاً جهود ولقاءات تحضيرية لانعقاده.

وعقد المؤتمر كما خطط له في: (70/12/1953م)، وحضره أكثر من (70) عالماً ومفكراً ومثقفاً وقائداً عمل إسلامي، فضلاً عن شخصيات رسمية، نحو: الأستاذ علال الفاسي من المغرب، والشيخ علي الطنطاوي والأستاذ عصام العطار والشاعر عمر بهاء الدين الأميري من سوريا، والفضيل الورتلاني من الجزائر،

(1) المؤتمر الإسلامي العام (نشرة صادرة عن أعمال المؤتمر ومقرراته): 4.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 5-7.

(3) صور من الشرق في إندونيسيا، علي الطنطاوي: 9.

(4) ينظر هذا القرار وغيره في: المؤتمر الإسلامي العام: 17-18.

1382هـ/29-4/أيار/حزيران/1962م) استكمالاً لانعقاد المؤتمرات الإسلامية من أجل القدس؛ فبعد المؤتمر العام الأول سنة (1931م) في القدس؛ عقدت مؤتمرات: (كراتشي، 1949م) و(مكة، 1950م) و(كراتشي، 1951م) و(القدس، 1952م) و(القدس، 1953م). ثم عقدت لاحقاً مؤتمرات: (مقاديشو، 1964م) و(عمّان، 1967م)⁽³⁾.

وجرى في هذه الدورة للمؤتمر التي رأسها الشيخ (محمد أمين الحسيني) وحضرها عدد كبير من علماء العالم الإسلامي وعلماء العراق؛ إنجاز نظام المؤتمر ودستوره الدائم وإقرارهما، وتشكيل هيئات المؤتمر التنظيمية، وتسمية مكاتبه الإقليمية في أنحاء العالم الإسلامي⁽⁴⁾.

1 - الجمعيات: ومثالها الأبرز والأشهر على الصعيدين العراقي والعربي؛ هي (جمعية إنقاذ فلسطين)، التي تأسست في كانون الأول سنة (1947م)، واتخذت لها مركزاً عاماً في بغداد، وكان هدفها المعلن ومقصدها الذي تعمل من أجله هو: العمل على إنقاذ فلسطين من الصهيونية، عن طريق: "جمع المال والتبرعات بالوسائل المشروعة" و"التعاون مع المؤسسات والهيئات التي تتفق مع هذه الجمعية في غايتها داخل العراق بجميع وسائل النشر والدعاية" و"بث الدعوة لنصرة فلسطين"⁽⁵⁾.

يقول الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- عنها: "انتخب المؤتمر لجأناً ثلاثاً، كانت إحداها لجنة للدعاية والإنبعاث الروحي، شرفني برياستها، وكلفها أن تطوف العالم الإسلامي، تعرف بفلسطين وتدعو الناس لإمدادها بالمال... وكنا خمسة: اثنين من العراق الأستاذ الزهاوي والأستاذ الصواف، واثنين من الجزائر الأستاذ الإبراهيمي والأستاذ الفضيل الورتلاني -رحمه الله- وأنا"⁽¹⁾.

وشملت رحلة الوفد التي استمرت عدة أشهر: الشام، والحجاز، ومصر، وباكستان، والهند، وشمال أفريقيا، وإندونيسيا، وماليزيا. ويصف الشيخ علي الطنطاوي جانباً منها فيقول: "الذي صنعناه لفلسطين لم يصنعه أحد، فقد جعلنا حديثها بعون الله، ثم بفضل الشيخ أمجد والأستاذ الصواف حديث الناس والحكومة والإذاعة والصحف في كل بلد دخلناه، لقد أقيمت ثلاثاً وأربعين محاضرة وخطبة عن فلسطين، وعقدت ثمانية وعشرين مؤتمراً صحفياً، وشغلت بها ست إذاعات، وأكثر من أربعمئة جريدة ومجلة... ولقد تركنا لفلسطين لجأناً في كل من: كراتشي، وكلكتة، ولكنو، ودهلي، وبومباي، وسنغافورة، وجاكرتا، وجوكجا، وسورابايا..."⁽²⁾.

ج. المؤتمر الإسلامي العام في بغداد (1962م): عُقد هذا المؤتمر في بغداد في المدة (25/ ذو الحجة 1- محرم/

(1) صور من الشرق في إندونيسيا: 10.

(2) المصدر نفسه.

(3) ينظر: الحاج محمد أمين الحسيني، دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921-1937م): 188.

(4) ينظر: العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد، أكمل الدين إحسان أوغلو: 48، ومادة مؤتمر العالم الإسلامي، ويكيبيديا: <https://cutt.us/jdKCL>

(5) ينظر: نظام جمعية إنقاذ فلسطين في العراق، بغداد 1954م.

هذه الأعمال. وأقيم لهذه التشكيلات العسكرية معسكر للتدريب في بغداد. وفي (1948/1/7م) غادرت بغداد أول وحدة من سرية المغاوير بغداد متوجهة إلى دمشق، يرافقها عضوان من أعضاء الجمعية، هما: عبد الرحمن محمد خضر، ومحمود فهمي درويش، للتنسيق بين الجمعية واللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية، التي كانت تتولى الإشراف على المتطوعين، ثم تبعها فوج (الحسين بن علي) في (1947/1/15م)، ثم فوج (القادسية) بعده يومين، مع تجهيزاتها من السلاح والعتاد، والبطانيات، والمواد الغذائية ولا سيما التمر، التي جمعتها الجمعية من مختلف مناطق العراق⁽²⁾.

وتوقفت الجمعية بعد مدة مضطرة عن إرسال المتطوعين على الرغم منها، مكتفية بجمع الإعانات والتبرعات المادية من مختلف المدن العراقية، وتوزيعها على المتطوعين في جيش الإنقاذ وعائلات الشهداء العراقيين⁽³⁾. وقد وثق سكرتير الجمعية (محمود فهمي درويش) جانباً من أعمالها والعقبات والمشاكل التي واجهتها، في كتاب مشهور، بعنوان: (15 أيار 1948 كارثة فلسطين)⁽⁴⁾، الذي كان أشبه بتقرير تفصيلي توثيقي من (250) صفحة، تناول فيه أهم أحداث فلسطين وقتها، والمعارك في الجبهات المختلفة، والملاحظات التي سجلها على جيش الإنقاذ، وغير ذلك من موضوعات مهمة

وانتمى للجمعية عددٌ كبيرٌ من الأعضاء من بغداد والمحافظات، وانتُخبت لها هيئة تنفيذية عليا، ضمت: الفريق الركن حسين فوزي إبراهيم رئيساً، واللواء الركن إبراهيم الراوي نائباً للرئيس، وعبد الرحمن محمد خضر محاسباً، وإبراهيم عطار باشي أميناً للصندوق، ومحمود فهمي درويش سكرتيراً عاماً، واثنان عشر عضواً، هم: العلامة الشيخ أمجد الزهاوي، والعميد الركن توفيق حسين، والعقيد طاهر محمد عارف، والعقيد عبد القادر العزاوي، والنائب جميل الأورفلي، والدكتور إسماعيل ناجي، والشيخ فرحان العرس، والسيد جميل روحي، والسيد نور الدين داوود، والشيخ محمد محمود الصواف، والمحامي عبد الباقي السعيد، والمحامي إبراهيم مصطفى الأيوبي⁽¹⁾.

وقد دعت الجمعية في فاتحة أعمالها العراقيين إلى التطوع للقتال في فلسطين؛ فلبى دعوته قرابة خمسة عشر ألف شخص، سجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين من أجل إنقاذ فلسطين، أغلبهم ممن سبق لهم أن خدموا جنوداً أو ضباطاً في الجيش العراقي والشرطة.

واختير قسم كبير من هؤلاء للتوجه إلى فلسطين، وشكلت منهم عدة أفواج، منها: فوج الحسين، وفوج القادسية، فضلاً عن سرية من المغاوير (القوات الخاصة) ضمت ضباطاً متدربين على مثل

(1) ينظر: 15 أيار 1948 كارثة فلسطين، محمود فهمي درويش: 41-42، ومن سجل ذكرياتي، الشيخ محمد محمود الصواف: 173-174، ونكية فلسطين والفردوس المفقود، عارف العارف: 49/1.

(2) ينظر: من سجل ذكرياتي، الشيخ محمد محمود الصواف: 174-175، 182، ونكية فلسطين والفردوس المفقود: 50-52.

(3) ينظر: 15 أيار 1948 كارثة فلسطين، 41-44، ونكية فلسطين والفردوس المفقود: 49-50.

(4) طبعته الجمعية في مطبعة الرابطة ببغداد، ووزعته مجاناً سنة (1949م).

والمؤرخ المعروف (عبد المنعم الغلامي) الذي ألقى فيه خطاباً بعنوان: (العرب وانفعال النفس) "ضمنه التذكير بأمجاد العرب وعزهم، وقدرتهم على اجتياز المصاعب، وحرّك مشاعر الحاضرين باتجاه مناصرة الشعب الفلسطيني وما يعانيه جراء المؤامرات الصهيونية تجاه الإسلام والعروبة"⁽³⁾.

3 - الفتاوى والكتابات الشرعية: وهذه لها أمثلة عدة، لعل من أبرزها: فتاوى العلماء والجمعيات الإسلامية في مختلف المدن العراقية، وفتاوى وكتابات الشيخ (محمد حبيب العبيدي). ونقتصر هنا على ذكر أشهر هذه الفتاوى وأكثرها انتشاراً، وهي فتوى (رابطة علماء العراق) سنة (1967م)⁽⁴⁾،

التي صدرت بعنوان: (نداء من جمعية رابطة العلماء في العراق إلى الشعب العراقي الكريم خاصة والعالم الإسلامي عامة)، وهذا نصها:

"قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) [سورة الحجرات: 10]، وقال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [سورة الفتح: 29]. وقال عليه الصلاة والسلام: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)⁽⁵⁾. فنظراً إلى اشتداد الأزمة

تجعل الكتاب وثيقة بالغة الأهمية عن أحداث فلسطين سنة (1948م).

2 - التجمعات الجماهيرية: ومنها:

أ. لجنة الاجتماع الجماهيري: في الموصل سنة (1936م)؛ للتضامن مع الشعب الفلسطيني ودعم ثورته المتجددة في (نيسان/أبريل 1936م)، وضمت اللجنة عدداً من وطنيي الموصل، من المسلمين وغيرهم، نحو: سعيد الحاج ثابت، والمحامي سعد الدين زيادة، وفريد الجادر، وعبد الجبار الجومرد، ومحمد علي الحاج ذنون، وعبد المنعم الغلامي، ورؤوف المشهداني، وعبد المجيد حجاوي، ويعقوب قسطو، وعبد الأحد مراد، وناصر سرسم، وبشير مراد، وسيروب كندريا، وحبيب سرسم. وقد شارك في هذا اللجنة اثنان من علماء الموصل المعروفين، وهما: الشيخ بشير الصقال، والشيخ عبد الله الصوفي -رحمهما الله-⁽¹⁾.

ب. التجمع الكبير: الذي دعت إليه جمعية الشبان المسلمين في الموصل؛ لمناصرة الشعب الفلسطيني، وأقيم في (الجامع النوري الكبير) في (1936/5/6م)، واحتشد فيه عدد كبير من الشباب، وألقيت فيه كلمات وخطابات قوية، وشكلت له لجان فرعية في مدن أخرى⁽²⁾، وكان من أبرز خطبائه الوطني

(1) ينظر: أصداء القضية الفلسطينية في الموصل (1932-1948م): 260، وعبد المنعم الغلامي (1899-1967م)؛ دراسة تاريخية في نشاطه الثقافي والصحفي والسياسي، رعد أحمد الطائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005م: 199-200.

(2) ينظر: أصداء القضية الفلسطينية في الموصل (1932-1948م)، وائل علي النحاس: 268.

(3) عبد المنعم الغلامي (1899-1967م)؛ دراسة تاريخية في نشاطه الثقافي والصحفي والسياسي: 200.

(4) العدد الثامن، السنة التاسعة، ربيع الأول 1387هـ-حزيران 1967م.

(5) أصل الحديث في: صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج (2442)، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج (2564).

بَاءَ يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [سورة الأنفال: 15-16].

والجمعية إذ تتقدم إلى أبناء الأمة بهذا النداء الشرعي معاهدة تقدمها للصوف ببذل النفس والنفيس في سبيل استرجاع أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؛ تناشد أبناء الأمة وعلى رأسهم قادة العرب والمسلمين أن يقفوا عند حدود الله ويأتمروا بأوامره ويوحدوا كلمتهم وينزعوا الأحقاد من صدورهم ويتذرعوا بتقوى الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [سورة محمد - ﷺ: 7]. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا زلت منصورين على أعدائكم ما دمت متمسكين بسنتي فإن خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من صدوركم حتى تعودوا لسنتي)⁽¹⁾. ولقد أحسن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- حين كتب إلى جنده وقادة جيشه يوصيهم بتقوى الله مذكراً إيهم بأن ذنوب الجيش أخوف عليه من سلاح عدوهم وإنما لا نتصر على أعدائنا بكثرة العدد والعدة وإنما بتقوى الله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالِغَايَةِ قَدِيرٌ) [سورة الطلاق: 2-3].

وختاماً: حسبنا الله ونعم الوكيل.. نعم المولى ونعم النصير.

أحمد الزهاوي

رئيس جمعية رابطة العلماء في العراق

الأخيرة بين اليهود الصهاينة المعتدين وبين الأمة الإسلامية بسبب الاعتداءات من هذه العصابة المجرمة بقتل الأنفس البريئة وهتك الحرمات ونهب الأموال؛ ولخطورة الموقف الذي أصبح يهدد البلاد العربية والإسلامية جمعاء؛ فإننا نؤكد للأمة أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل مسلم يطبق حمل السلاح عملاً بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) [سورة البقرة: 193]، وقوله تعالى: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [سورة النساء: 74]. وقد وعد -سبحانه- المؤمنين الصادقين بالنصر والظفر، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ كُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) [سورة الأنفال: 65].

هذه عدة من الله تعالى وبشارة لعباده المؤمنين بالنصر مهما كانت الظروف، ولما كانت الأمة المحمدية هي المنتدبة من قبل الله تعالى لإقامة دينه وإعلائه كلمته؛ فقد أصبح لازماً عليها أن تجاهد المعتدين بعربها وعجمها؛ لتتبوأ مكانتها التي أرادها الله لها إذ كل تقصير أو تهاون يقع منها في أمر الله يعد من الجرائم الكبرى التي لا يجازيها الله عليها إلا بالذل والهوان والدمار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الدُّبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَكُفُّوا

(1) هذا اللفظ غير وارد، وأصل الحديث في سنن أبي داود (3462) وغيره، بلفظ: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

الهائجة في العراق نصرة لفلسطين وقت صدور مذكرة الاحتجاج هذه، قائلاً:

"قامت مظاهرات صاخبة في بغداد، استنكاراً للتقسيم، منددة بكل من يرضى به واصفة إياه بالمروق من العروبة والدين، وأذاع علماء الدين في العراق: سنيون وشيعيون، نداءً بوجوب مؤازرة فلسطين ديناً، لحفظها للعروبة والإسلام، واستهجان خطة التقسيم وإنشاء دولة يهودية فيها..."

وقد كان للعطف والحماس العظيمين اللذين أظهرهما العراق حكومة وشعباً، أثرٌ قوي في فلسطين وانتعاش آمال أهلها⁽³⁾.

ب. الرسائل والبرقيات: التي دأب على إرسالها علماء العراق إلى الملوك والرؤساء العرب والمسلمين، والدول والمنظمات، ووسائل الإعلام، وهي كثيرة وأمثلتها لا يحصيها عد، ولعل أبرز من عرف بعنايته بذلك من علماء العراق هما: الشيخ (محمد حبيب العبيدي)، الذي أنفق مبالغ طائلة في هذا السبيل⁽⁴⁾، والشيخ (أحمد الراوي)⁽⁵⁾.

5 - الكتب والمؤلفات العامة: وترد في هذا السياق كتب مختلفة، منها: (الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية) للعلامة المفتي (محمد حبيب العبيدي)، وسيرد تفصيل عنه لاحقاً، و(المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام)، للشيخ

4- مذكرات الاحتجاج والرسائل والبرقيات: ومنها:

أ. مذكرة الاحتجاج: التي أصدرها عدد من العلماء أثناء الهبة الكبيرة لنصرة الشعب الفلسطيني في انتفاضته الكبيرة سنة (1933م)؛ حيث صاغ عدد من علماء العراق مذكرة احتجاج، وأرسلوها إلى (عصبة الأمم) عن طريق وزارة الخارجية العراقية، وأوصلوا نسخاً منها إلى مفوضيات الأقطار العربية والأجنبية في بغداد. وقد وقع على هذه المذكرة الشيوخ: (محمد حبيب العبيدي) و(إبراهيم الراوي) و(عبد الجليل آل جميل) و(أحمد الراوي) و(إسماعيل الواعظ) و(محمد رشيد السعدي) و(بهاء الدين النقشبندي)⁽¹⁾. وقالوا فيها: إن مشكلة فلسطين، لا تُحل إلا بالعدل والإنصاف، وأنه لا يوجد في الكتب المقدسة وحقوق البشر الطبيعية، وما يتطلب معنى الإنسانية؛ مثيل للسياسة المطبقة في فلسطين الهادفة إلى تحقيق الأطماع الصهيونية فيها، عن طريق فتح باب الهجرة على مصراعيه، والضغط على حرية العرب هناك، ومقاومتهم بالحديد والنار، عند مطالبتهم بحقوقهم المشروعة، وسفك الدماء وانتهاك الحرمات، مما أدى إلى تألم العالمين الإسلامي والعربي، وأن الكتب المقدسة أحق بالرعاية من وعد بلفور⁽²⁾. ويشير (محمد دروزة) إلى الأوضاع العامة

(1) ينظر: العراق والقضية الفلسطينية: 362. وأصل الخبر في جريدة الاستقلال، بتاريخ: 24/11/1933م.

(2) ينظر: العراق والقضية الفلسطينية: 362-363.

(3) حول الحركة العربية الحديثة: 165/3.

(4) ينظر: الشيخ محمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 88-90.

(5) ينظر: مذكرات الشيخ أحمد الراوي: 276-277.

بهما مع العربية⁽⁵⁾.

وقد أخذ عنه عدد من طلبة العلم في الموصل، منهم: الشيخ الأديب والشاعر (شمس الدين الموصلي)، والشيخ القاضي (عبد القادر فائق الدبوني). واختير مفتياً للموصل سنة (1923م)، ثم مدرساً في جامعة (آل البيت) سنة (1926م)، ثم قاضياً شرعياً في بغداد سنة (1933م)، وقاضياً شرعياً في الموصل سنة (1934م). وانتقل بعد ذلك إلى التدريس في الجامع (النوري الكبير) في الموصل سنة (1945م)، وجامع (النبي يونس)، وبقي مدرساً فيهما حتى وفاته⁽⁶⁾.

وللشيخ جهود كثيرة ومتنوعة: تدريساً، وفتياً، وتأليفاً، ودعوة، وسياسة، إذ تكاد حياته تكون حلقات متسلسلة من الجهود المضنية في سبيل ما يؤمن به من قضايا: الدين والأمة والوطن، ترك إرثاً علمياً وأدبياً كبيراً، وما زالت مؤلفاته حتى الآن تحظى باهتمام وعناية الباحثين والدارسين، وكتبت عنه وفيه رسائل علمية وبحوث ودراسات عدة⁽⁷⁾.

توفي (العبيدي) -رحمه الله- في الموصل في (19/10/1963م)، ودفن فيها، بعد أن شيعه أهلها من علماء ومثقفين وأدباء وغيرهم في يوم مؤثر وحزين⁽⁸⁾.

محمد محمود الصواف، وفيه فصل مهم عن فلسطين والمؤامرة على القدس بعنوان (المؤامرة الكبرى)، نقل فيه نقولاً مهمة عن آراء الشيخ (أمجد الزهاوي) في القضية الفلسطينية ونشأة الدولة العبرية⁽¹⁾، وكتاب (معركة الإسلام، أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم) للشيخ الصواف أيضاً⁽²⁾، و(دراسات في التوراة؛ جذور العدوان لدى اليهود)⁽³⁾ و(اليهود والتحالف مع الأقوياء)⁽⁴⁾، وكلاهما للدكتور (نعمان عبد الرزاق السامرائي)، وغيرها.

ثانياً: الجهود الفردية

1 - الشيخ محمد حبيب العبيدي

ولد الشيخ (محمد حبيب) في الموصل، في الثاني من شهر ذي الحجة من سنة (1296هـ/1880م)، ودرس فيها في (المكتب الرشدي العثماني) ثم دخل (المكتب الإعدادي) ولم يكمل الدراسة فيه؛ مواصلاً تعليمه على يد الشيخ (ملا علي الحصري) في علوم اللغة، التي أكملها على يد الشيخ (أحمد الفخري)، ثم درس علوم الشرع على يد أخيه الشيخ (محمد الفخري)، وحصل على الإجازة في فقه (الحنفية) وهو في سن الثامنة عشرة، وتعلم التركية والفارسية ونظم

(1) ينظر: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، الشيخ محمد محمود الصواف: 232-249.

(2) مطابع معنوق إخوان، بيروت، ط 1، 1389هـ/1969م.

(3) بغداد، 1968م.

(4) سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، ط 1، 1412هـ/1992م.

(5) ينظر: تاريخ علماء الموصل، أحمد محمد المختار: 49/2.

(6) ينظر: تاريخ علماء الموصل، 51/2، ومحمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 47-51، ومقدمة تحقيق كتاب: حبل الاعتصام: 14.

(7) تنظر هذه الجهود في: تاريخ علماء الموصل: 52-51/2، وتاريخ الموصل: 98/2، وفهرس مخطوطات أوقاف الموصل: 16/8، ومحمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 65-90، وقراءة في فكر الشيخ المفتي: 647.

(8) ينظر: الشيخ محمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 61-64، ومقدمة تحقيق: حبل الاعتصام: 13.

الرسائل للقيام بواجباتهم وأقام عليهم الحج. وألحق (العبيدي) بالفتوى حديثاً مطولاً عن دسائس الإنكليز و(جناياتهم على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة)، وهو حديث سبق له نشره موسعاً في كتاب بهذا العنوان، طبع في بيروت سنة (1916م).

ب. دعمه لثورة البـراق:

استمر العلامة (حبيب) على هذا المنوال في التفاعل مع الحوادث المستجدة في ربوع فلسطين عامة والقدس خاصة، وهكذا نجده يقف موقفاً مشرفاً أثناء (ثورة البراق) سنة (1929م).

يدفع جريدة البلاد ببغداد -وهي من الجرائد المعروفة وقتها- إلى نشر صورته مع تعليق يقول: "الأستاذ محمد حبيب العبيدي الذي بذل جهداً في الدفاع عن عرب فلسطين العربية في الحوادث الأخيرة"⁽²⁾.

ج. مشاركته في (المؤتمر الإسلامي العام) في القدس سنة (1931م): وعن هذه المشاركة يقول الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء)، عضو وفد العراق للمؤتمر: "وكان في ذلك الجمع المحتشد فطاحل العلماء من سائر الأقطار وعيون الرجال من كافة الأمصار: كالتفتازاني، والنجار، ورشيد رضا صاحب المنار، والشيخ نعمان الأعظمي، بل ومثل العلامة السيد حبيب العبيدي مفتي الموصل..."⁽³⁾.

د. مشاركته مع عدد من علماء بغداد في إصدار مذكرة الاحتجاج -متقدمة الذكر-

جهود الشيخ في مواجهة الخطر الصهيوني

أ. أصدر الشيخ (محمد حبيب العبيدي) سنة (1947م) فتواه المشهورة: (الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية)، وهي فتوى تدل على انتباهه الدقيق لمخاطر الصهيونية، واستشرافه لأطماعها في فلسطين والمنطقة منذ وقت مبكر؛ إذ إن فتوى هذه الفتوى قد سبق له ذكره في جهود عدة له في هذا السياق، ومنها: محاضرة ألقاها في (بيروت) بعنوان (ظلم وظلام) سنة (1915م)، يقول عنها وعن جهوده الأخرى نصرة لفلسطين وأهلها: "يعلم الله أنني طالما انتهزت الفرص لأداء واجباتي الدينية والقومية تجاه فلسطين، سرّاً وجهراً، منفرداً ومجتمعاً، وبدأ عهدي بمعالجة هذا الداء من سنة (1914م)... وإن أنسّ لا أنسّ تلك الحملة الشعواء، التي حملتها... وتلك المطيرة التي طيرتها لمصير فلسطين من دسائس الصهاينة في محاضرة ألقيتها في النادي الأهلي في بيروت بدعوة من جمعية الشبيبة النابلسية: وكفى بعنوانها مخبراً عن مضامينها".

و(الفتوى الشرعية) هي فتوى من حيث الاسم فقط؛ وإلا فهي في أصل وضعها دراسة موسعة، جاءت طبعتها الأولى في (167) صفحة⁽¹⁾، أفتى فيها (العبيدي) ونبه وحذر، وحدد المخاطر وعرض المخاوف، وشرح سبل الحل، وناشد الناس وحثهم، ودعا الحكام ووجه لهم

(1) مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1336هـ/1947م.

(2) محمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 249.

(3) عقود حياتي، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: 142-143.

2 - الشيخ أحمد الراوي

ولد الشيخ (الراوي) في مدينة (عنه) بالأنبار سنة (1300هـ/1883م)، وأكمل فيها العلوم الابتدائية، ودرس على يد الشيخ (قاسم أفندي آل عريم) -رحمه الله- مفتي (عنه). ثم سافر إلى بغداد ودرس على عدد من علمائها، نحو: الشيخ (قاسم القيسي) والشيخ (إبراهيم الراوي) والشيخ (عبد الوهاب النائب) وغيرهم، ونال الإجازة العامة منهم. وتقلب في مناصب الإمامة والخطابة والقضاء في مناطق مختلفة، وبعد الاحتلال البريطاني غادر العراق، واستقر في مدينة (دير الزور) التي كانت (لواءً) يتبع الحكومة العربية في دمشق، وعين قاضياً فيها، ثم رجع إلى العراق بعد إعلان الملكية، فعُيِّن قاضياً. وبعد إلغاء مؤسسة القضاء الشرعي سنة (1926م) والاقتصار على القضاء المدني، تفرغ للتدريس وإدارة (مدرسة سامراء العلمية). وللشيخ الراوي عدة كتب ورسائل، هي: (إظهار الصواب)، و(صوم رجب وشعبان) و(حياة السيد سلطان علي)، و(المدرسة العلمية الدينية في سامراء)⁽⁴⁾. والرسالة الأخيرة ضمنها آراءه في التربية والتعليم والإصلاح.

توفي -رحمه الله- في (13/ذي القعدة/1385هـ - 5/3/1966م)، ودفن في الجامع الكبير بسامراء⁽⁵⁾.

المرسلة إلى (عصبة الأمم) ومفوضيات الأقطار العربية والأجنبية في بغداد؛ نصرة للشعب الفلسطيني في انتفاضة سنة (1933م)⁽¹⁾، فضلاً عن رسائله وبرقيات الاحتجاجية التي أشرنا لها في موضع سابق؛ حيث راسل في سبيل القضية الفلسطينية كثيرين، شارحاً لهم مخاطر الصهيونية على فلسطين، أو محذراً من بعض المشاريع السياسية، أو متضامناً ومسانداً للفلسطينيين في مراحل تصديهم للاحتلال البريطاني والمخططات الصهيونية، نحو: رسالته إلى إمام اليمن يحذره فيها من فكرة الحلف العربي وخطورته على الأمة، ورسالته للملك غازي في العراق يشكره فيها على موقفه من فلسطين ودفاعه عنها بعد إعلان مشروع التقسيم، ورسالته إلى لجنة التحقيق الإنكليزية الأمريكية سنة (1946م). وكثير من رسائله هذه منشورة في الصحف البغدادية والموصلية وقتها، مثل: الاستقلال، وصدى الاستقلال، وفتى العراق، والبعث القومي، ونصير الحق⁽²⁾.

فضلاً عن شعره وأدبه المسخر؛ فضح الصهيونية وبيان مخاطرها، ونصرة فلسطين، ودعم جهاد أهلها وصمودهم، ومتابعة شؤون القضية الفلسطينية وهمومها، التي كان له في كل مفصل مهم منها؛ أثر وشعر ونثر⁽³⁾.

(1) ينظر: العراق والقضية الفلسطينية: 362-363.

(2) ينظر: محمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 88-90.

(3) تنظر نماذج من ذلك في: محمد حبيب العبيدي، حياته وأدبه: 248-257.

(4) ينظر: تاريخ علماء سامراء: 16.

(5) تنظر ترجمته في: مذكرات الشيخ أحمد الراوي: 118-25، وموقع الشيخ أحمد الراوي الإلكتروني:

<https://sites.google.com/site/amamalrawi/home>

ممثلين من شيوخ العشائر ووجهاء المدن كممثلين للجمعية كل في منطقته، ومن هؤلاء: "الشيخ جاسم الجبوري -رحمه الله- في ناحية الضلوعية، والحاج شاكر الشيخ وهيب -رحمه الله- في ناحية الدور، والشيخ ندا الحسين شيخ ابو ناصر، والسادة الأوالسة، والشيخ صابر الشيخ خلف الرفاعي في تكريت"، فضلاً عن مدينة سامراء التي كانت "مقر المركز الرئيس لجمع التبرعات فقد ساهم جميع شيوخ عشائر سامراء بذلك".

ج. عنايته بتوجيه الرسائل والبرقيات إلى الجهات السياسية والشخصيات الرسمية ووسائل الإعلام، باسم فرع (جمعية الدفاع عن فلسطين) في سامراء، ومنها: رسالته إلى الوصي على العرش في العراق وقتها، ورئيس الوزراء، والسفير البريطاني في بغداد، وغيرهم، ورسالته إلى الصحف المعروفة حينها نحو: جريدتا (الاستقلال) و(البلاد).

وقد تضمنت هذه الرسائل والبرقيات بيان ما يجري في فلسطين وما يتعرض له الفلسطينيون على يد قوات الاحتلال البريطاني، ومن ذلك قوله في إحداها: "إن أعمال السلطات البريطانية في فلسطين من قتل وتعذيب إخواننا العرب قد أساء جميع الناطقين بالضاد، وهم يستنكرون هذه الفظائع المخالفة للديمقراطية التي تدعيها انكلترا وتباعد بينها وبين حقوق العرب والمسلمين"، ودعا في هذه الرسائل إلى التوسط لإيقاف "هذه المظالم وإنقاذ إخواننا عرب فلسطين البواسل" (2).

جهود الشيخ في مواجهة الخطر الصهيوني

أ. مشاركته علماء بغداد والعراق في إصدار الفتاوى العامة المتعلقة بالقضايا المهمة في العراق وخارجه، ومنها: فتوى إعلان الجهاد لتحرير فلسطين، وانضم إلى (لجنة الدفاع عن فلسطين) وأسس فرعاً لها في مدينة (سامراء) كان معه فيه السيدان: حسين العابد شيخ عشيرة (البدو دراج)، والحاج جاسم الحجي، أحد وجهاء عشيرة (البورحمان)، وغيرهما من وجهاء المدينة (1).
ب. استضافته الحاج (أمين الحسيني) -رحمه الله- مفتي القدس ورئيس (المجلس الإسلامي الأعلى) في فلسطين في (سامراء) عدة أيام سنة (1940م) من أجل تأسيس صندوق تبرعات لمجاهدي فلسطين في قضاء سامراء، حيث لم يقتصر نشاط الشيخ في مجال جمع التبرعات على مدينة (سامراء) فقط؛ بل شمل النواحي التابعة لها، ولأجل ذلك عَمَّم قائم مقام قضاء (سامراء) في وقتها كتاباً إلى النواحي التابعة للقضاء: (بلد وتكريت وبيجي والدور)؛ يحثهم فيه على التعاون مع الشيخ أحمد الراوي لتسهيل مهمته في جمع التبرعات.

وقد استمرت حملات التبرع التي أشرف عليها الشيخ الراوي عدة سنوات ولم تتوقف طوال العهد الملكي؛ حيث استعان بعلاقاته الوثيقة مع شيوخ العشائر والشخصيات المؤثرة في القضاء، واستثمر مكانته في نفوس أهالي سامراء، في توسعة عملية التبرع عن طريق انتداب

(1) ينظر: مذكرات الشيخ أحمد الراوي: 275.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 276.

المطلب الثاني

• جهود العلماء الفلسطينيين في العراق في مواجهة الخطر الصهيوني

نزع كثير من أهل فلسطين بعد أحداث النكبة (1947-1948م)، ولا سيما سكان مدن الساحل: يافا، وحيفا، وعكا، واللد، وغيرها، ولجؤوا إلى عدد من البلدان العربية المجاورة لفلسطين، وانتهى الحال بقسم منهم في العراق، وتحديدًا النازحون من مناطق: حيفا، ويافا، ومثلث (جنين- طولكرم- نابلس) التي كانت تقاتل فيها قوات الجيش العراقي وقتذاك⁽¹⁾. وقد سبق هؤلاء إلى العراق عدد من فضلاء الفلسطينيين في سنوات مختلفة، ولا سيما بعد ثورة القسام (1935-1936م)، وانخرط بعضهم في العمل الوطني، وأبدوا ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (1941م)، أو شاركوا فيها، ومنهم: الشيخ (محمد أمين الحسيني)، والقائد الشهيد (عبد القادر الحسيني)، والقائد القسامي (أبو إبراهيم الكبير)، وغيرهم.

وقد نشط قسم كبير من هؤلاء اللاجئين في العراق وتفاعلوا مع الحياة العامة فيه في مختلف جوانبها، وبذلوا جهودًا محمودة في التعريف بقضية فلسطين في العراق والتحذير من الخطر الصهيوني، عن طريق الجمعيات التي شاركوا فيها، أو المدارس والمعاهد والكلليات والمساجد التي عملوا فيها، نحو: (دار المعلمين العالية)، و(كلية الإمام الأعظم)، و(جمعية

التربية الإسلامية)، وغيرها، فقد كان فيهم: علماء، ودعاة، ومثقفون، ومفكرون، وأدباء، وشعراء، ومؤرخون، فضلًا عن الضباط.

ومن العلماء والدعاة والمدرسين الذين عملوا في المجال العلمي الشرعي، نذكر: الشيخ (علي الحانوتي)، وابنه الشيخ (محمد الحانوتي)، والشيخ الدكتور (محمد نمر الخطيب)، والأستاذ (بسام صادق) والأستاذ (بشير صادق).

وفي مرحلة لاحقة: الأستاذ الدكتور (رشدي عليان)، والشيخ الداعية (توفيق عبد الجليل الداود)⁽²⁾ -رحمهم الله جميعًا-، وغيرهم. وقد برز من هؤلاء عالمان أغنيا الحياة العلمية والدعوية في العراق، وانتشرت أخبار فضلهما وجهادهما كثيرًا، وهما: الشيخان: علي محمد الحانوتي، والدكتور محمد نمر الخطيب -رحمهما الله-. وفيما يأتي عرض لما تيسر من سيرتهما، وأخبار جهادهما، وتصديهما للخطر الصهيوني، في فلسطين وغيرها، ولا سيما في العراق، الذي اختاره أحدهما موطنًا له حتى وفاته، واستقر فيه الثاني مدة من الزمن، ولم يغادره إلا مضطرًا.

أولاً: الشيخ علي الحانوتي

هو الشيخ الفاضل علي بن محمد بن علي الحانوتي، ولد سنة (1908م) في قضاء (ترشيحا/ ترشيحة) في محافظة (عكا) بفلسطين، ودرس القرآن الكريم في مقتبل عمره على يد الشيخ (محمد المصري) في مدينة (حيفا)، ثم درس

(1) ينظر: اللاجئين الفلسطينيين في العراق، من النكبة عام 1948 إلى ما بعد الاحتلال الأمريكي 2003، عز الدين محمد: 11-18، واللجوء والاضطهاد، اللاجئين الفلسطينيين في العراق (1948-2010م)، ناهض خميس زقوت: 42-48.

(2) اختطفته الميليشيات الطائفية -رحمه الله- ببغداد يوم (22/11/2006م)، وعثر على جثته بعد خمسة أيام في ثلاثة مستشفيات الكاظمية التعليمي، وعليها آثار تعذيب وجلد وعلامات تشير إلى وفاته خنقًا. ينظر: الفقيد الشيخ توفيق عبد الخالق، ثبات حتى الممات، أيمن الشهبان: 134. <https://cutt.us/XtARG>، واللاجئون الفلسطينيون في العراق: 134.

جهود الشيخ الحانوتي في التصدي للخطر الصهيوني

1 - جهوده في فلسطين

عند اندلاع ثورة الشيخ (عز الدين القسام) ضد الاحتلال الإنكليزي أواخر سنة (1935م)، وانتهائها -في مرحلتها الأولى- باستشهاده؛ قامت سلطات الاحتلال البريطاني بعمليات قمعية استهدفت قادة الثورة مع الشيخ القسام في حيفا ومحيطها، واعتقلت عددًا منهم، فضلًا عن اعتقال كثير من مؤيدي الثورة ومناصريها، ومنهم الشيخ الحانوتي، الذي سجن مدة سنة⁽⁵⁾؛ بحكم قربه من عدد من قادة الثورة ولا سيما أستاذه الشيخ (كامل القصاب) أحد مساعدي القسام المعروفين، فضلًا عن عمله في (لجنة الدعوة والثقافة) من تنظيمات الثورة، التي كان يتولى مسؤوليتها الشيخ القصاب، وكانت مهمتها "التثقيف العقائدي وتعبئة الجماهير والدعوة للجهاد ومقاومة الاحتلال" معتمدة على "حلقات التدريس والوعظ والإرشاد في المدارس والمساجد، في حلقات وخلايا سرية يجري فيها توجيه الشباب والأعضاء توجيهًا ثوريًا سليماً، أساسه إفهام العضو معنى الجهاد في سبيل الله ومكانة المجاهدين عند الله تعالى..."⁽⁶⁾.

العلوم العربية والشرعية على عدد من علماء فلسطين، نحو: الشيخ (كامل القصاب)، والشيخ (صالح العشماوي)، والشيخ المجاهد (عز الدين القسام)⁽¹⁾. ثم أتم دراسته الابتدائية والثانوية، وذهب إلى مدينة (عكا)؛ للدراسة في (المعهد العلمي الأحمدى)، على يد كبار علمائه، ومنهم: الشيخ (عبد الله الجزار) مفتي عكا، ومدير المعهد الشيخ (محمد اللبابيدي)، ومفتي الشافعية الشيخ (محمود القبلأوي)، فضلًا عن الأخذ عن الشيخ (توفيق العنبتاوي)، والشيخ (يوسف النبهاني)⁽²⁾. ثم سافر إلى مصر لإتمام دراسته بالأزهر الشريف، ومن شيوخه فيه: الشيخ (محمد أمين الكردي)، والشيخ (محمد بخيت المطيعي)، والشيخ (يوسف الدجوي) والشيخ (عيسى منون)، والشيخ (عبد المجيد اللبان) والشيخ (محمد الخضر حسين) والشيخ (محمد حبيب الله الشنقيطي)، فضلًا عن دراسته على يد المحدث الشيخ (محمد الحافظ التيجاني)⁽³⁾. توفي -رحمه الله- يوم الأربعاء (5 جمادى الآخرة 1404هـ - 1984/3/7م)، وشيع عصر ذلك اليوم بموكب حافل من (حي السلام) غربي بغداد، إلى مقبرة الشيخ جنيّد البغدادي، التي أوصى أن يدفن فيها، وأن لا يقام له مجلس عزاء، ونفذت وصيته⁽⁴⁾.

(1) ينظر: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ يونس إبراهيم السامرائي: 524.

(2) ينظر: عالم فقده: الشيخ علي الحانوتي، صادق الجميلي، مجلة التربية الإسلامية، بغداد، العددان 10 و11، شوال 1404هـ - آب 1984م.

(3) ينظر: عالم فقده: الشيخ علي الحانوتي، مجلة التربية الإسلامية، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 524.

(4) ينظر: عالم فقده: الشيخ علي الحانوتي، مجلة التربية الإسلامية.

(5) ينظر: عالم فقده: الشيخ علي الحانوتي، مجلة التربية الإسلامية.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

بغداد سنة (1960م)، ونقل في السنة نفسها إلى جامع (الحاج زيدان) في حي الطوبجي (السلام)، ومكث فيه أربع سنوات تقريباً؛ حيث نقل في شهر آب/ أغسطس (1964م)، إلى جامع (فتاح باشا) المبني حديثاً في حي (البّياع)، واستمر عاملاً فيه ومدرّساً مدة عشرين سنة حتى وفاته -رحمه الله-⁽¹⁾.

وكان جدول الشيخ مشحوناً طوال الأسبوع بالعلم والدعوة والإفادة: تدريساً ووعظاً وإرشاداً؛ حيث كان يعقد حديث الوعظ العام بين المغرب والعشاء من كل يوم أربعاء، وحلقات الذكر في ليالي الجمع وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه، ودروس الوعظ والتوجيه في المدن والقرى والأرياف، التي كانت تنظمها مجموعة من العلماء في بغداد أيام الاثنين من كل أسبوع، فضلاً عن نشاطه الاجتماعي وتفقد أحوال الناس، وزيارتهم في بيوتهم، وعيادته لمرضاهم وتشجيعه أهل اليسار والأموال على مساعدة الفقراء⁽²⁾.

يقول الشيخ يونس السامرائي -رحمه الله- عنه: "هو عالم فاضل، محدث وخطيب مفوه، ومدرّس متمكن، وعارف بالمعقول والمنقول، مع تقى وصلاح واستقامة وتمسك بأداب الإسلام"⁽³⁾. ويقول الأستاذ (صادق الجميلي) -رحمه الله-: "كان الفقيد... مع ما عرف به من جرأة في الحق، يغار على الإسلام وأهله ويقارع المبطلين الذين يروجون الأفكار

وفي سنة (1947م) عيّن الشيخ الحانوتي مدرّساً في مدرسة قرية (جبع) بقضاء حيفا؛ فشارك مع أساتذتها في الدعوة إلى التصدي لليهود، وبث روح المقاومة بين الطلبة وأهالي المنطقة. ووقعت وقتها معركة معروفة في المنطقة مع اليهود -ودفـي- (14/9/1947م)؛

فأغلقت سلطات الاحتلال البريطانية المدرسة متهمة إياها بالتسبب بذلك، ثم اشترك الشيخ بعد ذلك في معركة أخرى في حيفا بتاريخ (18/7/1948م).

وبعد ما جرى من أحداث النكبة وهجرة كثير من أبناء فلسطين من مدنهم وقراهم واحتلال المستوطنين الصهاينة لها؛ هاجر الشيخ الحانوتي وكثير من أهالي حيفا وما حولها إلى العراق.

1 - جهوده في العراق

استقر الشيخ الحانوتي -رحمه الله- في العراق بعد نكبة التقسيم، وعمل فيه حتى وفاته؛ إذ اختير أولاً إماماً وخطيباً في جامع مدينة (الشطرة) بمحافظة (ذي قار) جنوبي العراق، في مطلع سنة (1949م)، ثم نقل في نهايتها إلى بغداد مدرّساً في مدرسة (تعليم القرآن الكريم) في مديرية الأوقاف العامة، ثم مدرّساً في ثانوية الأوقاف الدينية المعروفة بـ (المدرسة النجيبية)، التي بقي فيها عشر سنوات مدرّساً للغة العربية، والتجويد والتفسير، والحديث، والفقه. وبعد إلغاء المدرسة النجيبية، عيّن إماماً وخطيباً في جامع (المأمون) في الجانب الغربي من

(1) ينظر: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 524.

(2) ينظر: عالم فقدهناه، الشيخ علي الحانوتي، مجلة التربية الإسلامية.

(3) تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 524.

والثاني: حفيده (أسامة إبراهيم الحانوتي) من مواليد بغداد سنة (1973م)، الذي اغتالته قوات الاحتلال الأمريكي في (8/4/2004م)، في منطقة (أبو غريب) غرب العاصمة بغداد، وكان وقتها يدرس في مرحلة الدكتوراه في (كلية العلوم الإسلامية) بجامعة بغداد⁽³⁾.

ثانيًا: الشيخ محمد نمر الخطيب

هو: محمد نمر بن عبد الفتاح بن سعيد الخطيب، ويرتقي نسبه إلى السيد أحمد الصيادي الرفاعي الحسيني، ولد سنة (1918م) في مدينة (حيفا) بفلسطين، في أسرة علمية معروفة، تتولى مهام الإفتاء والقضاء ونقابة الأشراف في المدينة،

التي استقر فيها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي جد العائلة الشيخ (عبد الواحد أفندي بن محمد)، وتولى إمامة وخطابة الجامع الكبير (جامع النصر)، الذي بوشر ببنائه في المدينة باقتراح منه سنة (1775م)⁽⁴⁾، فعُرفت العائلة بوصف (الخطيب). يقول الشيخ (هاشم الأعظمي): "أسرته عريقة بالنسب عربية الأصل، تسلم أجداده نقابة الأشراف ومقاليذ الإفتاء ومقام الإمامة وذروة المنابر"⁽⁵⁾.

أنهى الشيخ الخطيب تحصيله الأولي والثانوي في (حيفا) و(عكا)، وأخذ شيئاً من العلوم عن علمائهما، ثم انتقل إلى

الهدامة، وتشهد له بغداد تلك الوقفة الجريئة التي لقن بها أحد دعاة الهدم والتخريب درساً لا ينساه أبداً، وذلك في الستينات يوم وفد إلى بغداد يدعو إلى ما يثير المسلمين ويستفزهم ويطعن في عقيدتهم، فقاد جموع المصلين في مساجدهم مع بعض إخوانه من العلماء في مظاهرة احتجاجية كبيرة متجهة نحو أحد النوادي التي أعلن عن إلقاء المحاضرة فيه، استعملت فيها القوة في منع هذا الوافد من ترويج أفكاره وفرّ ناجياً بنفسه وعاد من حيث أتى"⁽¹⁾.

وكان الشيخ دائب التعريف في مجالسه وحلقات درسه؛ بفلسطين وهمومها وأهلها ونكبتهم، ورواياً لما رآه من أحداث وشارك فيه من وقائع، ومتفاعلاً مع كل حدث أو عمل يخدم هذا السياق. وبعد غزو العراق واحتلاله سنة (2003م)، قتل اثنان من أفراد عائلة الشيخ الحانوتي، الأول: نجله الشيخ (حامد الحانوتي) من مواليد بغداد سنة (1961م)، الذي قتل على يد القوات الحكومية، التي اعتقلته بعد حملة مدامات اشتركت فيها قوات أمريكية وطلاته مع عدد آخر من الفلسطينيين، وشملت اقتحام مجمع سكن الفلسطينيين في منطقة (البلديات) شرق بغداد في (13/3/2007م)، ثم وجدت جثته في اليوم التالي ملقاة في أحد الشوارع⁽²⁾؛

(1) عالم فقدناه؛ الشيخ علي الحانوتي، مجلة التربية الإسلامية.

(2) ينظر: موقع قناة (الجزيرة)، 14/3/2007م: <https://2u.pw/RsUIP>، واللجان الفلسطينيون في العراق: 139.

(3) ينظر: <https://cutt.us/3a15t>، واللجان الفلسطينيون في العراق: 132.

(4) ينظر: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، عادل متاع: 164، وموسوعة أعلام فلسطين: 278/7.

(5) تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، الشيخ هاشم الأعظمي: 139.

في كتفه الأيسر، وقُتل راكب وأصيب آخر، ونقل مباشرة إلى مستشفى (المقاصد) في بيروت للعلاج الطارئ، ثم إلى دمشق لاستكمال العلاج⁽³⁾. وأقام الشيخ بعد ذلك مدة في دمشق، ثم في بغداد، وانتقل بعدها للإقامة في لبنان، وبقي فيه سنوات، والتقاءه فيها الشيخ (أبو الحسن الندوي) -رحمه الله- ووصفه بالصادق القديم، وذكر أنه كان يرأس وقتها (جمعية الرابطة الإسلامية) في بيروت⁽⁴⁾. ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ومكث فيها مدرساً وخطيباً وداعية، ثم انتقل للتدريس في (معهد الدراسات والبحوث العالية) بتونس، فالجامعة الإسلامية بليبيا، واستقر أخيراً في المدينة المنورة مطلع الثمانينيات الميلادية مدرساً في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، ثم مدرساً في كلية التربية.

وله -رحمه الله- مؤلفات كثيرة في العلوم الشرعية والدعوة والفكر والأديان والمنطق والفلسفة والتأريخ والرحلات، منها ما طبع وانتشر ومنها ما لم يطبع، وهي قرابة بضع وثلاثين كتاباً، فضلاً عن فتاويه المطبوعة، وكتبه المتعلقة بالقضية الفلسطينية، التي سيرد

مصر للدراسة في الأزهر، ومكث فيه (12) سنة، حصل في السنوات الثمان الأولى منها على الشهادة العامة، وبعد إعادة تنظيم الأزهر على وفق نظام الكليات، اختار الشيخ الدراسة في كلية أصول الدين، واستمر فيها أربع سنوات، حصل في نهايتها على الإجازة العالية، وسجل في قسم الماجستير، ثم عاد إلى حيفا⁽¹⁾. ودرس الشيخ في الأزهر على يد: العلامة (محمد بخيت المطيعي) مفتي مصر، والشيخ (محمد السملوطي)، والشيخ (يوسف الدجوي)، وغيرهم، وزامل في دراسته عدداً من الطلبة ممن أصبحوا فيما بعد من علماء بلاد الشام المعروفين، نحو: الشيخ عبد الله العلايلي، والشيخ مختار العلايلي، والشيخ أحمد العجوز، والشيخ محمد سوبرا الكبير، والشيخ محمد سوبرا الصغير، والشيخ محمد حرب، والشيخ محمد غزال، والدكتور مصطفى السباعي، وغيرهم⁽²⁾.

استهدف الشيخ الخطيب بالاغتيال على يد منظمة (الهاغاناه) في (20/19 شباط/فبراير 1948م)؛ حيث قام اثنان من عملائها بإطلاق قرابة (32) رصاصة على سيارة كان يستقلها شمال حيفا عائداً من دمشق، فأصيب برصاصة في رتته وثلاثة

(1) ينظر: العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب، تلميذ القسام، خليل الصمادي: <https://cutt.us/j5z4b>، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 620.

(2) ينظر: العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب، تلميذ القسام: <https://cutt.us/CvZfk>، وكلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/l6CbZZkcRxA>، والتسجيل المرئي لتكريم الشيخ الخطيب في (أثينية عبد المقصود الخوجة)، 2019/11/20م: <https://youtu.be/l6CbZZkcRxA>، ومصطفى السباعي، قائد أمة ورائد دعوة، د. محمد عادل الهاشمي: 50.

(3) ينظر: موسوعة أعلام فلسطين: 280/7، وأوراق أردنية، الدكتور محمد المنقرة والدكتور لؤي بوعنة: 255-454. وقد استولت سلطات الاحتلال بعد احتلال حيفا وطرده أهلها، على مكتبة الشيخ ونقلتها إلى (مكتبتها الوطنية)، التي توجد فيها "كتب تعود ملكيتها للشيخ المقرب من المجاهد عز الدين القسام، (محمد نمر الخطيب)... حين حاولت العصابات الصهيونية اغتياله، واستولت على مكتبته الشخصية، وأرسلت محتوياتها لأرشيف المكتبة الوطنية الإسرائيلية". ينظر: خزانة الكتب المسروقة بمكتبة الاحتلال تروي نكبة فلسطين الثقافية، الخليج أون لاين، 2015/7/25م: <https://2u.pw/A3xmn>

(4) رحلات العلامة أبي الحسن الندوي: 302.

الله- في (1935/11/20م)؛ وقام كثير من أهل العلم بما ينبغي لهم أن يقوموا به من قيادة الجماهير وتوجيهها وتوعيتها بمخاطر الاحتلال الإنكليزي والهجرة اليهودية المستمرة، ومن ثم المشاركة في العمل المسلح، كل في المنطقة التي هو فيها. وممن كان لهم أثر كبير في ذلك وجهود مكملة لجهود الشيخ القسّام؛ الشيخ محمد نمر الخطيب، الذي كان ممن تولوا زمام القيادة والتوجيه في مدينة (حيفا)، وعمل في (اللجنة القومية) فيها⁽⁴⁾، فضلاً عن إدارته الأوقاف والمعارف الإسلامية في (لواء) حيفا⁽⁵⁾، وعُرف بمناصرة توجهات الشيخ (محمد أمين الحسيني) مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى⁽⁶⁾.

وقد كان الخطيب قريباً من الشيخ القسّام بعد خروجه من (سوريا) واتخاذ (حيفا) مستقراً له، فدرس عليه، وتشرب أفكاره ووعى أهدافه في مقاومة الاحتلال البريطاني والتصدي للتغلغل اليهودي، التي كان يبثها من على منبر جامع الاستقلال.

وعند استشهاد القسّام "كان محمد نمر الخطيب شاباً يافعاً وبالرغم من صغر سنه إلا أنه هو الذي تولى أمر الدفن

ذكرها لاحقاً⁽¹⁾. وبعد تقاعد الشيخ "فتح داره ومكتبته العامرة لطلاب العلم ومُحبّي المعارف على أنواعها، وكانت داره في المدينة المنورة منتدى لأهل العلم والفضل، وتربطه بعلماء العالم الإسلامي ورجال الدعوة الإسلامية روابط وثيقة وأواصر وشيجة"⁽²⁾. قال عنه الشيخ الدكتور (خليل ملا خاطر) قبل وفاته بخمسة عشر سنة: "خلاصة القول: فالشيخ شخصية إسلامية كبيرة، جمعت صفات متعددة، كل صفة تصلح ليظهر بها متصفها، ومن هنا كان له التأثير الكبير في أغلب المجتمعات التي حل بها، وإذا كان الله تعالى قد أكرمه بطلب العلم ثم بالجهاد العسكري ثم السياسي، فإنه وما زال يتابع جهاده العلمي والفكري والسلوكي والاجتماعي"⁽³⁾.

توفي الشيخ الخطيب -رحمه الله- عن عمر ناهز المائة عام في المدينة المنورة، عشية عيد الأضحى المبارك في (9/ذو الحجة/ 1431هـ - 2010/11/16م).

جهوده الشيخ الخطيب في التصدي للخطر الصهيوني

1 - جهوده في فلسطين
توسعت ثورة الشعب الفلسطيني بعد استشهاد الشيخ عز الدين القسّام -رحمه

(1) منها: (من هدي القرآن) وال(مدخل لدارسة المنطق) و(فلسفة الحج) و(الإسلام دين هداية) و(من نور الإسلام) و(مرشد الدعاة) و(أبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية) و(موقف الدين من العلم) و(فلسفة العبادة في الإسلام) و(من علوم القرآن) و(دراسات في الفلسفة الإسلامية) و(تاريخ الفقه الإسلامي) و(أيام في الباكستان) و(عام في تونس وليبيا) و(شهور في المغرب الأقصى) و(محاضرات إسلامية) و(أحسن الحديث) و(فتاوى إسلامية) و(أسئلة وأجوبتها) و(النصرانية في القرآن، وكما فهمها المفسرون) و(ابن عرفة عالم المغرب).

(2) من نعي رابطة العلماء السوريين للشيخ الخطيب -رحمه الله- ينظر: <https://2u.pw/bwbLZ>

(3) كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/l6CbZZkcRXA>

(4) اللجان القومية: هي جهاز إداري شعبي شكله أهالي فلسطين سنة (1936م)، لقيادة وتوجيه العمل الوطني أثناء مرحلة الإضراب المعروف، وثورة (1936-1939م)، ثم تطور ليصبح (اللجنة العربية العليا لفلسطين). ينظر: الموسوعة الفلسطينية: 14/6-15.

(5) ينظر: كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/l6CbZZkcRXA>

(6) ينظر: حيفا على مر العصور، نذير عبود: 84.

ثم أطلق سراحه، ولمّا عُيّن مدرّساً في (معهد البرج) في مدينة (عكا) اعتقل مرة أخرى ثم أطلق سراحه⁽³⁾، وشارك في عدة معارك سنة (1939م). يقول الباحث (عوني فارس): "يعدّ الشيخ محمد نمر الخطيب من الشخصيات الدينية والسياسية المعروفة في حيفا إبان الانتداب، وشارك بفاعلية في مختلف نشاطات الحركة الوطنية في تلك الفترة... وقد أصيب في معارك الدفاع عن حيفا"⁽⁴⁾.

وفضلاً عن الجهود المتقدمة، نشط الشيخ في أعمال ومهام دعوية وعلمية وتوجيهية عدة، عن طريق عدد من الجمعيات والمؤسسات التي شارك فيها أو أنشأها، وسخرها للدفاع عن حيفا، وهي:

أ. لجنة جامع الاستقلال: التي خلف فيها الشيخ الخطيب أستاذه الشيخ عز الدين القسّام -رحمه الله-، وسار على نهجه فيه: إدارة وإمامة وخطابة وتدرّساً ودعوة، وواصل العمل في اللجنة الإسلامية التي كانت تدير الجامع ونشاطاته، وكان لها أثرها المحمود في سنوات الانتداب، وأثناء الثورة القسّامية التي استمرت حتى سنة (1939م)، ثم في المرحلة التي تلتها حتى قرار التقسيم سنة (1947م) وما جرى بعدها.

ب. جمعية الاعتصام: أسس الشيخ الخطيب في حيفا سنة (1941م)

ففي مساء اليوم ذاته، تم نقل جثامين الشهداء إلى حيفا؛ حيث تم تسليمها إلى المسؤولين عن اللجنة الإسلامية في جامع الاستقلال، الذي كان قاعدة عمل الشيخ القسّام في حيفا منذ سنة (1925م)؛ حيث تولى إمامته وخطابته ورئاسة اللجنة الإسلامية فيه...⁽¹⁾.

وتولى الشيخ بعد استشهاد (القسّام) قيادة العمل في حيفا بالتعاون مع قادة (العصبة القسّامية) من مساعدي القسّام، وبعد سنوات من ذلك واستشهاد عدد من هؤلاء القادة، اندلعت الحرب في فلسطين من جديد سنة (1947م)؛ فشارك الشيخ فيها مشاركة مؤثرة. يقول الدكتور خليل ملا خاطر: "ولما اشتدّ عود الشيخ قامت الحرب في فلسطين فنادى الشيخ بنداء الجهاد، والتف المسلمون حوله من لواء حيفا وغيرها وخاض المعارك قائداً للمجاهدين لما حواه من صفات القيادة الدينية والاجتماعية والسياسية"⁽²⁾.

وأُسندت للشيخ المهام الأمنية والدعائية في (الحكومة المحلية) التي شكلها أهالي حيفا بعد إعلان التقسيم في (1947/11/29م)، وما جرى بعد ذلك من أحداث ومعارك في السنة التالية إلى أن أصيب بالجراح سنة (1948م) إثر محاولة الاغتيال التي طالته وهو في طريق عودته من سوريا متقدمة الذكر. وكان الشيخ قد اعتقل قبل ذلك بسنوات،

() العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب، تلميذ القسام: <https://cutt.us/j5z4b>

() كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/l6CbZZKcRXA>

() ينظر: العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب، تلميذ القسام: <https://cutt.us/j5z4b>

() الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح (1928-2008م)، عوني فارس، مجلة حوليات القدس، عدد صيف 2011م: 46

د. لجنة المقاطعة:
ترأس الشيخ الخطيب (لجنة المقاطعة)
في حيفا، التي تولت شؤون مقاطعة
المستوطنين الصهاينة، وعدم التعامل
معهم أو البيع والشراء منهم، وهي
من اللجان النشيطة في عملها في
المدينة وما حولها.

يقول (عوني فارسي): "أود الإشارة هنا
إلى أن كثيراً ممن أجريت معهم مقابلات
من الفلاحين حول حياتهم في حيفا قبل
النكبة يشيدون بدور الشيخ محمد نمر
الخطيب، ويتذكرون أحداثاً تخص لجنة
المقاطعة، على سبيل المثال: روى
شحادة محمد حامد، وهو فلاح سكن
حيفا أيام الانتداب البريطاني، أن بعض
أهل (سلواد) نشطوا في لجنة المقاطعة
مثل: الحاج داوود أبو الشيخ سلمان
ومحمود أبو حلقين، ويتذكر أن محكمة
لجنة المقاطعة كانت تعقد أمام الجامع
الجديد وبالقرب من عمود فيصل. وأنها
غرمت ذات مرة مالية لأنه اشترى حديدًا
لقريبه مصطفى أبو بركات من مصدر
يهودي"⁽⁶⁾.
وأثناء انهماك الشيخ الخطيب بهذه المهام

(جمعية الاعتصام)، وأعانه في إدارتها
نائبًا له الشيخ (تقي الدين النبهاني)
-رحمه الله-⁽¹⁾. وكانت هذه الجمعية معنيةً
بالنواحي الثقافية والتوجيهية والتعليمية،
ومكافحة الظواهر الاجتماعية السلبية
في المجتمع، والعناية بـ (الكشافة)⁽²⁾.
وقد أرسلت الجمعية عددًا من الطلبة
لِلدراسة في الأزهر، وأنشأت مدرسة
ليلية "تدرس التوجيهات الإسلامية،
بههدف معين؛ لأن اليهود بدأوا بالانتشار
والإنكليز صارت لهم الصولة والجولة؛ إذن
لا بد من تربية جيل يتحمل التبعات التي
ستلقى على كاهله"⁽³⁾.

واتخذ الشيخ وصحه من الجمعية لاحقًا
مقرًا لتدريب شباب حيفا على السلاح،
وهو الأمر عينه الذي قامت به جمعية
(التهذيب والمواساة الإسلامية)، التي
أسّاد الشيخ الخطيب بنشاطها في هذا
المجال وأثنى عليه⁽⁴⁾.

ج. الجمعية الإسلامية: وهذه جمعية أخرى
رأسها الشيخ الخطيب، ووصفت بأنه "كان
لها دور مؤثر في جميع شؤون المدينة،
وكان من أبرز الأنشطة التي قامت بها
عملية محاربة الفساد..."⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين، مذكرات رشيد الحاج إبراهيم (1891-1953م): 30، وموقع الرحلات الفلسطينية، ترجمة الشيخ تقي الدين النبهاني: <https://2u.pw/1qxZc>

(2) ينظر: التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (1917-1948م)، الدكتور محسن صالح: 30، وموقع الرحلات الفلسطينية، ترجمة الشيخ تقي الدين النبهاني: <https://2u.pw/1qxZc>

(3) كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/l6CbZZkcRxA>

(4) ينظر: الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح: 46.

(5) التيار الإسلامي في فلسطين: 30.

(6) الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح: 46.

اليحيى أحد الناجين من المذبحة... ومن المؤسف أن الإعلام العربي لم ينتبه لها إلا عام (2000م)، عندما ذكرها أحد الباحثين اليهود!!⁽²⁾.

2 - جهود خارج فلسطين

يقول (عاطف نور الله) في تقديمه لكتاب (من أثر النكبة): "خرج الشيخ نمر من حيفا محمولاً على نقالة، وكان أول جريح فلسطيني سنة (1948م). استقبله لبنان الشقيق بوجهين كريمين هما: سماحة مفتي الجمهورية الشيخ عبد الله خالد، والمغفور له رياض بك الصالح، اللذين اهتمتا به اهتماماً بالغاً، وأمنا سلامته في مستشفى المقاصد الإسلامية"⁽³⁾. ويزيد ناقلًا بعض أحوال الشيخ: "وإني لأذكر جلده وشجاعته وصبره يوم كنا نتفقدده في مستشفى المقاصد، وأذكر نصحه وإرشاده لإخوانه المجاهدين، الذين لم ينقطعوا عن زيارته، وفيهم أولئك الأبرار محمد بك الحنيطي قائد حيفا العسكري، والشهيد الكبير أبو محمود برهم سرور، والشهيد الكشاف البطل فخري البرد، وغيرهم من الذين هبت عليهم رياح الجنة، وواكبوه وأحبوه..."⁽⁴⁾.

ولما بلغ خبر محاولة اغتيال الشيخ إلى رئيس الجمهورية السورية وقتها (شكري القوتلي)، أرسل إليه طبيبه الخاص لمعاينته، فقرر نقله إلى دمشق ليتولى علاجه فيها. وهكذا انتقل الشيخ -رحمه الله- من بيروت في رحلة علاج انتهت باستقراره في دمشق برهة من الزمن،

المتعددة؛ كان حريصاً على التنبيه على المخاطر الصهيونية التي تهدد فلسطين عامة وحيفا خاصة، ومعنيًا بنقل أخبار ما يجري في فلسطين إلى خارجها، وحث العاملين من أبناء الأمة على التنبيه لهذه المخاطر والقيام بما يلزم للتصدي لها. يقول الأستاذ (عدنان سعد الدين) -رحمه الله-: "عندما وصل الشيخ نمر الخطيب دمشق قادمًا من حيفا عام (1943م)، زاره الشيخ السباعي في فندق (أمية)، وتدارس معه أحوال فلسطين، فتحدث الشيخ نمر عن استفادة اليهود من الحرب العالمية الأولى؛ حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتابات تتدرب على القتال أمدتهم بالأسلحة والذخائر، كما حدثه عن أساليب تهريب اليهود للسلاح... ثم قال الشيخ نمر الخطيب: إن الوضع في فلسطين خطير ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل أبسط أنواع السلاح، والعرب والمسلمون غافلون عما يُبَيَّن لفلسطين من شر، فهل لك - يقول للسباعي-: أن تعلن صوت النذير والإيقاظ؟ يقول السباعي: وكان حديثاً له عينان، وعاهدنا الله على أن نبدأ العمل"⁽¹⁾.

وكان الشيخ مهتمًا كذلك بتوثيق جرائم العصابات الصهيونية، وكتابه (من أثر النكبة) نموذج متقدم في هذا الصدد، ويذكر أحد الباحثين أن الشيخ -رحمه الله- هو أول من ذكر مجزرة (الطنطورة) في لواء حيفا في كتابه هذا "حسب ما روى عن مروان

(1) الإخوان المسلمون في سوريا؛ مذكرات وذكريات ما قبل التأسيس وحتى عام 1954، عدنان سعد الدين: 236/1.

(2) العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب؛ تلميذ القسام: <https://cutt.us/j5z4b>

(3) تقديم كتاب: من أثر النكبة: 15.

(4) تقديم كتاب: من أثر النكبة: 16.

فيها خاصة⁽⁴⁾؛ بحكم كونه ممن "شاركوا في الأحداث، أو قادوا معارك في تلك الفترة..."⁽⁵⁾.

ويعد كتاب (من أثر النكبة) أشهر كتب الشيخ عامة، وأهمها في مجال دراسات القضية الفلسطينية، وكان له أثره الكبير وقت صدوره وما زال، وعُدَّ مصدرًا مهمًا ومرجعًا رئيسًا لتوثيق أسباب النكبة وما جرى فيها، وقد كتبه الشيخ أثناء تلقيه العلاج في دمشق بعد محاولة اغتياله، ويكشف في مقدمته عن سبب تأليفه وطريقته فيه، قائلًا: "كان أصل هذا الكتاب تقريرًا لا يتجاوز العشرين ورقة، رفعته لصاحب الفخامة السيد شكري بك القوتلي، على أثر تلك الرحلة الرسمية التي رحلتها مع نفر من إخواني، وواتانا الحظ فاطلعنا على حقائق ووثائق وأسرار وأخبار ما كانت لتتاح لغيرنا، وكان ذلك التقرير الرسمي أول تقرير من نوعه قُدِّم إلى المراجع الرسمية وإلى أمانة الجامعة العربية"⁽⁶⁾.

ويقصد الشيخ الخطيب بالرحلة؛ الجولة التي قام بها رفقة السيدين: (صبي الخضراء) و(مؤيد العظم) إلى شرق الأردن وفلسطين في (آب/أغسطس/1948م)، من أجل التعريف بالقضية الفلسطينية كما هي، ونقل وقائعها الخطيرة وتداعياتها المستقبلية، وعدم اختزالها في قضية اللجوء واللاجئين فقط⁽⁷⁾.

استغلها في مواصلة جهوده ونشاطاته العلمية والسياسية والإنسانية؛ "فدرَّس في مدارس عنبر"⁽¹⁾، كما درَّس في الكلية الشرعية وفي المدارس الثانوية، واتخذ من إذاعة دمشق منبرًا فكان له برنامج يومي بعنوان: (من هدي القرآن)، وآخر عن نكبة فلسطين، وأسس لجنة لللاجئين وكان رئيسها الفعلي..."⁽²⁾.

وشارك الشيخ في الوفد السوري للمؤتمر الإسلامي بكراتشي سنة (1949م)، وبقي خارج فلسطين بقية مدة الحرب، ناشطًا في كشف أخطار الصهيونية ومعرفًا بآثار النكبة في فلسطين، وطبع في هذه المدة كتابيه: (من هدي القرآن)، (ومن أثر النكبة). ثم انتقل إلى العراق لعدة سنوات، عاد بعدها إلى دمشق في طريقه إلى لبنان، الذي استوطنه لسنوات أخرى، وأسس فيه (جمعية الرابطة الإسلامية)، وأنشأ مدرسة الفتح الإسلامي، التي سميت لاحقًا (ثانوية الإمام الأوزاعي)⁽³⁾.

كتب الشيخ عن فلسطين

كتب الشيخ الخطيب عدة كتب عن القضية الفلسطينية، وهي: (من أثر النكبة) و(أحداث النكبة) و(الإيمان طريقنا إلى النصر) و(حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية). وكانت كتبه هذه مصدرًا لكثير من الباحثين والكتابين عن القضية الفلسطينية عامة، والنكبة وما جرى

(1) هي المدرسة المشهورة في دمشق المعروفة بـ (مكتب عنبر).

(2) كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/16CbZZkcRXXA>

(3) ينظر: رحلات العلامة أبي الحسن النحوي: 302، وكلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر: <https://youtu.be/16CbZZkcRXXA>

(4) ينظر: نكبة فلسطين والفرحوس المفقود: 206 (الهامش)، 213، وصفحات عن حيفا ومعركتها الأخيرة، عبد الرحمن مراد: 13، ونكبة فلسطين

عام 1947-1948م، مؤامرات وتضحيات، حسني أدهم جزار: 4، والتطهير الإثني في فلسطين، جيف سيمونز: 127.

(5) نكبة فلسطين عام 1947-1948م، مؤامرات وتضحيات: 4.

(6) من مقدمة أثر النكبة.

(7) ينظر: <https://2u.pw/MYsk5>

وشارك -رحمه الله- فضلاً عن التدريس والخطابة، في العمل الدعوي العام، فقد كان يتجول مع عدد من دعاة العراق في المحافظات العراقية ويخطب فيها، ومن ذلك: رحلته إلى (الرمادي) مركز محافظة (الأنبار) سنة (1950م)، رفقة الشيخ محمد محمود الصواف، وعبد الرحمن خضر المحامي، وعدد كبير من الشباب، منهم الشاعر (وليد الأعظمي) -رحمه الله- للمشاركة في افتتاح المكتبة الإسلامية في المدينة، وألقى الشيخ الخطيب خطبة الجمعة في أحد مساجد المدينة⁽⁶⁾.

وكذلك شارك الشيخ بفعالية في سنة (1953م)، في مساعي الرد على ما سمي وقتها (أسبوع المرأة)، الذي تضمن دعوات خطيرة وإساءات لمشاعر العراقيين؛ حيث انبرى العلماء والجمعيات الإسلامية، لتوعية المجتمع وتنبيه الناس، ومنها (جمعية الأخوة الإسلامية) التي أقامت تجمعات يومية في عدد من مساجد بغداد الكبيرة بين صلاتي المغرب والعشاء، تلقى فيها الخطب التحذيرية والمحاضرات التثقيفية والقصائد المشيدة بمكانة المرأة في الإسلام والمعزة لقيم المجتمع، تحت عنوان: (أسبوع الفضيلة)، الذي كانت للشيخ محاضرة يومية فيه⁽⁷⁾، فضلاً عن مشاركته -رحمه الله- في الكتابة في الصحافة الإسلامية العراقية، ولا سيما في مجلة (الأخوة الإسلامية)، التي كان أحد أبرز كتابها حينئذ⁽⁸⁾.

ويذكر السيد (خليل الصمادي) أن سبب تأليف الشيخ الخطيب لهذا الكتاب هو العلاقة التي نمت بينه وبين الرئيس (القوتلي)، الذي كان مهتماً بعلاج الشيخ ورعايته في دمشق؛ حيث ينقل عن الشيخ الخطيب: أنه اجتمع مع القوتلي في منزله عدة مرات بحضور زوجته، وطلب الرئيس منه أن يقص له أخبار فلسطين لتسمعها زوجته، وبعد عدة جلسات رأى أن يدون ما ذكره في كتاب، فكان الكتاب (من أثر النكبة)⁽¹⁾.

3 - جهود الشيخ في العراق

بعد وصول الشيخ الخطيب إلى العراق أول مرة سنة (1951م)؛ عُيِّن مدرساً في (كلية الشريعة)، ثم اختير خطيباً في جامع الشيخ (عبد القادر الكيلاني) خلفاً للشيخ (قاسم القيسي) مفتي بغداد وخطيب الجامع بعد وفاته

-رحمه الله- سنة (1955م)⁽²⁾. وانتقل الشيخ بعد سنوات إلى لبنان مبعداً من السلطات الملكية وقتها؛ بسبب تنديده بالعدوان الثلاثي على مصر من على منبر الجامع⁽³⁾. ثم عاد إلى العراق ثانية بعد خروجه من لبنان وأقام فيه، وعُيِّن أستاذاً في كلية الإمام الأعظم (الشريعة سابقاً)⁽⁴⁾، ثم خطيباً في مساجد عدة في الجانب الغربي من بغداد: كجامع (رشيد دراغ) في حي المنصور، وجامع (البنية) في منطقة (علاوي الحلة)⁽⁵⁾.

(1) العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب، تلمذ القسام: <https://cutt.us/j5z4b>

(2) تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، الشيخ هاشم الأعظمي: 139، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 621-

(3) ينظر: تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني: 139.

(4) ينظر: مدرسة الإمام أبي حنيفة، تاريخها وتراجم شيوخها ومدرسيها، وليد الأعظمي: 214.

(5) ينظر: المصدر نفسه.

(6) ينظر: الأعمال الثرية الكاملة، وليد الأعظمي: 4307/8.

(7) ينظر: جمعية الأخوة الإسلامية في العراق (1949-1954م)، إيمان عبد الحميد الدباغ: 478.

(8) ينظر: المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والرسائل العلمية والصحف والمجلات:

- 1 - الإخوان المسلمون في سوريا، مذكرات وذكريات ما قبل التأسيس وحتى عام 1954م، عدنان سعد الدين، دار عمار، عمّان، 2006م.
- 2 - أصدقاء القضية الفلسطينية في الموصل (1932-1948م)، وائل علي النحاس، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، المجلد 4، بغداد، 2002م.
- 3 - أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، عادل مناع، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط 2، 1995م.
- 4 - الأعمال النثرية الكاملة، وليد الأعظمي، جمع وترتيب وتدقيق: عبد الله الطنطاوي، دار القلم، دمشق، 2008م.
- 5 - أوراق أردنية، الدكتور محمد المنقرة والدكتور لؤي بواعنة، دار الخليج، عمّان، ط 1، 2017م.
- 6 - تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، الشيخ هاشم الأعظمي، مطبعة الأزهر، بغداد، ط 1، 1391هـ 1971م.
- 7 - تاريخ علماء سامراء، الشيخ يونس إبراهيم السامرائي، مطبعة دار البصري، بغداد، 1386هـ 1966م.
- 8 - تاريخ علماء الموصل، أحمد محمد المختار، مطبعة الزهراء، الموصل، ط 2، 1404هـ 1984م.
- 9 - التطهير الإثني في فلسطين، جيف سيمونز، مركز باحث للدراسات

- الفلسطينية، بيروت، ط 1، 2012م.
- 10 - التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (1917-1948م)، الدكتور محسن صالح، مكتبة الفلاح، الكويت، 1988م.
 - 11 - جمعية الأخوة الإسلامية في العراق (1949-1954م)، الدكتورة إيمان عبد الحميد الدباغ، (د.ن) (د.ت).
 - 12 - الحاج محمد أمين الحسيني؛ دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921-1937م)، د. تيسير جبارة، دار الفرقان، عمّان، 1415هـ 1995م.
 - 13 - حيفا على مر العصور؛ دراسة جغرافية تاريخية، نذير عبود، 1985م.
 - 14 - رحلات العلامة أبي الحسن الندوي، عبد الماجد الغوري دار ابن كثير، بيروت، 2001م.
 - 15 - الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح (1928-2008م)، عوني فارس، مجلة حوليات القدس، عدد صيف 2011م.
 - 16 - الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين، مذكرات رشيد الحاج إبراهيم (1891-1953م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005م.
 - 17 - صور من الشرق في إندونيسيا، الشيخ علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط 2، 1412هـ 1992م.
 - 18 - العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد؛ منظمة التعاون الإسلامي، أكمل الدين إحسان أوغلو، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 2013م.
 - 19 - عبد المنعم الغلامي (1899-

الإسلام، الشيخ محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، القاهرة، 1979م.
 27 - مدرسة الإمام أبي حنيفة وتراجم شيوخها ومدرسيها (459-1400هـ/1067-1980م)، وليد الأعظمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ط 1، 1983م.
 28 - مذكرات الشيخ أحمد محمد أمين الراوي، تقديم: الشيخ أحمد حسن الطه، مكتبة الحكمة، لندن، 2017م.
 29 - مصطفى السباعي، قائد أمة ورائد دعوة، الدكتور محمد عادل الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2009م.
 30 - مقررات المؤتمر الإسلامي العام في دورته الأولى، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، بدون تاريخ.
 31 - من سجل ذكرياتي، الشيخ محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، القاهرة، ط 1، 1407هـ/1987م.
 32 - المؤتمر الإسلامي العام، المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي العام، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1953م.
 33 - موسوعة أعلام فلسطين من القرن الأول حتى الخامس عشر الهجري، من القرن السابع حتى القرن الحادي عشرين الميلادي، محمد عمر حمادة، دار الوثائق، دمشق، 2011م.
 34 - الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط 1، 1984م.
 35 - نظام جمعية إنقاذ فلسطين في العراق، بغداد، 1954م.
 36 - نكبة فلسطين عام 1947-1948م؛

1967م؛ دراسة تاريخية في نشاطه الثقافي والصحفي والسياسي، رعد أحمد الطائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005م.
 20 - العراق والقضية الفلسطينية (1932-1941م)، د. عباس عطية جبار، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ط 1، 1438هـ/2017م.
 21 - عقود حياتي، من العقد الأول إلى العقد الثامن، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق أمير شريف محمد حسين آل كاشف الغطاء، منشورات مدرسة ومكتبة الإمام آل كاشف الغطاء العامة، النجف، ط 1، 1433هـ/2012م.
 22 - فلسطين في المؤلفات العراقية؛ بيبليوغرافية تفصيلية، حسام حمودي الساموك، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، 1979م.
 23 - فلسطين والحاج أمين الحسيني، زهير مارديني، دار اقرأ، بيروت، ط 1، 1406هـ/1986م.
 24 - اللاجئون الفلسطينيون في العراق، من النكبة عام 1948م إلى ما بعد الاحتلال الأمريكي 2003م، عز الدين محمد، مركز الغد العربي للدراسات، دمشق، ط 1، 2007م.
 25 - اللجوء والاضطهاد؛ اللاجئون الفلسطينيون في العراق (1948-2010م)، ناهض خميس زقوت، دار دجلة، عمّان، ط 1، 1437هـ/2016م.
 26 - المخططات الاستعمارية لمكافحة

- pw/1qxZc
42- موقع رابطة أدباء الشام: <https://2u.pw/bwbLZ>
43- موقع هوية (المشروع الوطني للحفاظ على جذور العائلة الفلسطينية): <https://cutt.us/3al5t>
44 - كلمة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر عن الشيخ الخطيب في (اثنية) عبد المقصود خوجة، المدينة المنورة: <https://youtu.be/l6CbZZkcRXA>
45 - مؤتمر العالم الإسلامي، ويكيبيديا: <https://cutt.us/jdKCL>
46 - موقع الخليج أون لاين: <https://2u.pw/A3xmn>
47 - موقع (الترا صوت): <https://2u.pw/MYsk5>

مؤامرات وتضحيات، حسني أدهم جزار، دار المأمون، عمّان، 1429هـ-2008م.
37- نكبة فلسطين والفردوس المفقود، عارف العارف (1947-1952م)، دار الهدى، (د.ن)، ط 1، 1956م.
38 - 15 أيار كارثة فلسطين، محمود فهمي درويش، مطبعة الرابطة، بغداد، 1368هـ-1949م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

- 39 - العالم الداعية المجاهد محمد نمر الخطيب؛ تلميذ القسم، خليل الصمادي: <https://cutt.us/j5z4b>
40 - الفقيد الشيخ توفيق عبد الخالق؛ ثبات حتى الممات، أيمن الشعبان: <https://cutt.us/XtARG>
41 - موقع الرحلات الفلسطينية، ترجمة الشيخ تقي الدين النبهاني: <https://2u.pw/>

أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال الأمريكي في (2003م)

د. ثامر العلواني⁽¹⁾

العراقي بشكل كبير جدًا، حتى صار بعض الفلسطينيين ضباطًا في الجيش العراقي قبل الاحتلال⁽²⁾.

وقد استطاع الفلسطينيون في بغداد، تحقيق الاندماج مع المجتمع المحلي بكافة مكوناته، وتمكن الكثير منهم ولوج سوق العمل، لتحقيق أكبر قدر من الاعتماد على الذات في معيشتهم، كما شهدت تلك الفترة احتضانًا لهم من قبل البغداديين، الذين يقدرون احترام الضيف، وكانوا يتعاطفون مع الفلسطينيين لكونهم يعدون قضية تحرير فلسطين هي قضيتهم.

ولكن كل الحقوق التي كان الفلسطينيون يتمتعون بها قبل الاحتلال سلبت منهم بعد الاحتلال، واستبدلت القرارات السابقة بقرارات طائفية وعنصرية تستهدف اللاجئين والمقيمين الفلسطينيين بشكل مباشر، ومن هنا بدأت المعاناة الأكبر والهجرة الجديدة لفلسطينيين العراق.

• المقدمة

عاش اللاجئون الفلسطينيون في العراق أكثر من نصف قرن في أمان واستقرار قبل أن تحتله أمريكا وبريطانيا وقوات التحالف عام (2003م)، وبلغ عدد اللاجئين في العراق ما يقرب من خمسين ألف لاجئ، يتمركز غالبيتهم في بغداد والموصل والبصرة، ومنحت لهم الحقوق الكاملة وكانت الأنظمة والحكومات العراقية قبل الاحتلال تعامل الفلسطينيين معاملة العراقي في الحقوق والواجبات إلا في الجنسية والانتخابات حفاظًا على أملهم بالعودة إلى فلسطين، فلهم الحق بالعمل في الوظائف الحكومية الرسمية والتملك، ومنحهم معاملة قانونية لا تختلف عن المواطن العراقي بشيء، فكانوا أساتذة جامعات، ومدراء مدارس، وأطباء، ومهندسين، وعملوا في كل مفاصل الدولة العراقية على مدار حكوماتها قبل الاحتلال، واندمجوا في المجتمع

(1) دكتوراه في الأدیان، ومقرر القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق.
(2) منهم على سبيل المثال: عاكف الوحش.

وأيضاً عائلات من قضاء يافا وغيرها، فكانت هذه الموجة الأولى من اللجوء الفلسطيني إلى العراق⁽¹⁾.

أمّا الموجة الثانية، فكانت عقب نكسة حزيران عام (1967م)، حين استكمل العدو الصهيوني احتلال قطاع غزة والضفة الغربية، وخلف ذلك تهجير موجة ثانية من الفلسطينيين إلى العراق، الذين لم يقدر عددهم بشكل رسمي، ويزاد عليهم جماعات أخرى من مختلف القرى والمدن الفلسطينية قادمين من الأردن وقطاع غزة. وكان الدافع لهذه الهجرة البحث عن العمل خصوصاً أن العراق في وقتها كان يعامل الفلسطينيين في الوظائف معاملة الأجانب من حيث ازدواجية الرواتب فيأخذون ضعف راتب المواطن العراقي⁽²⁾. أمّا الموجة الثالثة، فكانت إثر حرب الخليج سنة (1991م) حين غزا العراق الكويت، مما اضطر عائلات فلسطينية ممن كانت تعيش في الكويت للرحيل إلى العراق، بسبب موقف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات من دعم النظام العراقي قبل الاحتلال، ولم يجدوا سوى العراق ليعيشوا فيه.

أعداد اللاجئين الفلسطينيين

بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين في العراق قبل الاحتلال عام (2003م) ما يقرب من خمسين ألف لاجئ، منهم أربعة عشر ألف نسمة تقريباً، هم في العراق من نهاية أربعينيات القرن الماضي، ويضاف إليهم آلاف الفلسطينيين الذين دخلوا العراق بعد عام (1958م)، والذين

• تمهيد: نبذة تاريخية عن الهجرة الفلسطينية إلى العراق

يمكن تقسيم اللجوء الفلسطيني إلى العراق، إلى ثلاث موجات بحسب مراحل التهجير الذي تعرضوا له على يد العصابات الصهيونية، فقد كانت أول رحلة لجوء للفلسطينيين إلى العراق عام (1948م) بعد سقوط المدن والقرى الفلسطينية بيد العصابات الصهيونية، مما اضطر الفلسطينيين أن يولوا وجههم إلى الدول العربية المجاورة هرباً من إجرام العصابات الصهيونية وانتظار نصرة الدول والجيش العربية، ولم يكن العراق من دول الملجأ للفلسطينيين؛ لأنّ دولة عربية تفصله جغرافياً عن حدود فلسطين قد استقبلت اللاجئين، ولا سيما أن حلم العودة السريعة كان هو الأمل للفلسطينيين، ولذلك فضل غالبيتهم العظمى البقاء قريباً من أرضهم أملاً بالعودة السريعة، إلّا أن مشاركة الجيش العراقي في مواجهة العصابات الصهيونية أدى به إلى مساعدة العوائل الفلسطينية ونقلهم على شكل قوافل بإشراف الجيش إلى داخل الأراضي العراقية.

وقدّر عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين دخلوا العراق في النصف الثاني من عام (1948م) ولغاية (1949م) أكثر من أربعة آلاف شخص، وهم من قرى قضاء حيفا، وأغلبهم من مثلث الكرمل (إجزم، جبع، وعين غزال) وعائلات من قرى الطيرة، والصرفند، والطنطورة، وكفر لام، وعطيت، وأم الزينات، وأم الفحم، وعرة،

(1) اللجوء والاضطهاد؛ اللاجئون الفلسطينيون في العراق 1948-2010م، الدكتور ناهض خميس زقوت: 49.

(2) انظر: الفلسطينيون في العراق، عصام سخيني، بحث منشور في مجلة شؤون فلسطينية العدد 13/ أيلول 1972م: 90.

نزحوا إثر عدوان (1967م)⁽¹⁾.

ولا يتم الإشراف على شؤون اللاجئين الفلسطينيين في العراق من وكالة غوث للاجئين بل تولت المهمة في البدء وزارة الدفاع العراقية، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وكانت تمنح للاجئين الفلسطينيين وثيقة سفر صالحة للسفر إلى الدول العربية وبعض الدول الأجنبية، ومن كان يحمل جوازاً لبنانياً أو سورياً أو من غزة، فإنه يعطى إقامة سنوية في العراق⁽²⁾.

أماكن تواجدهم

كان أغلب الفلسطينيين يتركزون في بغداد، التي تضم 87% من الفلسطينيين ويسكنون في حي البلدات وهو عبارة عن شقق سكنية، ويُعد أكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين، ويتواجدون أيضاً في حي بغداد الجديدة، وحي الأمين، وحي الزعفرانية، وحي الحرية، وحي السلام غرب بغداد، وفي حي الدورة، وحي الطوبجي في بغداد، ويقطن عدد منهم في محافظة الموصل، والبصرة، وينتشر البقية في عموم محافظات ومدن العراق⁽³⁾.

مأساة الفلسطينيين بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام (2003م)

قدمت الحكومات العراقية للاجئين الفلسطينيين قبل الاحتلال عام (2003م)، حقوقاً لم يحصل عليها أمثالهم من اللاجئين في الدول الأخرى سواء في التعليم المجاني أو الصحة أو العمل والوظائف الحكومية أو حرية المهنة

والتجارة التي كانت بدون قيد أو شرط. ولكن احتلال أمريكا للعراق كان بداية مرحلة جديدة من الفوضى والمعاناة للشعب العراقي وتدميره وتفكيك بنيته الاجتماعية واستبدالها بنشر الطائفية والعرقية التي تسببت بانتشار القتل والتهجير والانتهاكات الجسيمة، ولم يكن الفلسطينيون يبعدون عن هذه الفوضى والصراع الذي أقحموا فيه بعيداً عن إرادتهم؛ وكان استهدافهم معدياً مسبقاً قبل احتلال العراق؛ فتآمر عليهم الاحتلال مع الأحزاب الحاكمة والميليشيات الموالية لإيران، ومن هنا بدأت معاناة الفلسطينيين ومأساتهم في العراق حتى أصبحت حياتهم في العراق أشبه بالبحيم؛ لتبدأ صفحة أخرى من المعاناة والتهجير والقتل والاستهداف الممنهج والهجرة إلى الصحراء الجرداء ينتظرون الموت على أمل أن يجدوا من يحنو عليهم وينقذهم من آفة الموت والهلاك.

فكان احتلال العراق يوم (9/4/2003م) منعطفاً كبيراً في معاناة الفلسطينيين واستهدافهم بشكل مباشر وممنهج ثم تأزمت أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد ذلك، وتدهورت أحوالهم القانونية، ومع تشكيل الأحزاب الموالية لإيران التي ساندت المحتل، قامت بعض تلك الأحزاب بتعبئة ضد الوجود الفلسطيني، معتبرة إياه من مخلفات نظام صدام حسين، ثم بدأ التحريض ضد الفلسطينيين؛ وسأبين في المباحث التالية أنواع المعاناة التي تعرض لها الفلسطينيون في العراق.

(1) انظر: المصدر السابق.

(2) انظر: الفلسطينيون في العراق، عصام سخيني: 91.

(3) انظر: الفلسطينيون في العراق، تقرير أعده هيئتم مناع للجنة العربية لحقوق الإنسان: 4.

القائم بأعمال السفارة والموظفين العاملين في السفارة، وتقييد أيديهم وإجبارهم على الانبطاح على الأرض بعد أن ألقت بهم خارج مقر السفارة وتركتهم مقيدتين في العراق من دون مبرر، ثم بعد ساعات من هذا الوضع المهين اعتقلتهم وألقتهم في سجون الاحتلال الأمريكي في العراق لمدة عام تقريباً⁽²⁾. لتكون هذه الجريمة عنواناً لسياسة قوات الاحتلال تجاه الفلسطينيين في العراق.

علماً أن السفارة الفلسطينية تتمتع بالحصانة الدبلوماسية ولا تجيز القوانين والأعراف والمواثيق الدولية الاعتداء على السفارات والمقار الدبلوماسية وقت الحرب والاحتلال، وإنما توجب على الاحتلال حماية السفارات والبعثات الدبلوماسية والحفاظ عليها.

وفي وقتها شكك عدد من العراقيين الذين كانوا يسكنون في محيط السفارة الفلسطينية في ذلك الوقت بهوية المقتدمين، حيث إنَّ البعض قال: إنهم إسرائيليون بغطاء من القوات الأمريكية.

ثانياً: القرارات الأمريكية بحق الفلسطينيين في العراق

كان اللاجئون الفلسطينيون قبل الاحتلال (2003م) يعاملون كمقيمين وضيوف في العراق وتشرف عليهم الحكومات العراقية وهي من تدعمهم وتوفر لهم السكن والتعليم والخدمات العامة، عن طريق وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، أو عن طريق إشراف مديرية

المبحث الأول

• استهداف الاحتلال الأمريكي للفلسطينيين بعد الاحتلال (2003م)

ابتدأ مسلسل استهداف الفلسطينيين بشكل مباشر من قبل قوات الاحتلال الأمريكي للعراق وهو ضوء أخضر للمتعاونين مع الاحتلال باستهدافهم وهذا ما تحقق فيما بعد، وتنوع استهداف الفلسطينيين على يد الاحتلال قتلًا واعتقالًا وقصفًا للمدنيين،

والتواطؤ مع الميليشيات لاستهداف الفلسطينيين، وهناك إحصائية لبعض الجهات بأن عدد الذين قتلوا من الفلسطينيين بعد الاحتلال على يد القوات الأمريكية والعراقية والميليشيات أكثر من (600) فلسطيني من غير المفقودين الذين بلغ عددهم (550) فلسطينياً، فيما بلغت الاعتداءات (809) اعتداءً موثقاً، وأكثر من ألف معتقل، وإصابة (140) فلسطينياً⁽¹⁾.

وسأبين في هذا المبحث أنواع الاستهداف الأمريكي للفلسطينيين في العراق.

أولاً: استهداف السفارة الفلسطينية

أول استهداف للفلسطينيين في العراق على يد الاحتلال كان بتاريخ (2003/5/28م)، بتطويق السفارة الفلسطينية في بغداد من قبل قوة كبيرة من جيش الاحتلال الأمريكي المعززة بالدبابات والآليات العسكرية ومن ثم اقتحام مبنى السفارة واحتجاز

(1) انظر: تقرير الكاتب والصحفي عثمان المختار بعنوان: الفلسطينيون في العراق: رابع تهجير للمهجر منشور على موقع العربي الجديد بتاريخ 2015/8/7م، رابط <https://www.alaraby.co.uk>.

(2) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق إعداد قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت: 20.

أن هذا القرار مجحف بحق الفلسطينيين إلا أن أعضاء مجلس الحكم الذين اختارهم الاحتلال الأمريكي لم يعترض أحد منهم على القرار، علمًا أن مجلس الحكم آنذاك كان قد منحه الأمريكيون صلاحية الاعتراض (الشكلية) وإبداء الرأي في بعض القضايا لمساعدة بريمر على إدارة البلاد، إلا أنهم لم يعترضوا لأنهم كانوا يسعون لنيل رضا بريمر بأي شكل وخصوصًا الأحزاب الطائفية وقادتها، أو لأنه يوافق توجهاتهم العدائية ضد الفلسطينيين اللاجئين في العراق.

ومع أن القانون الدولي يمنح اللاجئين الفلسطينيين في العراق الحماية من قبل قوات الاحتلال والحكومة التي يشكلها إلا أن الاحتلال هو من استهدف الفلسطينيين في العراق وانتهك حقوقهم،

والحكومة التي شكلها الاحتلال سارت على نهج قوات الاحتلال الأمريكي باستهداف الفلسطينيين والتضييق عليهم؛ ولذلك وقع الفلسطينيون في مأساة ومعاناة كبيرة أجبرتهم على ترك العراق والفرار من الموت إلى المصير المجهول.

ثالثًا: مdahمة المقرات والمنظمات الفلسطينية المدنية

قامت قوات الاحتلال الأمريكي بعد (2003م) بمdahمة جميع مقرات أمين عام جبهة التحرير الفلسطينية (أبو العباس)، وإغلاق أبوابها بالشمع الأحمر بعد اعتقاله، ثم قُتل -رحمه الله- داخل

شؤون اللاجئين، وكانت إجراءات الإقامة ميسرة ولا توجد فيها أي معوقات أو إجراءات تعقيدية، وأعطيت لهم وثائق للسفر، وهوية شخصية للمعاملات الخاصة بكل فلسطيني، وبالوصف العام لم يكن يواجه الفلسطينيون أي معاناة أو صعوبات من حيث الإجراءات القانونية المتعلقة بإقامتهم أو لجوئهم في العراق.

إلا أن الاحتلال الأمريكي وبقرار من الحاكم المدني في العراق بول بريمر مطلع عام (2004م) أصدر قرارًا رقم (50) ألغى فيه جميع الامتيازات التي منحها مجلس قيادة الثورة العراقي للفلسطينيين قبل الاحتلال، ونزع صفة المقيم الدائم، وجعلهم من الرعايا العرب الذين يتوجب عليهم التسجيل في مراكز الشرطة في مناطق سكناهم، ويتبعون قانونيًا وإداريًا لوزارة الهجرة والمهجرين، وكان القرار من بين أوّل (50) قرارًا اتخذته بريمر بعد تسلمه حكم البلاد؛ وعلى الرغم من أن الحكومة التي شكلها الاحتلال بعد عام (2003م) أعطت بطاقات إقامة سنوية للعرب المقيمين في العراق؛ إلا أنها استثنت الفلسطينيين من هذا القرار ووصفتهم بأنهم أجانب غير مقيمين! ولم تعاملهم كلاجئين معترف بهم، وفرضت عليهم وزارة الداخلية شروطًا كثيرة للتسجيل وأرغمتهم على التجديد المستمر لتصاريح الإقامة كل شهرين أو ثلاثة أشهر⁽¹⁾. ويعد قرار الحاكم بريمر بداية استهداف منظم للفلسطينيين في العراق، ومع

(1) انظر: تقرير هيومن رايتس ووتش بعنوان لا مفر الوضع الخطير للفلسطينيين في العراق: 3.

كانت خارج العراق في وقتها، وقد أدى هذا القصف إلى مقتل وإصابة ما يقرب من (40) فلسطينياً⁽³⁾.

ومنذ الأيام الأولى للاحتلال تعرضت المجمعات السكنية الفلسطينية في بغداد إلى قصف مباشر من قبل القوات الأمريكية واقتحامات متكررة، ومن أبرز التجمعات المستهدفة هو حي البلديات، والدورة، والحرية، والسلام، والزعفرانية، وغيرها، وقد سجلت بعض التقارير الحقوقية (108) اعتداءً أمريكياً على الفلسطينيين في العراق من شهر (نيسان 2003 إلى 2006/12/31م)، أغلبها في حي البلديات الذي يسكنه أكثر من 40% من الفلسطينيين في العراق⁽⁴⁾.

ومن هنا قصف قوات الاحتلال مجمع البلديات بالقنابل العنقودية والصواريخ والدبابات مما أدى إلى تدمير أكثر من (12) شقة في حي البلديات في بغداد بتاريخ (2003/4/7م)⁽⁵⁾.

وفي (2004/9/2م)، طوقت قوات الاحتلال بالمدرعات والدبابات والطائرات مجمع البلديات للفلسطينيين واقتحمت المجمع، واعتقلت السيد عباس سعيد الزين وعائلته من دون أي مبرر⁽⁶⁾.

وفي (2004/12/6م)، اقتحمت قوات الاحتلال المجمع السكني في البلديات بعد أن طوقته بأكثر من سبعين آلية

سجون الاحتلال في (2004/4/9م) وتناقلت الأخبار أنه جرى تسميمه.

وفي شهر (كانون الأول/ ديسمبر عام 2004م)، قامت قوات الاحتلال الأمريكي بمهاجمة مقر (الهيئة الوطنية الفلسطينية) في العراق وتدمير ومصادرة محتوياتها، واعتقال عدد من أعضائها ومطاردة وملاحقة الآخرين، مع أنها جمعية مدنية تقوم بمهام حل أزمة الفلسطينيين المهجرين من منازلهم وتأمين الحاجات الضرورية لهم؛ إلا أن هذه النشاطات لم ترض قوات الاحتلال؛ مما أدى إلى اتهام رئيس الهيئة بالإرهاب وتخصيص مبلغ (\$50000) لمن يبلغ عنه⁽¹⁾.

وأيضاً اعتدت على بيت الطفل الفلسطيني وجمعية المرأة الفلسطينية، وروضة وحضانة حيفا، ومركز الحاسوب، ثم توالى بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات الإجرامية بحق الفلسطينيين في العراق⁽²⁾.

رابعاً: قصف التجمعات الفلسطينية واقتحامها

بدأ استهداف المجمعات الفلسطينية في العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية قبل عام (2003م) وتحديداً في يوم (2000/4/21م) أي قبل احتلال العراق؛ وجاء هذا الاستهداف بسبب التحريض الإعلامي الذي قامت به ما تسمى المعارضة العراقية التي

(1) انظر: اللجوء والاضطهاد: 156.

(2) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق إعداد قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت: 21.

(3) انظر: اللجوء والاضطهاد: 194.

(4) انظر: تقرير آفاه محمود الجمالي منسق عام الشبكة الأهلية لمساعدة فلسطينيي العراق أمام مقر الأمم المتحدة في غزة، ونقله ناهض زقوت في كتابه اللجوء والاضطهاد: 180.

(5) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق من النكبة 1948م، إلى ما بعد الاحتلال الأمريكي 2003م، عز الدين محمد: 74.

(6) انظر: اللجوء والاضطهاد: 462.

الرعب والهلع بين الفلسطينيين واعتقلت عددًا منهم.

ولم تتوقف مدامات قوات الاحتلال الأمريكي للفلسطينيين في العراق طيلة تواجدها في العراق.

خامسًا: الاعتقالات العشوائية

اعتقلت قوات الاحتلال الأمريكي مئات الفلسطينيين اللاجئين في العراق فقط لأنهم فلسطينيون، حيث تم اعتقال (12) طالبًا منذ الشهر الأول للاحتلال بدون أي مبرر أو ذريعة وإنما تهمتهم أنهم فلسطينيون، ويضاف إليهم العاملون في السفارة الفلسطينية. ولم يقتصر الاعتقال على الشباب وإنما تمادى الاحتلال باعتقال النساء؛ ففي مدينة الموصل اعتقلت قوات الاحتلال الأمريكي الفلسطينية (فاتن مصطفى) بتاريخ (2005/5/15م). وفي (حزيران 2006م) اعتقلت القوات الأمريكية عدة نساء من حي البلديات في بغداد وبعد ردة فعل غاضبة من الفلسطينيين والعراقيين أطلق سراحهن بعد عدة أيام⁽³⁾.

وتكرر اعتقال النساء على يد قوات الاحتلال ففي (2006/11/11م) اقتحمت قوات الاحتلال مجمع البلديات واعتقلت ثلاث نساء وستة رجال بعد أن عبث بكل وحشية في بيوت الفلسطينيين وإرهاب الأطفال والنساء⁽⁴⁾.

وهناك بعض الإحصائيات للانتهاكات ضد الفلسطينيين التي قامت بها

عسكرية، وداهمت نادي حيفا الرياضي الذي أصبح مأوى للفلسطينيين الذين هجروا من منازلهم التي استولت عليها الميليشيات في بغداد بعد الاحتلال، وأيضًا اقتحمت هذه القوات مقر الهلال الأحمر الفلسطيني واعتقلت عشرات الفلسطينيين بعد أن احتجزت أكثر من (100) شخص.

وفي (2005/2/22م)، اقتحمت القوات الأمريكية مزرعة للحاج عبد الرؤوف عبد الحميد في منطقة التاجي شمال بغداد، واعتقلت الحاج عبد الرؤوف وابنه وأودعتهم السجن.

وفي (2005/5/2م)، اقتحمت وحدة عسكرية أمريكية منزل السيدة فاتن مصطفى على في الموصل بأسلوب مربع واعتقلتها مع زوجها التركماني⁽¹⁾.

وفي (2006/5/28م) طوقت القوات الأمريكية تساندها قوات عراقية مجتمعة سكنيًا في حي البلديات مستخدمين القنابل الصوتية والأسلحة الرشاشة لإرهاب الناس، وصاحب ذلك قطع التيار الكهربائي عن المجمع، وأعقب هذا الاقتحام اعتقال عدد من الفلسطينيين وسجنهم. وفي (2006/5/30م) اقتحمت قوات الاحتلال عمارة سكنية تقطنها عائلات فلسطينية في منطقة الصناعة واعتقلت عددًا من الفلسطينيين⁽²⁾. وفي (2006/8/29م) داهمت قوة أمريكية نادي حيفا الرياضي في البلديات ونشرت

(1) انظر: المصدر نفسه: 467.

(2) انظر: المصدر السابق: 526.

(3) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق من النكبة عام 1948م، إلى ما بعد الاحتلال الأمريكي 2003م، عز الدين محمد: 99.

(4) انظر: فلسطين والقدس في أدبيات هيئة علماء المسلمين، دراسة توثيقية في بيانات الهيئة وتصريحاتها الصحفية: 123.

نفس النهج الذي رسمه المحتل الأمريكي في إيذاء الفلسطينيين؛ حيث مارست الحكومات في العراق والمليشيات أنواع الانتهاكات الصارخة ضد الفلسطينيين في سلسلة هجمات وحملات ممنهجة ومنظمة تحمل أهدافاً مرسومة وغايات معروفة، فتعرض اللاجئون الفلسطينيون إلى القتل، والختف، والاعتقال، والتهجير وهجمات فرق الموت والمليشيات والقوات الحكومية على مجتمعاتهم ومساكنهم بالقصف العشوائي، وسأبين أنواع المعاناة التي تعرض لها الفلسطينيون في العراق على يد القوات الحكومية والمليشيات.

أولاً: القرارات والقوانين الجائرة بحق الفلسطينيين

من أهم القرارات التي صدرت عن مجلس قيادة الثورة في العراق قبل الاحتلال وتحديداً عام (2001م) هو معاملة الفلسطيني المقيم في العراق معاملة العراقي في جميع الحقوق والواجبات باستثناء الحق في الحصول على الجنسية⁽²⁾. وهذا القرار وحده يكفي لإعطاء صورة واضحة عن توجه السلطات العراقية قبل الاحتلال تجاه الفلسطينيين. ولكن بعد الاحتلال عام (2003م) وحل الحكومة العراقية ومؤسسات الدولة جميعها بما فيها الجيش العراقي والأجهزة الأمنية؛ وتشكيل الاحتلال مجلساً للحكم في العراق على أسس طائفية وعرقية، أعطى الأحزاب الشيعية الموالية لإيران التي كانت تسمى نفسها

قوات الاحتلال ما بين عام (2003) إلى (2006م)؛ تظهر أن عدد مرات الانتهاكات التي رصدتها بعض الجهات (108) انتهاكاً، وقتل على يد القوات الأمريكية من الفلسطينيين أكثر من (20) شخصاً، إلا أن هذه الإحصائية خاصة في بغداد وغالبها في مجمع البلديات ولا تشمل الانتهاكات ضد الفلسطينيين في عموم العراق⁽¹⁾.

ومما تقدم يتبين أن الاحتلال الأمريكي تعمد إفقاد الوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين في العراق، واستباحة انتهاك حقوقهم، والإيغال في معاناتهم من خلال غلق السفارة الفلسطينية في العراق واعتقال العاملين فيها؛

ولم يكن مجلس الحكم المشكل من قبل الحاكم المدني بول بريمر أقل سوءاً من قوات الاحتلال لأنه تخلص عن الفلسطينيين كلاجئين وضيوف على العراق، وهذه كانت البدايات للمعاناة والانتهاكات التي تعرض لها إخواننا الفلسطينيون في العراق.

المبحث الثاني

• استهداف الفلسطينيين في ظل السلطات في العراق بعد (2003م)

لم تختلف معاناة الفلسطينيين في العراق في ظل حكومات الاحتلال بعد (2003م) عن معاناتهم تحت سطوة الاحتلال الأمريكي؛ وإنما ازدادت سوءاً فالانتهاكات تعددت وتنوعت ضدهم واستمرت ولم تتوقف فالاحتلال بدأها وأسس لها، والحكومات في العراق والأحزاب الطائفية والمليشيات نهجت

(1) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق تقرير مركز الزيتونة: 26.

(2) قرار مجلس قيادة الثورة رقم 202. الصادر في سنة 2001م.

العراق؛ وكان الذهاب إلى مراكز الشرطة وحده مخاطرة كبيرة في وقتها بسبب معاداتها للفلسطينيين، وهذا دليل واضح على إلغاء صفة ضيوف ورعايا لدى الحكومة العراقية كما كانوا قبل الاحتلال ونصت عليه القوانين؛ وازدادت التعقيدات في حكومة إبراهيم الجعفري في (2005م)، من خلال اشتراطات تعسفية على العائلة والبحث عن ثغرات لتعقيد منح الإقامة الشهرية وليست السنوية، وفرض غرامات مالية على أي خطأ خلافاً لما كان يعمل به قبل الاحتلال؛ حيث كانت الدولة العراقية تمنح الفلسطينيين مبالغ مالية ورعاية مجانية سواء في الصحة أو التعليم، وكانت الإشارات واضحة بأن حكومة وأحزاب العراق الجدد المواليين لأمريكا وإيران يرسلون رسائل للفلسطينيين بأن لا مكان لكم في العراق⁽¹⁾.

3 - وقف إصدار وتجديد وثيقة السفر التي كانت تمنح للفلسطينيين قبل الاحتلال واستمر الوضع إلى عام (2006م)، ثم اشترطت حكومة بغداد شروطاً تعجيزية لإصدار هذه الوثيقة، وفي نهاية المطاف تنتهي إلى طريق مسدود ولا يحصل الفلسطيني على مبتغاه؛ لأن النية هي منعه من الحصول عليها، وفي عام (2016م)، صدر قرار بأن الفلسطيني لو سافر خارج البلاد لمدة ثلاثة شهور فلا يسمح له دخول العراق إلا بتأشيرة جديدة، وأيضاً المعاشات والمخصصات توقفت⁽²⁾؛ وفي عام (2019م)، صدر قرار بوقف العمل بقرار (2016م) ولكنه

معارضة الأغلبية ومنحها فعلياً حكم العراق، وباقي الأحزاب والمكونات جعلت أجزاءً غير فاعلة لتكملة صورة المشهد أمام العالم، وتشكل الجيش الجديد من الميليشيات والأحزاب المتعاونة مع الاحتلال؛ كل ذلك أدى إلى تغير التوجهات الحكومية تجاه الفلسطينيين، خصوصاً أن هذه الأحزاب التي تسلمت السلطة كانت تستهدف الفلسطينيين إعلامياً قبل الاحتلال (2003م) وبعده.

فتولت وزارة الهجرة والمهجرين العراقية المسؤولية عن الفلسطينيين وبدأت معاناتهم من خلال:

1 - الاستمرار بقرار "بريمر" الذي وافق عليه مجلس الحكم وهو عدم إعطاء صفة اللاجئين للفلسطينيين في العراق، ومعاملتهم معاملة الأجنبي الذي يدخل العراق، وهذا القرار التعسفي كان بداية التضييق على الفلسطينيين واستلاب حقوقهم الشاملة التي منحتها دولة العراق الوطنية قبل الاحتلال؛ حيث جرى تجريدهم من كافة المميزات القانونية التي كانوا يتمتعون بها قبل الاحتلال؛ فحرموا من التعيين في المؤسسات الحكومية، وقطعت رواتب المتقاعدين، وتعتمد تأخير إنجاز معاملاتهم في الدوائر العراقية.

2 - إلغاء الإقامة الدائمة واستبدالها بالمراجعة الشهرية، ومطالبة الفلسطينيين بمراجعة مديرية الإقامة التابعة لوزارة الداخلية وإحضار جميع أفراد العائلة كل شهر لتأكيد إقامتهم في

(1) انظر اللاجئين الفلسطينيون في العراق من النكبة إلى ما بعد الاحتلال: 92.

(2) انظر: بيان هيئة علماء المسلمين في العراق برقم (1302).

العراق أنها تدعم القضية الفلسطينية، ولد سيما أن هذه القرارات تزامنت مع قرار أمريكي بجعل القدس عاصمة للكيان الصهيوني. وهو ما يؤكد التناقض بين الأقوال والأفعال للنظام الإيراني وأحزابه وميليشياته في العراق⁽¹⁾.

ثانياً: استهداف الفلسطينيين إعلامياً ومحاولة شيطنتهم

منذ بداية الاحتلال عام (2003م) وتشكيل مؤسسات حكومية تحت ظل الاحتلال الأمريكي والرعاية الإيرانية بدأ استهداف الفلسطينيين ومحاولة تشويه صورتهم البيضاء إعلامياً، فشنت شبكة الإعلام العراقي من خلال فضائية (العراقية، والفرات) ووسائل إعلامية أخرى، وصحيفة الصباح الناطقة باسم الاحتلال الأمريكي حملة تشويه كبيرة ضد الفلسطينيين، ثم تطور هذا الاستهداف حتى أصبح أكثر تنظيماً وترتيباً برعاية حكومية؛ لخلق رأي شعبي عام ضد الفلسطينيين في العراق، فحملوا الفلسطينيين مسؤولية المآسي والمحن التي جرت على العراقيين، واتهامهم بارتكاب أعمال إجرامية بحق الشعب العراقي، وكلها افتراءات ظالمة الهدف منها تشويه الفلسطينيين واستهدافهم، ومن هذه الافتراءات:

1 - اتهام فلسطينيين بتفجير وقع في سوق شعبي في بغداد الجديدة بتاريخ (2005/5/12م)؛ واعتقلت القوات الحكومية بعد التفجير أربعة من الفلسطينيين بهذه التهمة، وبعد ساعات

لم يتوقف عملياً على الرغم من صدور القرار.

4 - وقف إصدار بطاقة هوية شخصية للفلسطينيين أو تجديدها، والمولود الجديد تمنح له فقط شهادة ولادة، بخلاف ما كان يعمل به قبل الاحتلال، وأيضاً عدم منحهم هوية إقامة سنوية مثل غيرهم من اللاجئين في العراق؛ وكذلك منعوا من الحصول على تصاريح للعمل؛ وهذه كلها كانت سبباً في زيادة المعاناة لأن أغلب الفلسطينيين مضطرون للتحرك من غير إثبات شخصي مما يعرضهم للاعتقال والخطف والقتل من قبل القوات الحكومية والميليشيات، وازدادت هذه المعاناة في حكومة الجعفري والمالكي.

وبسبب هذه المعاناة والقوانين الجائرة التي تستهدف الفلسطينيين تحديداً دون اللاجئين الآخرين أصدرت هيئة علماء المسلمين بيان استنكار وإدانة لحكومات الاحتلال لهذه الإجراءات وطالبت بإلغاء هذه القوانين التعسفية بحق الفلسطينيين في العراق الذين كانوا يتمتعون بحقوق التعليم والصحة والتعيين في العراق ومعاملتهم معاملة العراقي، إلا أن هذه القرارات التعسفية كشفت حقيقة الموقف الذي تتعامل به حكومات الاحتلالين الأمريكي والإيراني في العراق مع القضية الفلسطينية بما يخدم الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، وأكدت الهيئة أن هذه القرارات تفضح أكذوبة زعم إيران والأحزاب في

(1) انظر: المصدر السابق.

(2005/6/7م) عرضت قناة الفرات الطائفية فلسطينيين على أنهم مجموعة إرهابية، وإجبارهم على الاعتراف بجرائم لم يفعلوها، ثم بعد اعتقالهم أطلق سراحهم بتاريخ (2005/12/1م) لعدم ثبوت الجريمة عليهم، أيضاً عبر تدخل منظمة العفو الدولية، ولكن الغريب أن قناة العراقية أعادت عرض اعترافات هؤلاء الأبرياء بتاريخ (2006/1/15م). وتكررت هذه الافتراءات بشكل فج ومستمر لم تتوقف على مدار سنوات عديدة، وهذه الأحداث تشير بوضوح إلى محاولة تشويه صورة الفلسطينيين وتهجيرهم من خلال خلق رأي عام وشعور شعبي كاره للفلسطينيين في العراق، ومن النصوص التي كانت تكتب في جريدة الصباح اليومية:

"احذر من الفلسطيني لأنه سيحاول وضع العراقي أمامك وخاصة إذا كان قد أكل من نعمة العراق" وأيضاً ظهرت مشاهد في القناة العراقية من مسلسل الإرهاب تظهر القوات الحكومية وهي تلقي القبض على فلسطيني قتل عدداً من العراقيين مع أنه أكل من نعمة العراق على مدار (12) سنة" وأيضاً كتبت صحيفة الصباح بتاريخ (2005/5/31م) مقالاً بعنوان "بين العراقيين والفلسطينيين من يقتل من؟" وقد ضمنت المقالة افتراء أكاذيب لزorc الفتنة بين العراقيين والفلسطينيين⁽³⁾.

قليلة أظهرت القناة العراقية الفضائية خبراً مفاده أن المتورطين في التفجير هم من الفلسطينيين، وتم إلقاء القبض عليهم، ثم في اليوم الثاني أظهرت القناة تسجيلاً مصوراً لفلسطينيين وآثار التعذيب واضحة على وجوههم، ثم في اليوم التالي شنت الصحف حملة إعلامية واسعة ضد الفلسطينيين وأظهرت حكومة الاحتلال عراقيين يطالبون بطرد الفلسطينيين من العراق، واللافت للنظر أن هذه الحملة تزامن مع الذكرى السنوية للنكبة الفلسطينية عام (1948م). وحينها فهم الفلسطينيون في العراق حجم الهجمة تجاههم مما دعاهم إلى الخروج بتظاهرة سلمية تنديداً بالأعمال الإجرامية ضد الشعب العراقي ومؤكدين في الوقت نفسه أن من تم اعتقالهم هم أبرياء ويعملون من أجل كسب عيشهم؛ وإيغالا بتشويههم أظهر الإعلام في وقتها المظاهرات على أنها مظاهرات مؤيدة للرئيس صدام حسين⁽¹⁾.

وبعد تدخل منظمة العفو الدولية وتوكيل محامين تبين أن الاعترافات المنسوبة للمتهمين أخذت في ظل التعذيب القاسي، ثم أطلق سراح المعتقلين بتاريخ (2006/5/21م) ولكن لم تنقل الصحف والإعلام العراقي أي خبر عن الموضوع⁽²⁾.

وتكررت حادثة إظهار فلسطينيين بتهم إرهاب وعرضهم على الإعلام، ففي

(1) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 84.

(2) انظر: تقرير منظمة العفو الدولية في نيسان 2006م، واللاجئون الفلسطينيون في العراق: 82.

(3) انظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 86.

(2005/4/20م).

أما الجهات التي كانت تستهدف الفلسطينيين فهي نفس الجهات التي جاءت مع المحتل الأمريكي وهي نفسها الموالية لإيران ومنها: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة عبد العزيز الحكيم الموالية لإيران، وحزب الدعوة بزعامة إبراهيم الجعفري ثم نوري المالكي وهي أيضًا موالية لإيران، والتيار الصدري بزعامة مقتدى الصدر وهو أيضًا موالي لإيران، وميليشيا حزب الله العراق، وكذلك المؤتمر الوطني بزعامة أحمد الجبلي، وحركة وفاق الوطني بزعامة إياد علاوي، وكل الميليشيات والأحزاب الموالية لإيران⁽¹⁾.

ففي (أواخر يناير 2007م)، أجرت صحيفة الصندي تلغراف البريطانية لقاءً مع المدعو (الشيخ محمود الحسني) أحد الناطقين باسم جيش المهدي، الذي صب جام غضبه على الفلسطينيين في العراق وقال: "إن الفلسطينيين جلبوا المعاناة لأنفسهم.. وهم متورطون بقتل الشيعة لأننا نعتقد أنهم متحالفون مع المتطرفين السنة، وعليهم أن يدفعوا الثمن.. وقد كانوا مرتاحين في زمن صدام ولا بد أن يدفعوا الثمن وعليهم أن يغادروا البلد"⁽²⁾. وهناك تصريحات كثيرة لزعماء الميليشيات الموالية لإيران في العراق تركتها خشية الإطالة.

ولكن هذه تشير إلى أن هناك توافقاً بين الأمريكي والصهاينة والإيرانيين وأدواتهم

ومما يدل على أن حكومة بغداد هي من كانت تدعم استهداف الفلسطينيين هو سماحها بتعليق لافتات كبيرة في الشوارع، وعلى بعض مراكز الشرطة في بغداد كتب عليها: "نطالب بطرد ناكري الجميل المرتزقة الدخلاء

الذين سفكوا دماء الأبرياء من أبناء الشعب العراقي ونسوا شهداء العراق في دير ياسين والجولان والكرامة" ومما تقدم يتبين أن الاستهداف كان ممنهجاً ومتفقاً عليه بين قوات الاحتلال وحكوماته وميليشياته الموالية لإيران في العراق، وبدفع وتخطيط صهيوني.

وأمام هذه الهجمة الإعلامية الشرسة ضد الفلسطينيين انبرت هيئة علماء المسلمين في العراق للتصدي لهذه المحاولة والدفاع عن الفلسطينيين وكشف الحقيقة أمام العراقيين، عن طريق الخطباء في المساجد وتثقيف الناس بالحقائق، وكان للشيخ حارث الضاري (رحمه الله) الأمين العام لهيئة علماء المسلمين مواقف عدة في هذا الإطار منها: زيارته إلى (مجمع البلديات) للتضامن مع الفلسطينيين واستنكار استهدافهم من قبل الاحتلال وأذنايه، واستقباله وفود الفلسطينيين في العراق لبحث المشاكل التي يواجهونها، وتعريفه بمأساتهم في اللقاءات والمؤتمرات التي يحضرها وفي وسائل الإعلام، وكتابته مقالاً مطولاً عن مأساة الفلسطينيين في العراق في صحيفة (البصائر) الصادرة عن الهيئة، بتاريخ

(1) انظر: اللجوء والاضطهاد: 150.

(2) انظر: المصدر نفسه: 242.

1 - التهجير القسري

بدأت حملات تهجير منظمة الفلسطينيين بعد الاحتلال (2003م) سواء كانت هذه البيوت ملكاً للفلسطينيين أو للدولة العراقية أو بيوت مستأجرة، وكانت وسائل التهديد متنوعة، منها إرسال ظرف عليه بقعة دم وفيه رصاصة، أو هجوم بالأسلحة الرشاشة على المنزل، أو اقتحام المنازل وبت الرعب بين ساكنيها وتهديدتهم بالقتل، ورسائل التهديد والوعيد والمضايقات والهجوم على المنازل تستمر حتى يضطر اللاجئين الفلسطينيين حفاظاً على حياته وعائلته أن يترك منزله،

ومن يقوم بهذه الانتهاكات هي ميليشيات طائفية تابعة لأحزاب شيعية، وعناصر من القوات الحكومية. ولم تتدخل حكومة بغداد في حينها لمنع اضطهاد الفلسطينيين أو تهجيرهم من منازلهم، بل كانت القوات الأمنية هي من تساند هذه الميليشيات في حملات التهجير⁽²⁾.

ولم يقتصر تهجير الفلسطينيين من بيوتهم وإنما كانت التهديدات تطالبهم بمغادرة العراق أو القتل، ففي حي الطوبجي ببغداد تلقى الفلسطينيون بالأسماء تهديدات بترك منازلهم ومغادرة العراق خلال عشرة أيام أو أنهم سيواجهون الموت، وفي حي الحرية في بغداد دخل (15) مسلحاً بيت إحدى الفلسطينيات وهددوا العائلة بالقتل أو ترك المنزل،

في العراق على استهداف الفلسطينيين واضطهادهم؛ لأهداف رخيصة لا تخفى على عاقل، ولا يمكن تجاهل هذه الانتهاكات والانغرار بتصريحات كاذبة لا قيمة لها.

ثالثاً: المجازر والانتهاكات الحكومية والميليشياوية ضد الفلسطينيين في العراق

عاش اللاجئون الفلسطينيون بعد احتلال العراق مأساة وقصة تهجير ثانية على يد حكومات بغداد وميليشياتها وقوات الاحتلال، حيث عاشوا أوضاعاً مأساوية صعبة لم تقف عند سلب حقوقهم وتشويه صورتهم، بل تعرضوا إلى حرب إبادة جماعية، وحملة اضطهاد وتطهير عنصري كبير جداً أجبرت أكثر من خمس وأربعين ألف فلسطيني على الهجرة ولم يبق إلا أقل من أربعة آلاف لاجئ في العراق؛ وقد مورست أنواع الانتهاكات ضدهم، وكانت البداية بتهجيرهم من بيوتهم ثم عمليات اغتيال، وخطف، وقتل، وتعذيب، واعتقالات عشوائية، وتهديدات مستمرة، وقصف تجمعاتهم السكنية بالصواريخ وقذائف الهاون، ومنعهم من الذهاب إلى مدارسهم وجامعاتهم وممارسة أعمالهم، فضلاً عن الممارسات التعسفية والمضايقات اليومية⁽¹⁾، وسأذكر باختصار أنواع الانتهاكات التي تعرض لها الفلسطينيون في العراق على يد الميليشيات والأحزاب والقوات الحكومية:

(1) انظر: تقرير هيومن رايتس ووتش بعنوان: (لا مفر الوضع الخطير للفلسطينيين في العراق): 2.

(2) انظر: المصدر نفسه: 13.

2 - قصف التجمعات واقتحامها
لم تكن قوات الاحتلال وحدها تستهدف التجمعات السكنية الفلسطينية بالقصف والاقترامات العسكرية، وإنما الميليشيات الطائفية الموالية لإيران استهدفت المجمعات السكنية للفلسطينيين بالقصف بقذائف الهاون وصواريخ قصيرة المدى عشرات المرات، ففي إحصائية واحدة رصدت إحدى المنظمات أكثر من (250) اعتداءً بالقصف واقتحام المجمعات السكنية من قبل الميليشيات بالاشتراك مع الأجهزة الأمنية وقوات الاحتلال، كما أكد ذلك تقرير هيومن رايتس ووتش⁽⁶⁾. ففي (2004/1/31م) قصفت ميليشيات موالية لإيران مجمع البلديات بقذائف الهاون أدى إلى استشهاد أربعة فلسطينيين وإصابة آخرين، وبتأريخ (2005/5/12م) اقتحمت قوات من لواء الذيب مع فيلق بدر مجمع البلديات وأطلقت النار عشوائياً أدى إلى حدوث أضرار مادية في المنازل، وإرهاب اللاجئين، واعتقال عشرات الفلسطينيين بدون أي مبرر، ثم عرضهم في شاشات التلفزيون على أنهم إرهابيون، وبتأريخ (2005/5/22م) اقتحمت قوة من لواء الذيب مجمع البلديات والاعتداء على الفلسطينيين بالضرب وتكررت هذه الاقترامات بشكل شبه يومي. وفي

وبعد يومين أُلقيت داخل البيت قنبلتين أدت إلى مقتل أحد أفراد العائلة ووقوع أضرار جسيمة داخل المنزل⁽¹⁾.

وفي حي الصحة في منطقة الدورة في بغداد تلقت أكثر من مائة عائلة فلسطينية تهديدات بالقتل والإحراق إذا لم يغادروا بغداد خلال (72) ساعة، وهذه المنطقة كانت خاضعة لسيطرة جيش المهدي⁽²⁾، وفي مجمع البلديات تعرض الفلسطينيون إلى حملات متكررة تهددهم بالقتل إذا لم يتركوا بيوتهم ويغادروا العراق⁽³⁾.

واستمرت عمليات تهجير الفلسطينيين من منازلهم في ظل حكومات الاحتلال بعد (2003م) مما أدى إلى تجمع عدد كبير منهم في نادي حيفا الرياضي، وجرت محاولات عدة لإعادة المهجرين وحمايتهم وتمت لقاءات مع مقتدى الصدر لإيقاف هذه الانتهاكات وأعطى وعوداً بإيقافها ولكن هذه الوعود لم تتجاوز التصريحات الإعلامية، وأعقب هذا التهجير إسكان عائلات تابعة للأحزاب والميليشيات الطائفية في بيوت الفلسطينيين لمنع عودتهم⁽⁴⁾. وسجلت لجنة الإغاثة والمساعدات في منظمة فتح الفلسطينية تهجير قسري لـ (344) أسرة فلسطينية من بغداد خلال شهر واحد فقط في عام (2003م)⁽⁵⁾.

(1) انظر: تقرير لا مفر: 13.

(2) اللجوء والاضطهاد: 186.

(3) انظر: تقرير لا مفر: 14.

(4) انظر: اللاجئون الفلسطينيون: 77.

(5) انظر: تقرير لا مفر: 14.

(6) انظر: المصدر نفسه: 26.

علمًا أن الاعترافات انتزعت منهم على جرائم لم يرتكبوها وأجبروا على الإدلاء باعترافات كاذبة تحت التعذيب، وأعدم عشرات منهم ظلمًا بحجة إصدار أوامر قضائية ضدهم؛ وقد أكدت هذه الجرائم هيومن رايتس ووتش وبينت أن المعتقلين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب، وأكد التقرير وجود حالات تغييب لعشرات الفلسطينيين⁽²⁾.

وفي (2007/1/23م)، وثقت هيئة علماء المسلمين اختطاف (27) فلسطينيًا من منطقة الكرادة في بغداد من قبل القوات الحكومية⁽³⁾، وغالبًا ما يكون مصير المختطفين الفلسطينيين القتل وإلقاء جثثهم في شوارع بغداد. وشهد عام (2006م) تصعيدًا خطيرًا في حالات القتل والختف والمطالبة بدفع فدية مالية مما أزهق الفلسطينيين كثيرًا، وبعد دفع الفدية تلقى جثة الفلسطيني المخطوف في الشارع، وهناك منظمات حقوقية وثقت هذه الانتهاكات الصارخة التي حصلت بعلم وتواطؤ من الحكومات في العراق الموالية لإيران⁽⁴⁾.

وهناك حادثة مؤلمة يتناقلها الفلسطينيون في العراق تلخص الأوضاع المأساوية التي تعرض لها إخواننا الفلسطينيون على يد الميليشيات والحكومات في العراق ملخصها: أن أحد العناصر الميليشياوية جاء إلى صديقه بأحد الإخوة الفلسطينيين وذبحه تحت قدمه؛ هدية له في يوم عقد قرانه. هذه هي أبرز العوامل التي دفعت الفلسطينيين إلى مغادرة العراق في ظل

(2006م) قامت قوة كبيرة من ميليشيا جيش المهدي على مرأى ومسمع الأمريكان والقوات الحكومية بالهجوم والاعتداء على جامع القدس والتجمع الفلسطيني في البلديات وأطلقوا النار بشكل عشوائي على الناس وعبثوا بمحتويات المسجد، ثم أعقب ذلك قصف مجمع البلديات بقنابل الهاون. وفي (2006/12/13م) تعرض مجمع البلديات إلى قصف عنيف بالصواريخ وقذائف الهاون أدى إلى استشهاد (7) فلسطينيين وإصابة العشرات⁽¹⁾. وفي منطقة زينة في بغداد تم حرق عائلة كاملة داخل بيتهم من قبل الميليشيات. 3 - قتل واعتقال وتعذيب وإخفاء قسري للفلسطينيين

سجلت بعض المنظمات المدنية مقتل أكثر من (600) فلسطيني وتغييب ما يقرب من (100) شخص في العراق لغاية عام (2008م)، على يد القوات الأمريكية والأجهزة الأمنية العراقية والميليشيات الموالية لإيران ومنها جيش المهدي، ومنظمة بدر، وحزب الدعوة، وحزب الله في العراق، وغيرها من الميليشيات التي كانت تتعاون مع الاحتلال الأمريكي ضد العراقيين.

وشهدت هذه السنوات اعتقالات عشوائية لفلسطيني العراق وتعذيبهم داخل السجون تحت ظروف إنسانية سيئة خصوصًا في سجون بغداد والناصرية، ولا تتوفر لهم أدنى شروط العدالة في مراجعة قضاياهم أو استئناف الأحكام الصادرة ضدهم،

(1) انظر: تصريح هيئة علماء المسلمين في العراق بتاريخ 2006/12/14م.

(2) انظر: تقرير لا مفر: 32.

(3) انظر: تصريح هيئة علماء المسلمين بتاريخ 2007/1/23م.

(4) انظر: اللاجئين الفلسطينيين: 99.

المخاطر المحدقة بهم، وفي (2005م) سمح الأردن بإدخال بعض الفلسطينيين إلى مخيم رويشد في الجانب الأردني ممن كان يحمل وثائق سفر فلسطينية عراقية وأخرى مصرية ولبنانية، ومنهم من كان متزوجاً من زوجات أردنيات، وبقي مئات الفلسطينيين داخل المخيم إلى أن قام حرس الحدود العراقي بإعادتهم إلى العراق قسراً في عام (2006م) ثم أغلق المخيم⁽¹⁾.

2- مخيم الهول: ويقع بالقرب من محافظة الحسكة وأقيم هذا المخيم في عام (2006م) بعد أن أغلقت الحكومة السورية الحدود أمام اللاجئين الفلسطينيين، وبعد تدخل من السلطة الفلسطينية استقبلت سوريا (300) لاجئاً تقريباً ثم أعادت غلق حدودها من جديد، أما حال من في المخيم فكانت أوضاعهم صعبة وفي ظل ظروف معيشية قاسية⁽²⁾.

3- مخيم التنف: ويقع في المنطقة المحايدة على الحدود السورية العراقية وفيه مئات العائلات التي لم يسمح لها الدخول إلى الأراضي السورية، وكانوا يعيشون في ظروف قاسية مما تسببت بوفاة عدد من اللاجئين داخل المخيم، وكانت القوات العراقية تستهدفهم وقد اعتقلت عدداً منهم، وانتهكت حقوق بعضهم عندما كانت تقتحم المخيم عنوة وتضطهد اللاجئين، وهو ما دعا المفوضية إلى رفع شكوى ضد الانتهاكات العراقية للاجئين، وفي عام (2007م) تم افتتاح مدرسة للاجئين في المخيم، والمخيم لا

فقدان الثقة التام بالحكومات المتعاقبة على حكم العراق منذ (2003م). واللجوء إلى مخيمات في الصحراء على الحدود الأردنية والسورية؛ ومن هنا ابتدأت معاناة جديدة وفصل آخر أشد إيلاماً، ولا يقل بشاعة عن جرائم الميليشيات والقوات الحكومية والاحتلال الأمريكي ضد الفلسطينيين.

رابعاً: مخيمات النزوح على الحدود العراقية

نتيجة للأوضاع الكارثية التي مرت على الفلسطينيين، واستهدافهم وانتهاك حقوقهم، وحملة الإبادة الجماعية والتطهير الطائفي ضدهم من قبل قوات الاحتلال وحكوماته في العراق والميليشيات الموالية لإيران؛ فرّ آلاف الفلسطينيين من العراق تاركين أموالهم وممتلكاتهم، قاصدين سوريا والأردن، ولكن الدولتين رفضتا استقبالهم؛ مما اضطرهم إلى نصب الخيام والمكوث فيها، ونتج عن ذلك إنشاء خمس مخيمات للفلسطينيين الهاربين من الموت في العراق والمخيمات هي:

1 - مخيم الكرامة والرويشد: ويقع في المنطقة العازلة بين الحدين العراقي والأردني وكان فيه (1500) لاجئاً فلسطيني لم يسمح لهم الدخول للأردن، وتعرض الفلسطينيون في المخيم إلى حالات اضطهاد وإهمال أجبر عدد من الهاربين من الجحيم إلى العودة إلى العراق وعدم البقاء في المخيم من شدة المعاناة فيه، على الرغم من

(1) تقرير لا مفر: 4.

(2) اللجوء والاضطهاد: 278.

المبحث الثالث

• الجهات المتورطة باستهداف الفلسطينيين وتهجيرهم

يعرف العراقيون والفلسطينيون الجهات التي تسببت بمعاناة اللاجئين الفلسطينيين في العراق ومارست القتل والإخفاء القسري والتهجير والتطهير الطائفي والعنصري ضدهم، وسأبين هذه الجهات وصلتها ببعضها.

تشارك على اضطهاد الفلسطينيين في العراق عدة جهات وهي: قوات الاحتلال الأمريكي، والحرس الثوري الإيراني، والحكومات العراقية بعد (2003م) وأجهزتها الأمنية، والميليشيات الطائفية الموالية لإيران وهي الأداة الإيرانية الأقوى في العراق ومن خلالها تمارس إيران أنشطتها داخل العراق؛

ومن هذه الميليشيات جيش المهدي، منظمة بدر، المجلس الأعلى للثورة، حزب الدعوة، حزب الله العراق، وغيرها من المسميات التي تدخل تحت منظومة الميليشيات الموالية لإيران، وهؤلاء جميعًا تأمروا وتشاركوا في استهداف الفلسطينيين والشواهد على ذلك كثير.

أولاً: اشتراكهم في استهداف الفلسطينيين وتهجيرهم

منذ بداية الاحتلال استهدفت القوات الأمريكية اللاجئين الفلسطينيين من خلال القرارات المجحفة بحقهم واستمرت حكومات بغداد الموالية لإيران بأحزابها وشخصها وميليشياتها بسلب

يقل سوءًا وبؤسًا عن المخيمات الأخرى⁽¹⁾. 3 - مخيم الوليد: ويقع على بعد (3) كم، داخل الحدود العراقية بالقرب من الحدود السورية، وتم افتتاحه في عام (2006م)؛ لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين الذين يتعرضون لإبادة جماعية في العراق، وعاش فيه اللاجئون الفلسطينيون ظروفًا صعبة، وتقول جينيفر باغونيس الناطقة باسم المفوضية للصحفيين: إن اللاجئين توسلوا إلى فريقنا أن لا ننسأهم ونتركهم في ذلك الجحيم ولكن لا أحد يسمع صوتهم".

وتصف المخيمات بأن من يعيش في المخيمات يعانون من الأمراض ويعيشون تحت وطأة الشمس الحارقة في مخيم مليء بالأفاعي والعقارب، واستمر وجود المخيم إلى عام (2009م)⁽²⁾.

ولم تتوقف معاناة اللاجئين في العراق بل ازدادت معاناتهم ومأساتهم في داخل المخيمات ليس فقط بسبب الظروف المعيشية المأساوية وإنما استمرار الاعتداءات عليهم من قبل القوات الأمريكية والعراقية ففي عام (2008م) اقتحمت قوات أمريكية وعراقية مخيم الوليد وقامت بالاعتداء على اللاجئين وإطلاق النار بشكل عشوائي؛ مما أدى إلى إصابة بعض الفلسطينيين وتم اعتقال بعضهم، فلم تعد حتى المخيمات في الصحراء آمنة للفلسطينيين من بطش وانتهاك القوات الأمريكية والعراقية والميليشيات الموالية لإيران⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه: 292.

(2) انظر: اللاجئون الفلسطينيون: 111.

(3) اللجوء والاضطهاد: 310.

واعتقلت عددًا من الشباب بعد أن اعتدت على النساء وكبار السن⁽¹⁾. وكان من واجبها أن تمارس قوتها ضد الميليشيات التي قصفت المجمع وأن تحمي اللاجئين الفلسطينيين لا أن تنتهك حقوقهم وتزيد من معاناتهم، إلا أن هذه الجرائم المشتركة تكررت عدة مرات!

أكد تقرير هيومن رايتس ووتش مسؤولية الحكومة في بغداد عما يجري للفلسطينيين من انتهاكات وأكدت على أن عناصر القوات الأمنية تمارس الإخفاء القسري والاعتقالات ضد الفلسطينيين اللاجئين، ويذكر التقرير أن مسلحين من الميليشيات الشيعية هاجمت مساكن للفلسطينيين في بغداد وقتلوا عشرة أشخاص، منهم شقيق الملحق الفلسطيني، وألقيت جثثهم في الشارع، وذكر التقرير أيضًا أن ميليشيات قتلت الفلسطيني (سمير خالد الجباب) بعد أن قطعوا رأسه بالسيف وأطلقوا (20) رصاصة في جسده في (2006م)، وفي حي الشعلة أقدمت ميليشيات على خنق حلاق مع اثنين من العرب السنة ولم تتحرك الحكومة أو قوات الاحتلال بواجبها والبحث عن المجرمين وإنما كانت دائمًا تتواطأ مع المجرمين، بل إن الحكومات والقوات الأمريكية لم تقدم أي شيء يذكر لحماية الفلسطينيين في العراق⁽²⁾.

وما يدل على التعاون المشترك وتبادل الأدوار بين هذه الجهات؛ هو أن وزيرة الهجرة والمهجرين في حكومة بغداد

الفلسطينيين صفة اللجوء والضيوف، ومن خلال ممارسة الأساليب والقرارات القمعية ضد الفلسطينيين تشاركت هذه الجهات بقتل واعتقال وتهجير الفلسطينيين وطردهم من العراق، فبعد أن كان عدد الفلسطينيين ما يقرب من (50) ألف فلسطيني قبل الاحتلال لم يبق منهم إلا ما يقرب من أربعة آلاف فلسطيني ولو أتيحت لهم الفرصة لتركوا العراق ونجا بحياتهم كما يصرحون بذلك. فالهجوم على مقر السفارة الفلسطينية في بغداد واعتقال العاملين فيها، والهجوم المشترك بين القوات الأمريكية والعراقية والميليشيات الطائفية الموالية لإيران ضد الفلسطينيين تكررت عدة مرات، وكانت السمة الأبرز هي أن القتل والختف والتغيب كانت تمارسه الميليشيات، والاعتقال كان الأداة الأبرز لقوات الاحتلال الأمريكية، وكان هناك تعاون وتنسيق واضح بالهجوم على تجمعات الفلسطينيين وهناك شواهد ودلائل على ذلك، منها:

في (27/رمضان/2006م) تعرض مجمع البلديات لقصف عشوائي بالهاونات بعد صلاة التراويح، مما أسفر عن استشهاد وإصابة العشرات، ولم تمر ساعات على هذه الجريمة حتى اقتحمت قوات الاحتلال الأمريكي المجمع بالقنابل الصوتية وزرع العبوات الناسفة وتدمير بعض الشقق السكنية، مصطحبة معها الكلاب البوليسية التي زادت من إرهاب الناس خصوصًا النساء والأطفال؛

(1) انظر: تقرير مراسل مجلة فلسطين المسلمة عن أوضاع اللاجئين في العراق. ذكر التقرير ناهض زقوت في كتابه اللجوء والاضطهاد: 196.

(2) انظر: تقرير لا مفر: 2، و 25.

ولذلك كانت الانتهاكات التي تمارسها وزارة الداخلية على العراقيين والفلسطينيين بإشراف الاحتلال الأمريكي الذي عين الجنرال ستيفين كاستيل، وجيمس ستيل، مستشاران لوزارة الداخلية والدفاع وهما يديران عمليات الاستهداف لإشاعة الطائفية والمذهبية بين العراقيين وكان استهداف الفلسطينيين في ضمن هذا المشروع الخبيث، وقد وثقت مئات الانتهاكات ضد الفلسطينيين من قبل وزارة الداخلية⁽³⁾.

ثالثاً: الإشراف الإيراني المباشر على الميليشيات في العراق

لم يعد خافياً على عاقل أن الميليشيات في العراق هي تدين بالولاء المطلق لإيران، وهي الأداة الأبرز لتنفيذ مخططاتها في العراق والمنطقة، فضلاً عن تعاونها مع الاحتلال الأمريكي في غزو واحتلال العراق، بل كانت هي الأداة الأبرز التي رسخت الاحتلال الأمريكي والتغول الإيراني في العراق، وهناك تصريحات لقادة الميليشيات موثقة تظهر أن الميليشيات ليست لديها عداوة ضد الكيان الصهيوني وإنما عداؤها للدول العربية حصراً، ومن هذه التصريحات تصريح: أبو مهدي المهندس، أحد أهم وأبرز قادة إيران في العراق، عندما صرح بأنه لا يتمنى دمار إسرائيل ولكن دمار السعودية؛ وهذه الميليشيات يقودها الحرس الثوري الإيراني وتأخذ توجهاتها منه، واستهداف الفلسطينيين كان

دعت إلى إبعاد الفلسطينيين وطردهم من العراق، وسجلت المنظمات الدولية انتهاكات عدة ضد الفلسطينيين تقوم بها القوات الحكومية بالتعاون مع الميليشيات الطائفية. وقد أكدت تورط الحكومة في بغداد وأجهزتها الأمنية بقتل واستهداف الفلسطينيين دائرة شؤون اللاجئين في ندوة لمنظمة التحرير الفلسطينية⁽¹⁾.

ثانياً: تشكيل القوات الأمنية من الميليشيات الموالية لإيران

بعد أن حلّ الاحتلال الأمريكي الجيش العراقي والأجهزة الأمنية العراقية الوطنية، شكل قوات الأمن في العراق من الأحزاب وميليشياتها الموالية لإيران التي تعاونت مع الاحتلال على غزو العراق، ومنها منظمة بدر، وجيش المهدي، وحزب الدعوة، ومن قوات البيشمركة الكردية، وسلمتها وزارة الداخلية وأصبحت هذه القوات الأداة الأبرز في تنفيذ مخططات الاحتلال الأمريكي والإيراني. وقد مارست هذه القوات القتل والختف والتغيب والتطهير الجماعي على الفلسطينيين، وقد أصدرت هيئة علماء المسلمين فتوى تحرم وتدين وتستنكر تأسيس القوات العراقية من هذه الميليشيات، وبينت أن الهدف من ذلك جعل العراق ساحة للفوضى، وإبقائه هشاً ضعيفاً يسهل التحكم به، وأكدت الهيئة على ضرورة بناء الجيش على أسس مهنية ووطنية، وأوضحت رؤيتها في ذلك كما جاء في نص الفتوى⁽²⁾.

(1) انظر: ورشة عمل لدائرة شؤون اللاجئين، منظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ 2007/2/21م، غرفة تجارة والصناعة رام الله: 15.

(2) انظر: فتوى الهيئة بتاريخ (2003/12/5م) بعنوان (فتوى وبيان) (حول الميليشيات العسكرية)، في: قراءة مقاصدية في بيانات هيئة علماء المسلمين المتعلقة بالجيش والشرطة، د. ثامر العلواني: 9.

(3) انظر: اللجوء والاضطهاد: 218.

وأيضاً توثيقها اختطاف (27) فلسطينياً من منطقة الكرادة في بغداد من قبل قوات حكومية⁽¹⁾، وغير ذلك من الجرائم التي ارتكبتها الميليشيات والأجهزة الحكومية ضد الفلسطينيين.

هذه هي أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد الاحتلال ومعاناتهم التي لم تنته في ظل وجود هذه الحكومات الموالية لإيران التي استهدفت خمسين ألف فلسطيني في العراق، ولم تبق منهم إلا ثلاثة آلاف تقريباً، لا يأمنون على أرواحهم في ظل غياب القانون، وسيطرة الميليشيات الطائفية الموالية لإيران، ووجود تخادم أمريكي إيراني صهيوني، فضلاً عن عدم وجود اهتمام فلسطيني جاد وحقيقي بقضاياهم، لا من حكومة السلطة، ولا من المنظمات السياسية أو فصائل المقاومة.

المبحث الرابع

• العلاقة بين أمريكا وإيران والكيان الصهيوني

من يتابع الحرب الإعلامية بين إيران وبين أمريكا والكيان الصهيوني سيتصور للوهلة الأولى أن هناك عداءً وصراعاً محتدماً بينهم، وربما قضية الرهائن الأمريكيين والحصار الجزئي الأمريكي على إيران تعزز هذا التصور، ويمكن أن يُعذر أصحاب هذا التصور قبل احتلال العراق وأفغانستان، لأنه ممكن أن يكون قد اندفع بالخلافات بين الطرفين أو أن المؤشرات تذهب بهذا الاتجاه، ولكن في السنوات الأخيرة أظهرت الدلائل

بتوجيه من الحرس الثوري الإيراني الذي توافق مع التوجهات الأمريكية والصهيونية في استهداف الفلسطينيين في العراق. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأحزاب التي حكمت العراق بعد الاحتلال هي أحزاب شيعية تدعن بالولاء لإيران، ولو لم تكن إيران تريد استهداف الفلسطينيين في العراق لمنعت ذلك مثلما منعت استهداف بعض الأقليات في العراق ودعمت وجودها وتمددتها، فضلاً عن أن الميليشيات تتحرك وفق التوجيهات الإيرانية.

رابعاً: بيانات الهيئة وتصريحاتها بالجهات التي تستهدف الفلسطينيين

أكدت وكشفت هيئة علماء المسلمين في العراق الجهات التي كانت تستهدف الفلسطينيين في العراق، ووثقت بعض الانتهاكات التي تعرض لها الفلسطينيون على يد قوات الاحتلال والقوات الحكومية وميليشياتها الموالية لإيران، وقد كشفت الهيئة في بيانها مخطط هذه الجهات بتهجير الفلسطينيين من العراق بعد أن غُيب وقتل منهم المئات، ووثقت الهيئة أيضاً الأساليب القمعية في استهداف الفلسطينيين من قبل هذه الجهات، ومن الجرائم التي وثقتها الهيئة جريمة اقتحام قوات الاحتلال مجمع البلديات وانتهاكها لحقوق الفلسطينيين واعتقال عدد من النساء والرجال، وأيضاً توثيقها قصف مجمع البلديات من قبل الميليشيات الموالية لإيران واستشهاد (7) فلسطينيين وإصابة (20) شخصاً،

(1) انظر: كتاب فلسطين والقدس في أدبيات هيئة علماء المسلمين دراسة توثيقية في بيانات الهيئة وتصريحاتها (2003_2018م) بيان رقم 819 وبيان رقم 1302: 75، 107، والتصريحات الصحفية لهيئة علماء المسلمين في العراق: 123_130.

على طبق من فضة"⁽¹⁾. وقد حذر من هذا الخطر المسؤولون في الأردن وعلى رأسهم الملك عبد الله الثاني⁽²⁾. ونشرت السياسة الكويتية بتاريخ (2006/3/3م) عن السيد عبد الله جول وزير الخارجية التركي تحت عنوان: تركيا تحذر من مخطط إيراني للسيطرة على العراق وتصدير الثورة إلى الخليج⁽³⁾.

ثانياً: تعاون أمريكا وإيران وميليشياتها في القضاء على انتفاضة العشائر العراقية

بعد انطلاق انتفاضة العشائر العراقية في المحافظات الست بسبب الظلم والجور الذي وقع عليهم، اشتركت أمريكا والحرس الثوري الإيراني بقيادة المجرم قاسم سليماني وميليشيا الحشد الشعبي، في وأد هذه الانتفاضة التي أعقبها حرب إبادة ضد محافظات (الأنبار، وبعض مدن بغداد، وديالى، وصلاح الدين، وبنوى، والتأميم)، وقد تم تدميرها بشكل شبه كامل، فكانت القوات الأمريكية تقصف بطائراتها هذه المدن مرتكبة مجازر جماعية بحق الأطفال والنساء والشباب، وتدخل ميليشيات الحشد الشعبي بقيادة المجرم قاسم سليماني مع بعض عناصر من ضباط الحرس الثوري الإيراني، وقادة الميليشيات في العراق أبي مهدي المهندس، وهادي العامري، وقيس الخزعلي وآخرين، لتكمل حرق المدن وقتل الأبرياء ودفنهم في مقابر جماعية، وقد ذهب ضحية هذه الجهات أكثر من

والشواهد العملية الإيرانية والأمريكية ومعها الكيان الصهيوني، أن هناك تعاوناً مشتركاً بين هذه الأطراف الثلاثة وتخاذم واضح بينهم، وإذا قورن هذا التعاون مع القضايا الخلافية سيترجح بما لا يقبل الشك أن العلاقات بين هذه الأطراف وطيدة وممتدة، ومن الدلائل على ذلك: أولاً: تعاون أمريكا والكيان الصهيوني مع إيران في احتلال العراق ثم تسليمه لإيران

هناك اعترافات صريحة وموثقة من مسؤولين إيرانيين بأن إيران ساعدت أمريكا في احتلال العراق، ومنها ما قاله نائب الرئيس الإيراني محمد أبطحي، نائب الرئيس الإيراني محمد خاتمي حيث قال: لولا إيران لما تمكنت أمريكا من احتلال العراق وأفغانستان.

وقد كرر رفسنجاني رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام هذه العبارة في نفس الإطار عندما قال: لولا إيران لما سقطت كابل وبغداد؛ والتعاون عن طريق تحريك أحزابها وميليشياتها في خدمة الاحتلال الأمريكي، مثل المجلس الأعلى، وحزب الدعوة، وجيش المهدي وغيرهم، وبسبب ذلك نالت إيران حصتها من الاحتلال في كلا البلدين.

وقد اعترف بعض المسؤولين العرب بأن أمريكا تسعى لتسليم العراق إلى إيران؛ ومن هذه التصريحات تصريح وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل) التي قال فيها: "إن أمريكا قدمت العراق لإيران

(1) انظر: التصريح موقع ال (BBC) عربي، رابط: http://news.bbc.co.uk/1/hi/arabic/middle_east_news/newsid_4267000.stm

(2) انظر: تصريحات الملك عبد الله في الرابط: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2016/19/4>

(3) انظر: الخطر الإيراني يتمدد، مجلة البيان، لندن، بتاريخ: 2013/6/26م.

المالكي)، و(أحمد البغدادي)، و(جواد الخالصي)، وغيرهم كثير، وتم التعامل حصراً مع (علي السيستاني) وهو إيراني الجنسية.

رابعاً: محاولات القضاء على المقاومة العراقية

كان من المفترض أن تدعم إيران المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي لو كان فعلاً هناك صراعاً حقيقياً بينهما، إلا أن إيران كان لها دور أساسي في وأد المقاومة العراقية عن طريق أدواتها الحكومية والميليشياوية واستهدافها حواضن المقاومة العراقية وإيقاع أشد التنكيل والانتهاكات بحقهم، وحتى الشخصيات السنية البارزة وعلماء الدين تم اغتيالهم أو تغييبهم أو قتلهم عن طريق أذرع إيران في العراق. وقد ثبت أن بعض ضباط التحقيق الذين كانوا يشرفون على تعذيب المعتقلين هم من الإيرانيين، وبهذا يتضح أن إيران وأمريكا يخدم بعضهم بعضاً في العراق. وزيارة الرئيس الإيراني أحمددي نجاد إلى العراق تحت حماية القوات الأمريكية وفي ظل الاحتلال إشارة واضحة إلى وجود توافق بين الطرفين.

خامساً: مساعي القضاء على المعارضة الإيرانية في العراق

اشتركت القوات الأمريكية مع الإيرانيين وحكومات الاحتلال في العراق بالقضاء على المعارضة الإيرانية المسلحة (مجاهدي خلق) في العراق فبعد احتلال العراق اتجهت القوات الأمريكية إلى هذه

(50) ألف شخص في الموصل وحدها، فضلاً عن آلاف المغيبين منذ أكثر من (5) سنوات من هذه المحافظات مع ثبوت اعتقالهم من قبل الميليشيات الإجرامية الموالية لإيران بقيادة قاسم سليماني الذي كان يقود جميع الميليشيات في العراق، باعتراف قادة الحشد في العراق، وقد وثقت المشاهد الفيديوية مشاركة المجرم قاسم سليماني في قيادة المعارك ضد الأبرياء في العرق، وهنا نؤكد على أن سلاح الجو الأمريكي كان يحمي قادة الحرس الثوري الإيراني من الجو.

ثالثاً: تعامل أمريكا مع أذرع إيران في العراق

تمثل الميليشيات في العراق وأحزابها الشيعية النفوذ الإيراني في العراق، وتعد هذه الجهات الأذرع الرئيسة لإيران في العراق والمنطقة، وقد تعاملت أمريكا مع الأذرع الإيرانية في العراق بعد الاحتلال بشكل سلس ومتفق عليه؛ فكانت هذه الجهات هي رأس الرمح في غزو العراق وترسيخ الاحتلال، وهي مؤسسة ومدرّبة في إيران، مثل: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بزعامة (عبد العزيز الحكيم)، وجناحه المسلح (فيلق بدر)، وحزب الدعوة، و(جيش المهدي) بزعامة (مقتدى الصدر)، وهؤلاء هم عصب النظام العراقي الجديد في ظل الاحتلال، وحتى على مستوى المرجعيات الدينية قام الأمريكان بمساعدة الإيرانيين في تهميش كل المراجع الشيعية (العراقية) مثل: (فاضل

تسبب بقتل وتغيب وتشريد الملايين من أبنائها؛ ومن الدلائل على وجود تعاون إيراني مع الكيان الصهيوني هي:
أولاً: ما عرف في وقتها بفضيحة: (إيران غيت أو إيران كوتترا)

وينسب اسمها إلى صفقة سرية لبيع الأسلحة بين أمريكا وإيران بوساطة الكيان الصهيوني، على الرغم من قرار حظر بيع الأسلحة إلى طهران وتصنيف الإدارة الأمريكية لها "عدوة لأمريكا" و"راعية للإرهاب".

فقد كُشف تصدير السلاح من الكيان الصهيوني إلى إيران في (18/7/1981م)، بعد أن أسقطت الدفاعات السوفيتية طائرة أرجنتينية تابعة لشركة أوروپو بلنتس، وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران والكيان الصهيوني محملة بأنواع السلاح وقطع الغيار، وكانت الطائرة قد ضلت طريقها ودخلت الأجواء السوفيتية، وقد نشرت صحيفة التايمز اللندنية تفاصيل دقيقة عن الجسر الجوي المتكتم عليه بين إيران والكيان الصهيوني، وقد انكشف للعالم حينها أن سيلاً من الأسلحة وقطع الغيار كانت تشحن من أمريكا عبر الكيان الصهيوني إلى طهران، وينص الاتفاق السري بين أمريكا والكيان الصهيوني وإيران التي كانت تخوض آنذاك حرباً ضد العراق على تزويد طهران بأسلحة متطورة، تشمل قطع غيار طائرات، وثلاثة آلاف صاروخ مضاد للدروع وصواريخ مضادة للطائرات. وهناك تقارير تؤكد أن نسبة 80% تقريباً

المعسكرات وحاصرتها وأجبرتها على نزع سلاحها، ثم استمر استهدافهم من قبل الميليشيات والقوات الحكومية إلى أن تم تهجيرهم من العراق مع أنها معارضة ضد النظام الإيراني الذي تدعي أمريكا أنها ضده وتريد إسقاطها.

سادساً: الصمت الأمريكي عن تهديدات

الحوثيين واحتلال إيران جزر إماراتية

من المؤشرات على التعاون الإيراني الأمريكي هو صمت الإعلام الأمريكي حول احتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث على الرغم من أن الإمارات تصنف على أنها قريبة من الولايات المتحدة.

ولعل من أبرز التخاذم الإيراني الأمريكي ما يجري في سوريا منذ عدة سنوات وما يجري في اليمن وتعاون أمريكا في القضاء على تنظيم القاعدة في اليمن وتركها ميليشيات الحوثي وعدم استهدافهم على الرغم من تهديد ميليشيا الحوثي للملاحة البحرية واستهدافها دول تخضع للحماية الأمريكية.

سابعاً: تعاون إيران مع الكيان الصهيوني

ثبت يقيناً وجود تعاون مشترك بين إيران والكيان الصهيوني على مدى سنوات طويلة، إلا أن بعضهم لا يريد أن يعترف بهذه الحقائق، ويضرب عنها صفحاً، مراعاة لحسابات واعتبارات عدة، تتقاطع جميعها مع ضرورة اتخاذ الموقف المتوازن من هذه القضية، أو النظر بعين مراعاة (شعور الأمة) والإحساس بالأمم التي تكادها عدد من أقطارها؛ نتيجة الاستهداف الإيراني الذي

واسعة من سوريا؛ وهذا يشير بوضوح إلى أن هناك اتفاقاً بين إيران من جهة وأمريكا وإسرائيل من جهة أخرى يسمح لإيران بالتمدد في سوريا وبعض الدول العربية، وإلا لو كان هناك عداءً حقيقياً بين الطرفين لما سمحت أمريكا أو إسرائيل بتواجد قوات وميليشيات إيرانية على مقربة من الكيان الصهيوني، سواء في لبنان عن طريق ميليشيا حزب الله، أو في سوريا من خلال تواجد الحرس الثوري والميليشيات الإيرانية حتى تحولت سورية إلى معسكر تابع لإيران سياسياً واقتصادياً ودينياً؛ وهذه كلها مؤشرات واضحة على وجود تعاون بين الجانبين.

والكيان الصهيوني مستفيد من تقاسم النفوذ مع إيران خصوصاً من استعداد العرب لإيران للتخفيف من العداء العربي ضد إسرائيل، وكأن هناك اتفاقاً على تقاسم العداء بين إيران وإسرائيل؛ وهذا ما يحصل على أرض الواقع، فهناك كثير من العرب ينظرون إلى إيران على أنها أخطر عليهم من إسرائيل بعد أن عاثت إيران في البلاد العربي فساداً وقتلاً وتهجيراً.

واستكمالاً لبيان الصورة فالتعاون الأمريكي الصهيوني الإيراني لا يمنع من وجود خلافات قوية بين هذه الأطراف في بعض الملفات ومن أهمها على سبيل المثال مشروع إيران النووي.

هذا يعني أنه على الرغم من الحرب الإعلامية الإيرانية ضد إسرائيل إلا أن واقع الحال يؤكد التعاون والتخادم مستمر

من الأسلحة التي اشتريتها طهران في حربها ضد العراق صُنعت في إسرائيل. والاتفاق تم في وقتها في باريس بين جورج بوش الأب، الذي كان يشغل منصب نائب الرئيس ريغان، ورئيس الوزراء الإيراني أبو الحسن بني صدر والموساد الإسرائيلي.

والحقيقة التي اعترفت بها إسرائيل هو أن انتصار إيران في حرب الخليج لا يضر بإسرائيل ولكن التخوف هو إذا انتصر العراق، ولذلك صرح ديفيد كيمحي أحد قادة الموساد: "بأن العراق دولة عربية وكان لدينا تخوف من انتصارها ضد إيران، وأمن إسرائيل كان مهددًا وشعرنا أننا قد نفعل كل شيء لمنع العراق من الانتصار في الحرب على إيران، وكنا على يقين بأن الأسلحة المقدمة من جانبنا لإيران لا يمكن أن تستخدم يومًا ضد إسرائيل"⁽¹⁾.

ثانيًا: استهداف الفلسطينيين في العراق

اشتركت أمريكا وإيران والكيان الصهيوني في استهداف من يشكل خطرًا على هذه الجهات الثلاث، ولذلك اجتمعوا على استهداف الفلسطينيين في العراق وتهجيرهم، وسعوا حثيثاً لتشويه صورة المقاومة العراقية والقضاء عليها والتأثير على بنية المجتمع العراقي وتشتيتها لأغراضهم ومصالحهم.

ثالثًا: التغلغل الإيراني في سوريا

مما لا يخفى على عاقل أن إيران أصبحت رقمًا صعبًا في سوريا وقواتها من الحرس الثوري الإيراني تسيطر على مساحات

(1) انظر: المشروع الأسود بين إسرائيل وإيران، سارة شريف: 104.

ولذلك يتم التغاضي عن بحث حقيقة الدور الإيراني الصهيوني في العراق والمنطقة بصورة جادة وصحيحة ومنصفة. وإذا ما توقفنا قليلاً عند هذا (التوهم) -إحساساً بالظن- فإنه لا نجد مبرراً يمكن أن يترتب على من يقعون في هذا الوهم؛ إذا ما هم قارنوا أو سألوا الإيرانيين عن سبب دعمهم للميليشيات في لبنان والعراق واليمن وسوريا، ومحايرتها للمقاومين الحقيقيين للاحتلال الأمريكي في العراق، فضلاً عن سبب استهدافهم للفلسطينيين في العراق ولبنان؛ فضلاً عن البحث عن سبب دعمهم للميليشيات والأحزاب الموالية لهم التي ساعدت المحتل في غزو واحتلال وترسيخ وجوده في العراق.

أما إذا كان هذا السكوت عن جرائم إيران بحق المسلمين في العراق وسوريا واليمن ولبنان مراعاة لمصالح حركة مقاومة تواجه العدو المشترك (المشروع الصهيوني الأمريكي) فهذا ممكن أن يفهم في إطار محدد؛ لكن أن يفشل بعضهم في تحقيق التوازن بين مراعاة الأمرين، أو يتمادى بعضهم في ذلك، ويتعد عن محددات هذه المراعاة، وبما يصادم مسلمات المقاومة نفسها ومقتضيات مصلحة السواد الأعظم من الأمة؛ فإنه حينذاك لا يكون مقبولاً ولا يمكن تبريره، فما بالك بالتمادي في وصف بعض المجرمين المسؤولين عن قتل آلاف المسلمين بالشهداء إيجابية وتمجيدهم، واتهام الأمة والمفجوعين

بين هذه الأطراف، وأن الحرب الإعلامية هي وسيلة إيرانية لخلق شعور عربي معاد لإسرائيل تتجمع حوله جميع الدول المسلمة في المنطقة بزعامة إيران، ولكن هذا لا ينفي أن هناك تنافساً كبيراً بين إيران والكيان الصهيوني للحصول على المكاسب في المنطقة خصوصاً بعد أن خرج العراق كقوة في المنطقة. وربما يُشكل على هذه المؤشرات أزمة (المشروع النووي الإيراني)، بين إيران وأمريكا والكيان الصهيوني، إلا أن هذا لم يمنع هذه الأطراف من التخاذم فيما بينها، وحتى الملف النووي الإيراني لو أمعنا النظر بدقة لوجدنا أنه يسير دون توقف، ولو كان هذا المشروع في دولة عربية لواجهته أمريكا والكيان الصهيوني بكل قوة وحزم مثلما فعلوا بمشروع الملف النووي العراقي.

ومما نجحت إيران به سياسياً؛ هو استمالة بعض الجماعات والفصائل الجهادية من خلال الاستفادة من دعايات الحرب الإعلامية بين إيران وأمريكا، وبين إيران والكيان الصهيوني من جهة أخرى،

وما تتضمنه هذه المساجلات الإعلامية من تهديدات محسوبة تطلقها هذه الأطراف ضد بعضهم؛ وهذا جعل بعضهم يتردد في إدانة إيران أو يمتنع عن ذلك؛ لأن إدانتها تعني عنده الاصطفاف مع الأمريكان والصهاينة، مع أنه لا تلازم بين الأمرين: عقلاً ومنطقاً وسياسة؟! فضلاً عن مراعاة مقتضيات الدعم الذي تقدمه إيران لبعض الجماعات المقاومة،

• الخاتمة

لم تقتصر تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق عام (2003م) على العراقيين فحسب بل كان نقطة تحول سيئة جداً على الفلسطينيين في العراق وبداية فصل آخر من التهجير القسري والاستهداف الممنهج والهجرة إلى الصحراء الجرداء ينتظرون الموت على أمل أن يجدوا من يحنو عليهم وينقذهم من آفة الموت والهلاك.

منحت الحكومات العراقية قبل الاحتلال اللاجئين الفلسطينيين حقوقاً لم يحصلوا عليها أمثالهم من اللاجئين في الدول الأخرى سواء في التعليم المجاني أو الصحة أو العمل والوظائف الحكومية أو حرية المهنة والتجارة التي كانت بدون قيد أو شرط.

تأمر على تهجير الفلسطينيين من العراق بعد الاحتلال وأوغل في معاناتهم، عدة جهات، أبرزها: قوات الاحتلال الأمريكي خدمة للكيان الصهيوني المتخفي تحت عباءة هذه القوات، وإيران باستخدام أدواتها في العراق وهي الأحزاب الحاكمة وميليشياتها الموالية لإيران، والحكومات المتعاقبة بعد احتلال العراق؛ وبدأ مسلسل استهداف الفلسطينيين بشكل مباشر في أول أيام احتلال العراق من قبل قوات الاحتلال الأمريكي والمتعاونين معه، وتنوع استهدافهم قتلًا واعتقالًا وتغييبًا وقصفًا للمجمعات السكنية فضلاً عن القرارات والقوانين المجحفة بحقهم ومحاولة شيطنتهم

بمقتل أبنائهم باتهامات غير لائقة، وجعلهم بمثابة حالة (شذوذ) في الأمة؛ لأنهم يلعنون من قتل وشرذ ملايين المسلمين؛ فهذا لا يمكن فهمه أو استساغته أو التجاوز عن نقده.

ولا سيما أن المقاومة العراقية التي تجابه وتحارب المحتل كما تفعل صنوها المقاومة الفلسطينية؛ قد أثبتت بالأدلة والشواهد التعاون الإيراني الأمريكي في احتلال العراق، الذي لولاه لتمكنت المقاومة العراقية من إنهاء المشروع الأمريكي الصهيوني الإيراني منذ وقت مبكر. وقد رأينا جميعاً تداعيات احتلال العراق على مستقبل المنطقة والعالم كله، ورأينا أيضاً كيف استطاعت إيران أن تنجح في تحقيق كثير من أهداف المشروع الصهيوني الأمريكي، وتنزع العراق من حضنه العربي لصالح أمريكا والكيان الصهيوني.

ولعل من أهداف سماح أمريكا والكيان الصهيوني لإيران أن تدعم المقاومة الفلسطينية هو تجريد هذه المقاومة من الدعم العربي والإسلامي الشعبي، ولا سيما أن التصريحات التي يطلقها بعض قادة المقاومة الفلسطينية قد أصبحت مستفزة جداً وغير مراعية بالمرّة لحالة الشعوب العربية والمسلمة ومنظماتها وجهودها في سبيل قضية فلسطين، ومتعالية على مشاعرهما، مع أنها هي السند الحقيقي لهذه المقاومة بعد الله وقبل إيران والأنظمة العربية.

إعلاميًا.

في احتلال العراق وتدميره، وتعامل أمريكا مع أذرع إيران في العراق، وتعاونهم في محاولة القضاء على المقاومة العراقية، وواد انتفاضة العشائر، والقضاء على المعارضة العراقية. والصمت الأمريكي وغضها الطرف عن تهديدات الميليشيات الموالية لإيران للدول القريبة من الولايات المتحدة، فضلًا عن تعاون الكيان الصهيوني النظام الإيراني في عدة قضايا في العراق والمنطقة وعلى رأسها استهداف الفلسطينيين في العراق ولبنان، وحماية القوات الأمريكية لعناصر من الحرس الثوري الإيراني وعلى رأسهم المجرم قاسم سليماني في استهداف الفلسطينيين والعراقيين والسوريين وغيرهم.

• المصادر والمراجع

- 1 - بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق، إصدارات هيئة علماء المسلمين في العراق، قسم الثقافة والإعلام، مؤسسة البصائر، بغداد وإسطنبول، ط 1، 2016م.
- 2 - التصريحات الصحفية لهيئة علماء المسلمين في العراق، إصدارات هيئة علماء المسلمين في العراق، قسم الثقافة، مؤسسة البصائر، بغداد وإسطنبول، ط 1، 2021م.
- 3 - تقرير منظمة (هيومن رايتس ووتش) بعنوان: (لا مفر الوضع الخطير للفلسطينيين في العراق)، 2006م.

نجح المتآمرون على فلسطيني العراق ببلوغ هدفهم فبعد أن كان عدد الفلسطينيين خمسين ألف فلسطيني قبل الاحتلال عام (2003م) لم يبق منهم إلا ثلاثة آلاف فلسطيني تقريبًا وهؤلاء لو توفرت لهم أسباب الخروج لما بقي أحد منهم في العراق، لأن معاناتهم مستمرة في ظل وجود هذه الحكومات الموالية لإيران، ووجود تخادم أمريكي إيراني صهيوني، فضلًا عن عدم وجود اهتمام فلسطيني جاد يتناسب مع الحدث؛ لا من حكومة السلطة، ولا من المنظمات السياسية أو فصائل المقاومة.

بلغ عدد القتلى من الفلسطينيين بعد الاحتلال على يد القوات الأمريكية والعراقية والميليشيات أكثر من (600) فلسطيني من غير المفقودين الذين بلغ عددهم (550) فلسطينيًا، فيما بلغت الاعتداءات الموثقة (809) اعتداءً، وأكثر من ألف معتقل، فضلًا عن مئات المصابين، والانتهاكات وحالات القتل غير الموثقة.

أظهرت الدلائل والشواهد العملية الإيرانية والأمريكية ومعها الكيان الصهيوني، أن هناك تعاونًا مشتركًا بين هذه الأطراف الثلاثة وتخادم واضح بينهم، وإذا قورن هذا التعاون مع القضايا الخلافية سيترجح بما لا يقبل الشك أن العلاقات بين هذه الأطراف وطيدة وممتدة، ودلائل هذه الأمور متعددة مثل تعاونهم

- 11 - اللاجئين الفلسطينيين في العراق إعداد قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت.
- 12 - اللاجئين الفلسطينيين في العراق من النكبة 1948م إلى ما بعد الاحتلال الأمريكي 2003م، عز الدين محمد، مركز الغد العربي للدراسات، دمشق، 2007م.
- 13 - اللجوء والاضطهاد؛ اللاجئين الفلسطينيين في العراق 1948م _2010م، الدكتور ناهض خميس زقوت، دار دجلة، عمان، ط 1، 2015م.
- 14 - المشروع الأسود بين إسرائيل وإيران، سارة شريف، دار كنوز للنشر، ط 1، 2016م.
- 15 - موقع الـ (BBC) عربي، رابط: http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/stm.4267448/newsid_4267000
- 16 - موقع الجزيرة نت، رابط: <https://www.aljazeera.net/19/4/encyclopedia/events/2016>
- 17 - ورشة عمل لدائرة شؤون اللاجئين، منظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ: 2007/2/21م، غرفة تجارة والصناعة رام الله.

- 4 - تقرير منظمة العفو الدولية عن أوضاع الفلسطينيين في العراق، نيسان 2006م.
- 5 - الخطر الإيراني يتمدد، مجلة البيان، بتاريخ: 2013/6/26م.
- 6 - فلسطين والقدس في أدبيات هيئة علماء المسلمين، دراسة توثيقية في بيانات الهيئة وتصريحاتها الصحفية، إعداد القسم السياسي، مؤسسة البصائر، ط 1، 2021م.
- 7 - الفلسطينيون في العراق: رابع تهجير للمهجر منشور على موقع العربي الجديد بتاريخ 2015/8/7م، رابط: <https://www.alaraby.co.uk>
- 8 - الفلسطينيون في العراق، تقرير أعده الدكتور هيثم مناع، المتحدث باسم اللجنة العربية لحقوق الإنسان إثر زيارة للعراق من 10 إلى 17 حزيران (يونيو) 2003م. وهو من منشورات اللجنة العربية لحقوق الإنسان بتاريخ 2003/06/24م، رابط: <https://ar.achr.eu/reports/vhf> .
- 9 - الفلسطينيون في العراق، عصام سخيني، بحث منشور في مجلة شؤون فلسطينية العدد 13، أيلول 1972م.
- 10 - قراءة مقاصدية في بيانات هيئة علماء المسلمين المتعلقة بالجيش والشرطة، د. ثامر العلواني، منشور في كتاب (المقاصد الشرعية بين الأعمال والإهمال في الدراسات الحديثة والمعاصرة)، إصدارات هيئة علماء المسلمين في العراق، مؤسسة البصائر، ط 1، 2020م.

دور العراق التاريخي في دعم القضية الفلسطينية (1920 – 2003م)

د. جاسم الشمري⁽¹⁾

• تمهيد

ما أمكن والاكتفاء ببيان الجهود الرئيسة والبارزة، تلبية لمتطلبات الندوة وابتعاداً عن الخوض في التفاصيل التي لن يتسع لها المجال.

وقد رتبت البحث على وفق ما يأتي:

- المطلب الأول: نشأة الدولة العراقية في العصر الحديث.

- المطلب الثاني: بداية القضية الفلسطينية.

- المطلب الثالث: القضية الفلسطينية في العهد الملكي 1921-1958م.

- المطلب الرابع: القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري (الأول) 1958-1963م.

- المطلب الخامس: القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري (الثاني) 1963-1968م.

- المطلب السادس: القضية الفلسطينية في العهد (الثالث) 1968-2003م.

- الخاتمة وأهم النتائج.

تعد القضية الفلسطينية من القضايا المهمة والحساسة ليس فقط على مستوى العالم العربي وإنما على مستوى العالم؛ وذلك لوجود كيان غاصب يحاول طمس الهوية، وتغيير التاريخ، وقلب الحقائق، ويقتل الأبرياء ويطارد الأحرار الرافضين لمشاريعه، ويحارب كل من يقف مع الحق الفلسطيني من الفلسطينيين وغيرهم.

وقد كان للدولة العراقية جهوداً متميزة وآثاراً بارزة في الوقوف مع الشعب الفلسطيني، ونصرة قضيته في مختلف عهودها منذ قيام الملكية سنة (1921م)، وحتى الاحتلال الأمريكي للعراق في العام (2003م)⁽²⁾. وسنحاول في هذا البحث بيان المعالم الرئيسة لها -دون الدخول في التفاصيل أو الإسهاب فيها- من خلال تتبع شواهد ذلك في مرحلة العهد الملكي، ثم في العهود الجمهورية المتوالية. مع مراعاة الاختصار

(1) عضو مجلس الشورى في هيئة علماء المسلمين في العراق.

(2) مع استثناءات قليلة في العهد الملكي.

مقررات مؤتمر القاهرة في (1921م)، وجرى تنويجه يوم 23/8/1921م⁽¹⁾. وكان لسان حال الحكومة البريطانية يقول -مظهرًا ديمقراطيته الزائفة- إن: "حكومة جلالة ملك بريطانيا لن تضع عثرة في سبيل ترشيح سمو الأمير لعرش العراق، وإذا وقع عليه انتخاب الشعب سيلقى تأييد بريطانيا له"⁽²⁾. وبذلك تكون الحكومة المشكلة في العراق وقتها ذات سيادة في الظاهر، لكنها لم تكن كذلك في الواقع فالاستقلال كان ناقصًا نقصًا فاضحًا، وكان الحكم ثنائيًا، يتولى فيه البريطانيون مقاليدته، ولهم الأمر والنهي الحقيقي في كل مفاصله، فكان بذلك الغنم للسلطة البريطانية، والغرم على الشعب العراقي!⁽³⁾ وقد تبع تنصيب فيصل ملكًا خطوتان أخريان، هما: التوقيع على معاهدة التحالف مع بريطانيا، ووضع مسودة الدستور (القانون الأساسي)⁽⁴⁾.

المطلب الثاني

• بداية القضية الفلسطينية

انتهى الحكم العثماني لفلسطين مع الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية، تمزيقًا أقرته معاهدة سيفر في عام (1920م)، ثم مرة أخرى في معاهدة لوزان عام (1923م)، وطلبت بريطانيا (العظمى) التي كانت قد احتلت فلسطين في أثناء الحرب⁽⁵⁾، من عصبة الأمم في

المطلب الأول

• نشأة الدولة العراقية في العصر الحديث

ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى بات العراق تحت الانتداب البريطاني، وذلك بقرار من مؤتمر الحلفاء في (سان ريمو) بتاريخ: (25/نيسان/1920م)، الذي قضى بوضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني. وقد سبب هذا القرار ومضامينه السياسية صدمة للعراقيين الذين كانوا يأملون بالاستقلال بعد انتهاء الحرب، ولما خاب أملهم به، بادروا بالدفاع عن حقوقهم المشروعة من خلال المطالبات السلمية والانتفاضات المسلحة التي عمت الكثير من مناطق العراق، وكانت خاتمتها ثورة العشرين سنة (1920م).

وبسبب نتائج هذه الثورة المهمة وما كبدته للاحتلال من خسائر بشرية ومادية كبيرة، قامت الحكومة البريطانية، بإنهاء الحكم العسكري المباشر في العراق في تشرين الأول سنة (1920م)، وتعيين (السير برسي كوكس) كمندوب سام، وإعلانها العزم على تأسيس حكم (وطني)،

تلاه تشكيل حكومة مؤقتة من بعض زعماء البلاد والتحضير لإنشاء مجلس تأسيس، ومن ثم تم اختيار الأمير (فيصل بن الحسين) ملكًا على العراق بحسب

(1) العراق الحديث، تحليل لأحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية وغيرها، مني عقراوي: 45/1.

(2) ينظر: الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسني: 279، والعراق، تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني 1920-1932، د. محمد مظفر الأدهمي: 39-92.

(3) الثورة العراقية الكبرى: 294.

(4) ينظر: العلاقات العراقية-البريطانية بعد عام 2003، ستار جبار الجابري، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 10، 2015م: 116.

(5) دخل القائد البريطاني (الجنرال اللنبي) القدس محتلاً في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر عام 1917م.

بريطانياً، فعززوا موقفهم الدولي بإنشاء الوكالة اليهودية (مؤتمر زيورخ 1929م) التي ضمت أيضاً ممثلين لليهود غير الصهيونيين. وقد أدانت اللجنة الدائمة للانتداب في عصبة الأمم في عام (1930م) الإدارة البريطانية؛ لفشلها في التوفيق العرب واليهود. فأحالت الإدارة البريطانية المسألة إلى الأمم المتحدة، وقامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتعيين لجنة خاصة من عشرة أعضاء في عام (1947م)، وقدمت تقريرها إلى لجنة فلسطين في الجمعية، التي خرجت بخطة للتقسيم أقرتها الجمعية في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (1947م)، مع تصور وجود دولتين إحداهما لليهود والأخرى للعرب، ومنطقة دولية تشمل نطاق القدس تحت إشراف الأمم المتحدة.

وقبل اليهود خطة التقسيم (مشروع التقسيم) ورفضها العرب؛ لأنها مجحفة ومنحازة لليهود، وقامت القوات اليهودية باحتلال المناطق التي تحددت لها في خطة التقسيم، واندلع القتال في نطاق القدس، واضطر الفلسطينيون للدفاع عن أنفسهم، وتأثر الرأي العام العربي بذلك ودعا إلى تدخل الجيوش العربية النظامية؛ لكن ظهرت اختلافات في الرأي في الجامعة العربية وبين الحكومات العربية في كيفية التعامل مع هذه الأحداث، فضلاً عن هيمنة بريطانيا على قرار بعض هذه الجيوش فعلياً أو سياسياً⁽³⁾.

عام (1919م) أن تعهد إليها بإدارة هذه الأراضي في شكل انتداب دولي، وقد وافق مجلس عصبة الأمم في تموز (1922م) على الاقتراح البريطاني الذي جرى تعديله في عام (1920م)، وأصبح الانتداب ساري المفعول في أيلول عام (1923م)، أي بعد عقد معاهدة لوزان في (تموز 1923م) وقبل أن يبدأ تنفيذها في (آب 1924م). وقد نظمت هذه المعاهدة مستقبل الأراضي التي اقتطعت من الإمبراطورية العثمانية⁽¹⁾.

وكانت سياسة حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين متأثرة منذ البداية بالوعد الذي قطعه بريطانيا على نفسها لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين⁽²⁾. ثم قدمت لسكان فلسطين تأكيدات عديدة بأن حكماً ذاتياً سوف يقام في فلسطين؛ ولكن العرب الذين خابت آمالهم، وانزعجوا للهجرات اليهودية الكبيرة، التي وصلت في عام (1939م) إلى قرابة (400) ألف شخص. وقد رفض الفلسطينيون أن يتعاونوا مع إدارة فلسطين البريطانية بسبب هذا الأمر وبسبب سياسات الإدارة الجائرة والتمكين لليهود في فلسطين، وتصدوا مرات كثيرة للممارسات الظالمة ضدهم، وقاموا بانتفاضات وثورات عدة في الأعوام (1928، 1929، 1933، 1936، 1939م).

وبالرغم من ردود الفعل العربية إلا أن الصهاينة واصلوا جهودهم المدعومة

(1) ينظر نص المعاهدة في: https://www.lib.byu.edu/index.php/Treaty_of_Lausanne

(2) موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما ورفاقه: 7905-7902/25.

(3) ينظر في هذا الموضوع: 15 أيار كارتة فلسطين، محمود فهمي درويش: بأكمله، ونكبة فلسطين والفردوس المفقود، عارف العارف: بأكمله.

الملكي للقيام بواجبه تجاه القضية الفلسطينية، مع ملاحظات وهنات تسببت بها بعض الحكومات المتعاقبة خلال بعض سنوات هذا العهد؛ بسبب قرب هذه الحكومات من السياسة البريطانية وسعيها لعدم إحداث مشاكل معها؛ ولكن لم تؤثر هذه المواقف السلبية على مجمل الصورة العامة الإيجابية للدعم العراقي لفلسطين والتصدي للأخطار الصهيونية.

وقد شهدت سنوات الثلاثينيات والأربعينيات الميلادية من القرن الماضي حراكاً جماهيرياً عراقياً كبيراً واهتماماً على المستويين الشعبي والرسمي بتطورات الأحداث في فلسطين⁽¹⁾. ويمكننا هنا إيراد أهم الجهود السياسية وغيرها المبذولة في هذا العهد، وكما يأتي:

أولاً: الجهد السياسي:

1 - الجهد السياسي الحكومي: سعى الجهد السياسي الحكومي، للعمل من أجل منع صدور أي قرار يسعى إلى تقسيم فلسطين أو النيل من حقوقها، من خلال جهوده في الأمم المتحدة، من خلال تأثيره على الدول الأعضاء ودعمه للقرارات التي تؤيد الفلسطينيين وتمنحهم الحق في أرضهم، إلا أن الضغوط الأمريكية والبريطانية داخل هذه المنظمة أثبتت مدى انحيازهم للصهاينة ومخالفاتهم للبند التي تنص عليه موثائق هذه المنظمة في التحرر والاستقلال وعدم التبعية، فضلاً عن زرعهم لهذا

وبعد أن أعلنت بريطانيا انتهاء الانتداب يوم (15 أيار 1948م)، سحبت قواتها من فلسطين، وكان دافيد بن جوريون قد أعلن في اليوم السابق مولد دولة إسرائيل، في خطوة واضح فيها كل الوضوح التنسيق مع الجانب البريطاني. وتقدمت الجيوش العربية، وتعاون معها الثوار الفلسطينيون المدافعون عن مدنهم وقراهم وأراضيهم، وفرض مجلس الأمن هدنة قبلها اليهود والحكام العرب؛ ولكن جهود الأمم المتحدة للتوفيق باءت بالفشل كما هو متوقع، واستطاع الصهاينة تقرير الأمر الواقع في فلسطين بالتعاون مع سلطات الاحتلال البريطاني، وهكذا كانت النكبة الفلسطينية المستمرة حتى اليوم.

المطلب الثالث

• القضية الفلسطينية في العهد الملكي (1921-1958م)

مدخل

حازت القضية الفلسطينية منذ نشوئها على اهتمام الشعب العراقي، الذي كان موقفه بمختلف أحزابه السياسية وجمعياته وصحفه ومنتدياته مسانداً لها وداعماً لحق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه، وحماية مقدسات المسلمين في القدس، والوقوف بوجهه المؤامرات الصهيونية لاغتصاب فلسطين.

وقد سعى العراق حينئذٍ للتصدي للخطر الصهيوني في فلسطين، وعمل ما يستطيع رسمياً وشعبياً خلال العهد

() الدعم العراقي للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية . ١٩٤٧-١٩٥٠، منظمة الأمم المتحدة أنموذجاً، بشار فتحي جاسم العكدي، مجلة مداد الأدب، جامعة الموصل، قسم الدراسات الاستراتيجية: 952.

المتحدة وبريطانيا على الدول الأعضاء بالترغيب والترهيب من أجل التصويت على إعلان هذا القرار⁽²⁾.

وفضلاً عن ذلك فإنه بعد وفاة الملك فيصل تسنم الحكم ابنه الملك غازي (12/3-1910/4/4 1939م)، الذي أسس إذاعة خاصة به في قصره الملكي (قصر الزهور)، وأذاع فيها برامج خاصة عن وحدة البلاد العربية وضرورة الوقوف إلى جانب فلسطين التي كانت تتعرض لهجمات واسعة من المستوطنين اليهود من كافة أرجاء العالم⁽³⁾. وبعد مقتل الملك غازي بحادث سيارة تسنم الحكم الملك فيصل الثاني (2 مايو 1935 - 14 يوليو 1958م) وقد قام في (11 آذار 1943م) بزيارة المسجد الأقصى في القدس⁽⁴⁾.

2 - الجهد السياسي البرلماني:

كانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا العربية على الإطلاق التي أولاهها أعضاء مجلس النواب ومجلس الأعيان اهتماماً خاصاً في مناقشاتهم، وكانت جميع الآراء فيهما تنصب على ضرورة مناهضة الصهيونية ومكافحتها

بالشكل الذي يؤمن للشعب الفلسطيني حريته والمحافظة على كيانه وأرضه، واستثمار علاقات العراق الدولية من أجل الدفاع عن فلسطين وتحقيق استقلالها وتحريرها من براثن الصهيونية. وكان أول ذكر يرد للقضية الفلسطينية في مجلس الأعيان سنة (1929م)، إذ عطلت جلسة المجلس خمس دقائق بمناسبة ذكرى

الكيان الغريب في أرضنا العربية، فقد كان موقف العراق واضحاً وصريحاً وقوياً تجاه القضية الفلسطينية في منظمة الأمم المتحدة⁽¹⁾.

وقد حاول العراق ومن خلال منظمة الأمم المتحدة الدفاع عن حقوق العرب الفلسطينيين، إذ كرس العراق سياسته الخارجية في دعم القضية الفلسطينية، حيث بين للدول الأعضاء حجم الظلم والحيث الذي وقع على الفلسطينيين في مقابل تفنيد كافة البراهين والدلائل التي قدمها اليهود من أجل تغيير هوية فلسطين، إذ إن الخطابات والكلمات التي ألقاها ممثلو العراق ومندوبيه في تلك المنظمة دحضت كافة الدلائل التي قدمها اليهود والتي كانت في أغلبها تستند إلى حقائق مزيفة لا تمت إلى الحقيقة بأي صلة. ولقد دعا العراق من خلال منظمة الأمم المتحدة توحيد الموقف العربي وإظهار العرب بمظهر القوة التي تستطيع الوقوف بوجه الأطماع والمشاريع الرامية إلى تجزئة وتقسيم الوطن العربي، على الرغم من ثبوت عدم قدرة هذه المنظمة على العمل بحيادية، إذ إن القرارات التي أصدرتها هذه المنظمة وتحديد قرار إنشاء دولة (إسرائيل)، تدل على سيطرة الدول الكبرى على مقدرات وأصوات الدول الأعضاء من خلال التأثير عليهم والضغط لإصدار القرارات التي تصب في مصالح هذه الدول، فقد ضغطت الولايات

(1) ينظر: المصدر نفسه: 940.

(2) ينظر: الدعم العراقي للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية ١٩٤٧-١٩٥٠، منظمة الأمم المتحدة أنموذجاً: 965-966.

(3) ترائيل على شاطئ البحر قصة العراق، سعد عبد القادر ماهر: 54/1.

(4) سيرة حياة الملك فيصل الثاني 1935 - 1958، آخر ملوك العراق، طارق إبراهيم شريف: 21.

إلى فلسطين فوزاً. وإثر هذا قدم عدد من الأعيان احتجاجاً شديد اللهجة ردّاً على تصريحات الرئيس الأمريكي (ترومان) بخصوص فتح باب الهجرة في فلسطين لليهود. وتساءل العين (محسن أبو طيخ): "هل كانت فلسطين قارة مجهولة، وقد اكتشفت فأراد ترومان توزيعها أيجل الرئيس الأمريكي أن فلسطين قطر عربي؟"⁽³⁾.

وكان وزير الخارجية البريطاني (بيفن) قد ألقى خطاباً أشبه ما يكون ببيان في (14/11/1945م)، تطرق فيه إلى القضية الفلسطينية، وكان هذا البيان مثار تساؤل وجدل، دعت بسببه جامعة الدول العربية إلى اجتماع فوري لمناقشته وخرجت بمجموعة من القرارات، منها: المقاطعة العربية للبضائع الصهيونية، قرر مجلس الوزراء العراقي في (31/12/1945م)، مقاطعة البضائع الصهيونية في اجتماعه الذي خصص لمناقشة القضية الفلسطينية فضلاً عن مطالبة باستقلال فلسطين، وأصدر بياناً دعا فيه جامعة الدول العربية إلى تحمل مسؤوليتها إزاء هذه القضية، وتحميل الحكومتين البريطانية والأمريكية مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، وبوجوب الإعلان في الأمم المتحدة عن استقلال فلسطين.

وطالب مجلس الأعيان العرب ملوكاً ورؤساء وشعوباً ألا تكون قضية

وعد بلفور الجائر، واقتراح عضوا المجلس: فخري الجميل وحسن الشبوط الاحتجاج على هذا الوعد، وقد أرسلت بالفعل برقية احتجاج إلى كل من: رئيس وزراء بريطانيا، وسكرتير عصبة الأمم، ولجنة التحقيق في القدس. وقد وصفت البرقية الوعد بأنه يرمي إلى إهداء أمة في وطنها ولا يلتزم ومبادئ العدل والإنسانية⁽¹⁾. وقد نبّه عدد من الأعيان إلى مخاطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام (1938م)، فقد ذكر العين رشيد عالي الكيلاني، أن عرب فلسطين يأملون من الحكومة العراقية بعد حضور وزير الخارجية (نوري السعيد) مؤتمر لندن عن القضية الفلسطينية، علاجاً حاسماً لقضيتهم يخلصهم مما هم فيه من مخاطر الهجرة اليهودية والويلات التي يعانونها⁽²⁾.

وكان الرئيس الأمريكي (روزفلت) قد عرض في (آذار 1944م)، على لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الكونغرس الأمريكي، موضوع إقامة دولة يهودية في فلسطين مما أثار الرأي العام العربي، فانتقد عدد من أعضاء مجلس الأعيان العراقي مواقف الولايات المتحدة واعتبروها (عربية ومتحيزة).

ولما حل (ترومان) محل (روزفلت) في رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، وجه رسالة مستعجلة إلى (أتلر) رئيس الوزراء البريطاني في (21 أيلول 1945م)، طالباً منه أن يسمح لمائة ألف يهودي بالدخول

(1) ينظر: مجلس الأعيان العراقي (1925-1958م) وموقفه من القضية الفلسطينية، عدنان القطان، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية،

الحلقة الأولى: [/https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589](https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589)

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: مجلس الأعيان العراقي (1925-1958م) وموقفه من القضية الفلسطينية، الحلقة الأولى، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية،

[/https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589](https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589)

الكرامة، وإن من أخطر المآسي المذكورة التي فوجئ بها العرب هو القرار الجائر الذي اتخذته أكثرية هيئة الأمم المتحدة بالموافقة على تقسيم فلسطين...⁽²⁾.
ثالثاً: الدعم المالي الرسمي: ومن ذلك المرسوم الذي تقدمت به محمد فاضل الجمالي إلى مجلس النواب برقم (10) لسنة (1953م)، تقترح فيه إضافة مبلغ قدره (150) ألف دينار على الميزانية العامة لسنة (1953م) المالية، لدعم القضية الفلسطينية⁽³⁾، وعند مجيء حكومة علي جودت الأيوبي في (حزيران 1957م) إلى الحكم؛ صرح الأيوبي معلناً استعداداته لوضع جميع إمكانيات العراق بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية الحليفة لحل قضية فلسطين حللاً عادلاً يحفظ لأهلها حقوقهم المشروعة⁽⁴⁾.

رابعاً: الجهد العام: ومن شواهد:

1 - التفاعل الشعبي مع قضايا فلسطين، ومتابعة العراقيين لتطورات الأحداث فيها، وبرجال الفكر والثقافة ووسائل الإعلام والجهود الكبيرة للتعريف بالقضية الفلسطينية وتسليط الأضواء على ما يجري في فلسطين من عمليات قضم للأراضي واستقدام للمهاجرين اليهود واعتداء على المقدسات الإسلامية؛ "فقد أخذ العراق يتابع باهتمام تطورات القضية الفلسطينية وكفاح شعبها العربي وتصديه للاستعمار والصهيونية"⁽⁵⁾.

فلسطين ثانوية وإنما القضية الأولى، ودعا عضو المجلس (إبراهيم كمال) الشعبين البريطاني والأمريكي إلى أن لا يندعوا بأباطيل الصهيونية وغاياتها المزيفة، ويهملوا البراهين في إثبات حق شعب فلسطين، وناشد الجامعة العربية إلى اتخاذ موقف بهذا الشأن⁽¹⁾. واشتدت مناقشات النواب أيضاً بعد قرار تقسيم فلسطين الذي أصدرته الأمم المتحدة في (29/11/1947م)، وتكوين دولتين للعرب واليهود، وأعلنت الحكومة في خطاب العرش الذي ألقى عند افتتاح مجلس الأمة (الأعيان والنواب) في (1/12/1947م)، من أن الحكومة ستعمل على إنقاذ فلسطين والحيلولة دون ضياعها عن طريق التعاون مع الأقطار العربية. كما تقدم عدد من (الأعيان والنواب) ببيان إلى الحكومة يطالبونها فيه بالتضامن مع الشعب الفلسطيني من أجل نيل حقوقه المشروعة وإرسال برقيات احتجاج إلى رؤساء الدول الكبرى على القرار الجائر الذي اتخذته الأمم المتحدة، جاء فيه: "تجتاز الأمة العربية مرحلة عصيبة تهدد حياتها وكيانها بأعظم الأخطار وعلى الأمة أن تختار أحد الأمرين لا ثالث لهما فإما أن تتنازل عن حقوقها الطبيعية في الحياة أو في تقرير مصيرها، وإما أن تثب وثبة كبرى مبادرة إلى البذل والمفاداة في سبيل حريتها وحقوقها في

(1) ينظر: المصدر نفسه.

(2) مجلس الأعيان العراقي (1920-1958م) وموقفه من القضية الفلسطينية، الحلقة الأولى، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، <https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589>.

(3) ينظر: مجلس النواب العراقي خلال العهد الملكي 1925-1958، تجربة نواب الموصل، عدنان سامي الزرّي: 397-396/2.

(4) الاجتماع الاعتيادي لسنة 1957 الجلسة (11) في 1958/12/23، نقله عدنان الزرّي، في كتابه مجلس النواب العراقي: 398/2.

(5) الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939) في الوثائق العراقية، د. عباس عطية جبار، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد 34، 1987م: 53.

القاقوجي"⁽³⁾. وكان الشيخ الحسيني موضع حفاوة كبيرة وثقة واسعة من كثير من لاساسة والضباط والشباب الوطني، مما مهد الطريق له ليكون موضع سر قادة ثورة مايس عام (1941م)، وأحد داعميها البارزين⁽⁴⁾.

ويذكر هنا أن قادة ثورة مايس (1941م)، من الضباط، قد ربطوا مطالبهم بتغيير السياسة العراقية وعلاقتها ببريطانيا قبيل انطلاق الثورة، بالقضية الفلسطينية؛ حيث كان لهما مطلبان رئيسان من حكومة (نوري السعيد) وهما: "حمل بريطانية على إعطاء تعهد بضمان حقوق العرب في فلسطين. يضاف إلى ذلك تلف الضباط... إلى تسليح الجيش العراقي. ولما يئسوا من حمل نوري السعيد على إلزام بريطانية على تحقيق هذين المطلبين (احترام حقوق العرب في فلسطين وتسليح الجيش العراقي) انقطعت علاقاتهم بنوري السعيد وتوجهوا كلية إلى التعاون مع السيد رشيد عالي الكيلاني الذي ولي رئاسة الوزراء في (31 آذار 1940م)، بعد استقالة وزارة نوري الخامسة في هذا التاريخ"⁽⁵⁾.

2 - المساهمة في إنشاء جيش الإنقاذ الذي شاركت فيه ثلاثة أفواج عراقية من المتطوعين، أشرفت على تجهيزها وتدريبها ودعمها (جمعية إنقاذ فلسطين)⁽⁶⁾، إضافة إلى مشاركة

ولقد كان للصحافة أثر كبير في تنمية هذا الاهتمام، و"أسهمت في توعية الشعب بما يجري وتحشيد طاقاته لدعم الفلسطينيين؛ حيث لعبت عدد من الصحف الوطنية وعلى رأسها صحيفة (الاستقلال) لصاحبها ورئيس تحريرها عبد الغفور البدري دورًا كبيرًا في تنبيه الأذهان إلى الحركة الصهيونية وأخطارها الكبيرة على مستقبل فلسطين والأمة العربية"⁽¹⁾.

2 - احتضان قيادات العمل الوطني المقاوم في فلسطين في العراق؛ فقد كانت بغداد في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضي محط رحال عدد كبير من: القادة والمجاهدين والضباط والمفكرين والأدباء الفلسطينيين،

أمثال: الحاج أمين الحسيني، والشهيد عبد القادر الحسيني، والمجاهد حسن سلامة، والقائد أبو إبراهيم الكبير، وذو الكفل عبد اللطيف، وأكرم زعيتر، ودرويش المقدادي، وإبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وغيرهم، بحيث بلغ عدد المجاهدين منهم فقط قرابة الـ (200)⁽²⁾. "وقد كان لحضور هؤلاء وتفاعلهم مع النخب والطبقات الشعبية العراقية على حد سواء بالغ الأثر في الهبة الشعبية العراقية التي ضغطت على الحكومة الملكية لإرسال المتطوعين العراقيين إلى فلسطين... في إطار قوات المتطوعين التي قادها فوزي

(1) المصدر نفسه.

(2) ينظر: فلسطين والحاج أمين الحسيني، زهير مارديني: 125.

(3) الجيش العراقي ومساهمته في حرب 1948 بين الحقيقة التاريخية والرواية الشعبية المشوهة، د. مصطفى كنها، موقع عرب 48، تاريخ النشر: 2008/05/10 <https://cutt.us/UP04A>

(4) ينظر في هذا الموضوع: الأسرار الخفية في حركة السنة 1941 التحررية، عبد الرزاق الحسني: 31-32، 38-41.

(5) المصدر السابق: 31.

(6) ينظر: 15 أيار 1948 كارثة فلسطين: 44-44 وما بعدها.

1948م)، شعرت الحكومات العربية أن هناك ضغوطاً دولية لعقد هدنة دائمة بين العرب والصهاينة، وفي ضوء ذلك قررت حكومة مزاحم الباجبي دعوة اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية إلى الاجتماع في بيروت في منتصف تموز (1948م)، لبحث موضوع الهدنة⁽²⁾.

كما شارك بعض المتطوعين العراقيين في هذه المرحلة في معركة كفر قرع، حيث نظم أربعة ضباط منهم وضابطان سوريان آخران المعركة التي خاضها أبناء تلك القرية يوم الثامن من أيار وصدوا فيها هجوماً مركزاً لقوات الهاجاناه أرادت من خلاله الاستيلاء على كفر قرع وممر وادي عارة الإستراتيجي المهم. كما وتكبدت قوات المتطوعين العراقيين خسائر كبيرة في الأرواح (17 شهيداً، في هجوم جيش الإنقاذ الفاشل على مستوطنة مشمار هعيمق وأعمال قتالية أخرى في هذا القطاع.

3 - مشاركة الجيش العراقي في معارك سنتي (1947-1948م)، واستبساله في الدفاع عن المدن والبلدات والقرى الفلسطينية التي كان يقاتل فيها، فقد دخلت وحدات من الجيش العراقي النظامي فلسطين في الخامس عشر من أيار (1948م)

عن طريق جسر المجامع واشتباكها مباشرة مع القوات اليهودية في كوكب الهوا وجيشر، حيث استشهد في هاتين المعركتين (40) جندياً عراقياً، ومن ثم

ثلاثة من الضباط الكبار: طه الهاشمي، وإسماعيل صفوت، ونور الدين محمود، في اللجنة العسكرية للجامعة العربية، التي كانت تشرف على مهام جيش الإنقاذ، ففي المرحلة الأولى من الحرب (قبل دخول الجيوش النظامية) شارك قرابة (800) متطوع عراقي في قوات المتطوعين العرب، في حين بلغ عدد جنود الجيش العراقي عشرة آلاف جندي. وعلى الرغم من كل الظروف التي رافقت الجيش العراقي، إلا أنه كان فاعلاً وساهم في حماية مناطق عربية واسعة وحال دون تهجير أهلها. في المرحلة الأولى شارك المتطوعون العراقيون بقيادة المقدم علي غالب عزيز في معركة رأس العين الأولى (الثامن من آذار 1948) حيث منعوا تسليم منطقة العيون ومنشآت المياه فيها من الشرطة البريطانية لقوات (الهاجاناه)، كما هو شأنهم غالباً في تسليم منشآت حيوية لليهود. وقد سقط في هذه المعركة شهيد واحد من الجيش العراقي وأصيب جندي آخر⁽¹⁾.

وأخذت القضية الفلسطينية دوراً خطيراً وتفاقم أمرها بعد إعلان الصهاينة ما يسمى بـ (دولة إسرائيل) على أرض فلسطين في (14 أيار 1948م)، فضلاً عن اندلاع الحرب العربية - الصهيونية في (11 حزيران 1948م). وأصدر مجلس الأمن قراراً ألزم بموجبه الدول العربية بقبول الهدنة وإيقاف القتال في فلسطين، وعندما استؤنف القتال في (حزيران

(1) المصدر نفسه.

(2) ينظر: مجلس الأعيان العراقي (1925-1958م) وموقفه من القضية الفلسطينية، الحلقة الثانية: [/https://rasammerkezi.com/estimate-position/8623](https://rasammerkezi.com/estimate-position/8623)

العراقي اليهود دروساً قاسية في معارك (جنين) وسواها. ولو كان أمر الجيش العراقي بيده، لقدّم لفلسطين أضعاف ما قدّم⁽¹⁾. وفي هذا الصدد يقول الباحث الفلسطيني الدكتور (مصطفى كبها) بعد إirاده أعداد الشهداء العراقيين في فلسطين: "إن هذه الأرقام تثبت بما لا يقبل مجال للشك بطلان مقولة (ماكو أوامر) في كل ما يتعلق بالمشاركة العراقية في الحرب وتأثيرهم المباشر على سيرها في مناطق التماس التي تواجدوا فيها. ولا تقتصر منجزاتهم على هذا العدد من الشهداء فحسب بل يمكن الادعاء أن تواجدهم في الوقت المناسب منع تهجير عشرات القرى في مناطق: وادي عارة، وشمالى قضاء جنين، بل ومدن: جنين وقلقيلية وطولكرم؛ إذ يفيد شهود عيان جمعنا شهاداتهم في مقيبلة وعارة وصندلة وباقة الغربية والطيرة وأم الفحم؛ بأنه لولا تدخل الجيش العراقي وصدّه للهجمات الصهيونية لما كان باستطاعة سكان هذه القرى الصمود في أراضيهم".

ويزيد قائلاً: "بل إن هذه الشهادات تؤكد أيضاً حسن معاملة الضباط والجنود العراقيين للسكان لدرجة أنه في بعض المناطق التي كانت تعاني الشح الشديد بالأغذية، كان الجنود العراقيون يتقاسمون مع السكان الأغذية والمؤن التي كانت تصلهم من العراق وشرقي الأردن. ولعل الاحتفال الوداعي المهيّب الذي نظمته سكان باقة الغربية لوداع الضباط

تقدم باتجاه (مرج ابن عامر) وقضاءي جنين وطولكرم، ومن ثم لواء (اللد) الذي يضم قضاءي يافا والرملة.

وفي أثناء انتشاره في هذه الجبهة التي زاد طولها عن (110) كم، خاض معركة الطيرة - رامات هكوفيش- في الرابع والعشرين من أيار (1948م) والتي سقط فيها (12) شهيداً عراقياً ثم معركة (رأس العين) الثانية في (30/ 5/ 1948م)، والتي فقد فيها شهيدان ومعركة جنين والمزار في الفترة الواقعة بين (2-4 حزيران) والتي فقد فيها العراقيون (65) شهيداً وفي معركة قاقون (قضاء طولكرم) التي وقعت في الخامس من حزيران، وفقد فيها الجيش العراقي (45) شهيداً. فضلاً عن اشتباكات متفرقة شارك فيها الجيش في مناطق: مجدل يابا (4) شهداء، وقلقيلية (4) شهداء، وطولكرم (8) شهداء، وكفر قاسم (9) شهداء، وباقة الغربية (شهيد واحد) وعارة (شهيد واحد). وفقدت القوة الجوية العراقية خمسة طيارين تم إسقاط طائراتهم ومنهم قائد سرب برتبة عقيد. وبذلك يكون مجموع ما فقدته القوات العراقية وقوات المتطوعين العراقيين في فلسطين (131) شهيداً، هذا عوضاً، فضلاً عن مئات الجرحى.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب -رحمه الله- عن مشاركة الجيش العراق وقتها، وقد كان من الضباط المساهمين فيها، ولا سيما معارك جنين: "في حرب فلسطين عام (1948م)... لقن الجيش

(1) اللواء الركن محمود شيت خطاب، المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه، عبد الله بن محمود الطنطاوي: 119.

الآلي مساءً إلى منطقة آمنة للإسراع في إعادة تنظيمه، وتجميع فوجي خارج القلعة وجعله احتياطاً بمثابة قوة ضاربة لأي طارئ. ثم أعقب ذلك زيارة الأمير عبد الإله لقاطعنا في جنين⁽²⁾.

4 - تشكيل الجمعيات واللجان العراقية الداعمة للقضية الفلسطينية على المستويين الإعلامي والتعبوي، والمادي، ومن أبرزها (جمعية إنقاذ فلسطين) التي أسسها الشيخ العلامة (أمجد الزهاوي) وعدد من العلماء والضباط والمثقفين عام (1947م)، وقامت بإرسال فوجين وسرية مغاوير من المتطوعين إلى فلسطين

مع كامل تجهيزاتها العسكرية، وكانت لها جهود كبيرة بالتعريف بالقضية الفلسطينية وبيان حقيقة ما جرى في معارك الدفاع عنها⁽³⁾. ومن الجمعيات واللجان الأخرى المشكلة لهذا الغرض في هذه المرحلة: لجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين عام (1946م)، وجمعية الدفاع عن فلسطين عام (1946م)، وغيرها.

5 - استضافة عدد من الشخصيات الفلسطينية المهمة بعد حصول النكبة، وتوفير المأوى لها وفسح المجال لها للعمل في العراق، ومن أبرزهم: الشيخ محمد نمر الخطيب مفتي (حيفا) الذي استقر في العراق في أوئل الخمسينيات⁽⁴⁾.

6 - توفير الظروف المعيشية المناسبة

والجنود العراقيين الذين رابطوا هناك حتى اتفاقيات الهدنة وتسليم المثلث لإسرائيل وهو الإثبات الدامغ على ما ربط الفلسطينيين وجنود الجيش العراقي الذين دافعوا عنهم من وشائج المودة والمحبة والتقدير⁽¹⁾.

وقد بقي الدعم الرسمي للجيش العراقي وهو في خطوط المواجهة مستمرًا، ومن شواهد ذلك ما ذكره العميد (صبيح ناظم توفيق) ناقلًا عن المقدم الركن (عمر علي بيرقدار) القائد العراقي لمعركة جنين -رحمه الله-: إنه "لم يكن على دراية بمدى اهتمام قادة العراق السياسيين بما حصل في جنين، حتى حلّ ظهر يوم الرابع من حزيران/ يونيو (1948م) حين فاجأنا اللواء عبد الوهاب عبد اللطيف بوجوده وسط القلعة، مبعوثًا شخصيًا من الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله بن علي، للاطمئنان على ما حصل، وإبلاغنا تهنئة سموه على هذا النصر الناجز".

ويزيد قائلًا: "بُعِدَ عودته زارنا العقيد الركن غازي محمد فاضل الداعستاني (ضابط الركن الأقدم للقيادة العراقية) يصاحبه العقيد الركن صالح زكي توفيق (أمر جفيل اللواء الجبلي/4)، وتقرر: تسليم مسؤولية قلعة جنين لإحدى سرايا الفوج/2 اللواء الجبلي/4 بقيادة الرئيس أول (الرائد) حسيب علي توفيق، وإعادة المقدم الركن نوح الجبلي لفوجه

(1) اللواء الركن محمود شيت خطاب، المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه، عبد الله بن محمود الطنطاوي: 119.

(2) الجيش العراقي ومساهمته في حرب 1948 بين الحقيقة التاريخية والرواية الشعبية المشوهة، موقع عرب 48:

<https://cutt.us/UP04A>

(3) في الذكرى الثالثة والسبعين لحرب فلسطين 1948، معركة جنين على لسان قائدها (عمر علي بيرقدار)، صبيح ناظم توفيق:

<https://cutt.us/R8yBa>

(4) ينظر: 15 أيار 1948 كارتة فلسطين: المقدمة، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: 104.

تموز)، التي قادها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، ودخل العراق بواسطتها في مرحلة أول حكم جمهوري، وتم تعيين الزعيم (العميد الركن) عبد الكريم قاسم قائداً عاماً للقوات المسلحة، وتعيين (العقيد الركن) عبد السلام عارف، نائباً للقائد العام، وبعدها أعلن عن مجلس للسيادة برئاسة الرئيس الفريق محمد نجيب⁽³⁾.

وقد أدت مجموعة عوامل إلى قيام هذه الثورة، هي:

1. قيام رئيس الوزراء نوري السعيد والوصي على العرش الأمير عبد الإله بإعدام قادة حركة نيسان-مايس (1941م)، بالرغم من أنهم حافظوا على النظام الملكي واحترموه بتعيين الشريف شرف وصياً على العرش، ولم يمسوا العائلة المالكة بسوء بل نقلوها إلى الشمال حفاظاً على حياة الملك الطفل فيصل الثاني خلال الحرب العراقية-البريطانية عندما بدأ الغزو البريطاني في شهر مايس والذي أطاح بالحركة وأعاد نوري السعيد والأمير عبد الإله إلى السلطة. وبدلاً من كسب القوى الشعبية، فقد ألقى بالسجون جميع من كان على علاقة بالتحركات المناهضة للبريطانيين المتعاونين مع الحركة الصهيونية في التهيئة لإعلان كيان لهم في فلسطين، متهمين إياهم بالنازية والفاشية. وكان لإصرار حكومة نوري السعيد والأمير عبد

للفلسطينيين اللاجئين في العراق بقدر الاستطاعة، على الرغم من المؤاذات التي اكتنفت ذلك من حيث مستوى الخدمات المقدمة لهم في مرحلة اللجوء الأولى في عام (1948م)، والسعي لتغييرها في مرحلة لاحقة⁽¹⁾.

7 - العناية بالجانب التعليمي ورعاية الطلبة اللاجئين ومنحهم حق التعليم كما العراقيين. يقول الباحث الفلسطيني (عز الدين محمد): "منذ عام (1948م) كان اهتمام الدولة العراقية بتعليم الفلسطينيين واضحاً أسوة بالأخوة العراقيين، ولم يميز النظام العراقي بين الدارسين الفلسطينيين والعراقيين، وكانت المساعي دوماً نحو مساعدة الطلبة الفلسطينيين. وقد شملتهم كل القوانين التي تقدم للعراقي مجانية التعليم في المرحلة الابتدائية والثانوية وحتى الجامعية"⁽²⁾.

وهكذا استمرت الجهود العراقية الداعمة للقضية الفلسطينية في العهد الملكي حتى منتصف تموز (1958م)، وبداية العهد الجمهوري الأول.

المطلب الرابع

• القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الأول (1958-1963م)

مدخل

في العام (1958م)، كانت مرحلة نهاية العهد الملكي وبداية الحكم الجمهوري في العراق من خلال ما عرف بـ (ثورة 14

(1) اللاجئين الفلسطينيين في العراق، عز الدين محمد: 63.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 28-30.

(3) ينظر: العراق في عهد قاسم، أوريل دان: 52، 57، 60، وعبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام 1966، علي ناصر الوائلي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، 2005م: 88-91.

(1948م) ضد معاهدة (بورتسموث)، وانتفاضة عام (1952م)، وانتفاضة (1956)، بالقمع، فسقط الشهداء والجرحى وامتلأت السجون بالمعتقلات من قادة الأحزاب والسياسيين، مما كان له أثره في رفع شعار إسقاط النظام الملكي الذي لم يتأذى به من قبل⁽¹⁾.

القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الأول

أكدت الثورة في بداية عهدها على بضعة أمور، في المجالين العربي والدولي، من بينها الإعلان عن مساندة قضايا النضال العربي، ومن بينها القضية الفلسطينية⁽²⁾؛

ولكن كانت بداية هذا الدعم غير مدروسة ومرتبلة، فقد دعا عبد الكريم قاسم في شهر (كانون الأول/ ديسمبر 1959م)، إلى إنشاء (جمهورية فلسطين العربية)، في المنطقة الأردنية من فلسطين والصفه، وأعلن في (آذار/ مارس 1960م)، عن إنشاء اتحاد وطني فلسطيني، باسم (الاتحاد القومي الفلسطيني)⁽³⁾، ساعياً إلى إنشاء تنظيم فلسطيني عسكري، يضم الفلسطينيين المقيمين بالعراق وقطاع غزة ولبنان ودول الخليج، بقيادة عراقية، لتنظيم عملية التطوع، وإلحاق الضباط بالمعاهد العسكرية العراقية. ولم تزد مهمات الفوج المشكل لهذا الغرض عن التدريب في معسكر الرشيد في بغداد، والمشاركة في الاستعراضات أثناء زيارات الوفود العربية إلى العراق⁽⁴⁾، وأمكن

الاله وبدعم بريطاني على استقدام قادة الحركة من الدول التي التجأوا إليها ومحاكمتهم وإعدامهم، وتعليق جثة قائد الحركة صلاح الدين الصباغ على بوابة وزارة الدفاع؛ بعد سنوات كان لذلك أثره الكبير في إثارة المشاعر ضد نظام الحكم لدرجة تعليق جثة الأمير عبد الله بالمكان نفسه بعد (13) عامًا.

2. نشأة تنظيم الضباط الأحرار وتوسعه بعد الحرب العربية الصهيونية عام (1948م)؛ نتيجة اتهام الحكومة بعدم إصدار الأوامر للجيش العراقي لقتال الصهاينة في فلسطين، وقبولها بالهدنة رغم تحقيقه الانتصار في جنين الذي فتح الطريق إلى تل أبيب حسب تقدير الضباط العراقيين.

3. انتشار المد القومي بعد نجاح ثورة الضباط الأحرار في مصر، في (23/7/1952م)، وتأميم قناة السويس وفشل العدوان الثلاثي على مصر عام (1956م).

4. شهد العراق بعد الحرب العالمية الثانية انفتاحاً على الأحزاب الوطنية وأجيزت صحافتها، لكن حدود الحرية والديمقراطية التي منحت كانت نسبية، لأن الحرس القديم وفي مقدمتهم نوري السعيد لم يتحملوا سلوك الجيل الجديد من السياسيين الشباب في مجابتههم والتصدي لسياساتهم، فواجهوا وثبة الشعب وقواه الوطنية في كانون الثاني

() ينظر: لماذا سقط النظام الملكي في العراق، محمد مظفر الأدهمي، صحيفة الزمان، 13/7/2021م؛ <https://www.azzaman.com/لماذا-سقط-النظام-الملك-في-العراق/>

() تاريخ العراق المعاصر، جامعة الموصل، كلية التربية، جعفر عباس حميدي، وإبراهيم خليل أحمد: 201.

() ينظر: منظمة التحرير الفلسطينية: الأحزاب والفصائل الفلسطينية، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، إيهاب فروانة: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321

() ينظر: منظمة التحرير الفلسطينية: الأحزاب والفصائل الفلسطينية: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321، واللاجئون الفلسطينيون في العراق: 51-53.

والقضية الفلسطينية عامة⁽³⁾.
4 - عقد المؤتمرات واللقاءات لمساندة القضية الفلسطينية، والتعريف بها، والدفاع عن القدس والمسجد الأقصى، ومن أبرزها المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في بغداد في المدة (29/ أيار-4/ حزيران 1962م)، وترأسه المفتي محمد أمين الحسيني، وحضره عدد كبير من العلماء من العراق وخارجه⁽⁴⁾.
5- واصلت القوى السياسية والمجتمعية وفي مقدمتها العلماء جهودها لدعم القضية الفلسطينية، على الرغم من الظروف الصعبة التي ألمت بالعمل السياسي عامة والإسلامي منه خاصة وقتها، واضطر بعض مساندي قضية فلسطين الكبار في العراق كالشيخ أمجد الزهاوي إلى مغادرة العراق، ولكنه استمر في جهوده بالتعريف بالقضية الفلسطينية والمشاركة في المؤتمرات والملتقيات التي تعقد من أجلها⁽⁵⁾.

المطلب الخامس

• القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الثاني (1963-1968م) مدخل

في يوم (8 شباط 1963م)، قامت ثورة جديدة على إثر حالة الفوضى في الحكم التي تسببت بها سيطرة التوجهات الشيوعية على الشارع العراقي، وقيامها بتصفية خصومها وارتكابها مجازر عدة

للاستفادة لاحقاً من خبرات ضباط الفوج بعد إعلان مؤتمر القمة العربية الأول في القاهرة عام (1964م) عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني، وشارك بعض ضباط الفوج في معارك خان يونس بقطاع غزة عام (1967م)⁽¹⁾.

أما ما بذل من جهود جادة وحقيقية في هذا العهد؛ لنصرة القضية الفلسطينية في مختلف جوانبها؛ فيمكن إبرازها فيما يأتي:

1 - تقديم الحكومة مساعدات مخصصات مالية للاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في العراق، فضلاً عن الدراسة في المدارس والجامعات ودور المعلمين والمدارس المهنية، والمشاركة في البعثات على نفقة وزارة المعارف.

2 - سعي الحكومة لتوفير السكن اللائق للاجئين الفلسطينيين في العراق، وتصحيح الأوضاع غير المناسبة التي كانت موجودة في العهد الملكي، حيث قامت وزارة الشؤون الاجتماعية -مثلاً- بتشيد مائة وأربعين داراً للاجئين الفلسطينيين في العراق في مدينة السلام، ووزعتها عليهم، وعمدت إلى تأجير دور عصرية للباقيين منهم، وتولت دفع مخصصات شهرية لهم⁽²⁾.

3 - تبرع الشعب العراقي بمساعدات مالية مختلفة لجيش التحرير الفلسطيني،

(1) ينظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 53.

(2) ينظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 28-30.

(3) موقف ثورة 14 تموز من حركات التحرر العربية، نصير محمود الجبوري، ملحق جريدة المدى العراقية، 14/07/2013م: <https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=8005>

(4) ينظر: الحاج محمد أمين الحسيني، دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921-1937م)، د. تيسير جبارة: 188.

(5) ينظر: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري: 620-621.

ومن معالم الدعم البارزة في هذا العهد:
1 - فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في بغداد بعد تأسيسها عام (1964م)، وكان أول مدير له هو السيد (داود عودة)، وتشكيل كتيبة عسكرية من الفلسطينيين المقيمين في العراق والشتات، وهي الكتيبة (421) التي سميت قوات القادسية⁽³⁾.

2 - دعم مراكز التعبئة والتجنيد، التي فتحت في: قطاع غزة والعراق وسورية، واستقبلت المتطوعين من أبناء الشعب الفلسطيني؛ للتدريب على حمل السلاح، والانضمام إلى صفوف جيش التحرير. وبدأ اللواء وجيه المدني (قائد جيش التحرير الفلسطيني) في (15/9/1964م)، جولة في الدول العربية؛ لتفقد مراكز التدريب ووصل إلى بغداد على رأس وفد عسكري⁽⁴⁾.

3 - تدريب ضباط وأفراد جيش التحرير الفلسطيني، فقد أعلن قائد الجيش العراقي، الفريق الركن عبد الرحمن عارف، في (12/2/1965م)، عن قبول (60) ضابطاً فلسطينياً في دورة تدريب خاصة، تستمر لمدة ستة أشهر⁽⁵⁾.

4 - المشاركة في حرب حزيران عام (1967م)، التي بادر العراق للمشاركة فيها؛ ولكنها كانت خاطفة وسريعة، بحيث استطاع الكيان الصهيوني أن يثبت أركان دولته في المنطقة بعد هذه الحرب؛ بسبب الضعف العربي والاستهانة

بحق المواطنين. وقد أكد البيان الأول للثورة أنها قامت من أجل مواصلة مسيرة (ثورة 14 تموز) وبخاصة في إنجاز هدفين رئيسيين، هما: تحقيق وحدة الشعب الوطنية، وتحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإدارته. وقد صدر بيان بحل مجلس السيادة، وتأليف المجلس الوطني لقيادة الثورة، من اثني عشر عضواً، ثم أصبحوا عشرين بعد ذلك، وتخويله ممارسة السلطة العليا للجمهورية، وقد تقرر انتخاب (عبد السلام عارف) رئيساً للجمهورية، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة اللواء أحمد حسن البكر⁽¹⁾.

ثم عرفت حكومة الانقلاب صراعاً بين جناحين داخلها من حزب البعث: معتدل، ومتشدد؛ فقام عبد السلام عارف وهو قومي التوجه، بإبعاد البعثيين المتشددين، وعين في (18/11/1963م)، أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين المعتدلين نائباً لرئيس الجمهورية؛ ولكن لم يخف التوتر بينهما. وتوفي عبد السلام عارف في حادث طائرة (هليكوبتر) في البصرة سنة (1966م)، وتولى بعده أخوه عبد الرحمن عارف الحكم في العراق⁽²⁾.

القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الثاني

في أعقاب ثورة عام (1963م) بقي الدعم العراقي للقضية الفلسطينية، مستمراً؛ بل شهد استقراراً وتطوراً بعد الأحداث العاصفة في العهد الماضي،

(1) ينظر: تاريخ العراق المعاصر، جعفر عباس حميدي وإبراهيم خليل أحمد: 222.

(2) ينظر: عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام 1966: 106-107، 130.

(3) ينظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق، عز الدين محمد: 60.

(4) ينظر: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، وجيه المدني (1999-1921): <http://passia.org/personalities/7>

(5) ينظر: منظمة التحرير الفلسطينية: الأحزاب والفصائل الفلسطينية: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321

حيث استلام الراتب والعلاوات السنوية ومخصصات غلاء المعيشة والإجازات والراتب التقاعدي، بحسب قرار صدر سنة (1964م) عن وزارة المالية⁽⁵⁾.

7 - استقبال موجة جديدة من اللاجئين الفلسطينيين بعد هزيمة (1967م)، واحتلال منطقتي: قطاع غزة والضفة الغربية، وتقديم الدعم والرعاية لهم ومعاملتهم معاملة خاصة، وتوفير فرص العمل لهم، ولا سيما أن العراق كان يعاملهم في موضوع الوظائف معاملة الأجانب، فكانوا يأخذون ضعف راتب المواطن العراقي، وهو أمر شجع كثيراً من اللاجئين الفلسطينيين على الانتقال إلى العراق وقتها⁽⁶⁾.

8 - العناية الخاصة بشريحة الطلبة الفلسطينيين بعد عام (1967م)، وتوفير السبل المناسبة لهم للدراسة في العراق. يقول أحد الباحثين الفلسطينيين في هذا الشأن: " كان يعامل الطلبة الفلسطينيين عند دخول الجامعات معاملة خاصة بعد عدوان (1967م)، حيث كان متاح لهم دخول الكليات والجامعات والمعاهد العراقية وبمعدل مئات الطلبة سنوياً. وصدرت تعليمات بمساواة الدخول للجامعات ارتباطاً بالمعدل بالنسبة للفلسطينيين المقيمين والدارسين في الثانويات العراقية، الذين كانوا يعاملون معاملة طلبة العراق"⁽⁷⁾.

بالقدرات العسكرية الصهيونية⁽¹⁾. وقد وضعت هزيمة حزيران الدول العربية أمام تحد كبير وشكلت منعطفاً خطيراً في القضية الفلسطينية، بسبب الخلافات السياسية التي تلتها واستنزفت القدرات والجهود العسكرية لمواجهة العدو، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني⁽²⁾. وقد قررت القيادة العراقية سحب القوات البرية والجوية العراقية التي تقاتل في الجبهتين الشمالية والغربية فور إعلان الحكومة المصرية موافقتها على وقف إطلاق النار وقبولها قرار مجلس الأمن المرقم (338) المستند على القرار (242) لسنة (1967م)، وذلك لأنها أرسلت الجيش ليشترك في المعركة في الجبهتين الشمالية والغربية، فضلاً عن رفضها لقرار وقف إطلاق النار وقراري مجلس الأمن السابقين، وبما يضع هذه القوات في موقف دقيق ومحفوف بالمخاطر⁽³⁾.

5 - السماح بفتح مكاتب للفصائل الفلسطينية في بغداد، وهي: حركة فتح، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجبهة التحرير العربية، والجبهة الديمقراطية، والجبهة الشعبية - القيادة العامة - وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وجبهة التحرير الفلسطينية (أبو العباس)، وغيرها⁽⁴⁾.

6 - منح اللاجئين الفلسطينيين حقوق العمل نفسها التي تمنح للعراقيين، من

(1) ينظر: الجيش العراقي ودوره في حرب حزيران/يونيو 1967م، حاتم الفلاح، مركز الراصد للدراسات الاستراتيجية: <https://rasammerkezi.com/featured/8415>

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: جيش المهمات الصعبة دور الجيش العراقي في حرب 1973م، وزارة الدفاع في الجمهورية العراقية: 255.

(4) ينظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 60.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 65.

(6) ينظر: الفلسطينيون في العراق، عصام سخيني، مجلة شؤون فلسطينية العدد 13، أيلول 1972م: 90.

(7) اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 63.

المطلب السادس

• القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الثالث (1968-2003م)

مُدخل

قام حزب البعث بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب أسقط بواسطته نظام الرئيس عبد الرحمن عارف في (17/7/1968م)، وفي يوم الثلاثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث من تعاونوا معه في الانقلاب، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للجيش، وأصبح صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ومسؤولاً عن الأمن الداخلي. وفي حزيران (1979م) أصبح صدام حسين رئيساً للجمهورية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه⁽¹⁾.

القضية الفلسطينية في العهد الجمهوري الثالث

بقيت القضية الفلسطينية محط اهتمام وعناية النظام السياسي في هذا العهد، الذي امتد زمنياً أكثر من العهود السابقة؛ حيث استمر قرابة (35) عاماً، فضلاً عن الدعم والتعاطف الشعبي، ومن شواهد دعم القضية الفلسطينية في هذا العهد:

1 - تدريب المقاتلين الفلسطينيين في بغداد؛ فقد تخرجت من العراق ثلاث دورات

عسكرية، في السنتين (1968-1969م) ضمت نحو (300) متخرباً، انضموا جميعهم إلى (جبهة التحرير العربية) المدعومة من العراق، وتوجهوا إلى قواعدهم في الأردن عام (1969م). وقد اتخذت جبهة التحرير في بغداد مقرّاً رئيسياً لها، واستخدمت معسكرات الجيش العراقي لتدريب مقاتليها، فضلاً عن معسكراتها الخاصة في الأردن وقتها⁽²⁾.

2 - المشاركة في حرب (تشرين/ أكتوبر 1973م)، التي لم يكن العراق على دراية بتوقيت نشوبها؛ لأن الحكومتين السورية والمصرية لم تبلغاه بذلك، ومع ذلك ففور إعلان الحرب قرر العراق المشاركة فيها، وقام بعدة خطوات مهمة في هذا السبيل، وهي:

- تأمين حصة أمريكا في نفط البصرة.
- إرسال قوات جوية على عجل إلى الجبهة الجنوبية.
- إرسال أكبر عدد ممكن من القوات البرية إلى الجبهة الشمالية⁽³⁾.

وقد كانت مشاركة الجيش العراقي في الحرب مهمة وأدى مهام قتالية كبيرة ولا سيما على الجبهة السورية. واستطاع وقف زحف القوات الصهيونية تجاه دمشق، فيما أبلى الطيارون العراقيون بلاء حسناً في معارك الجبهة المصرية بشهادة الكثيرين⁽⁴⁾.

(1) أحمد حسن البكر، السيرة السياسية ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث ١٩١٤-١٩٨٣، شامل عبد القادر: 427. وينظر كذلك: الموسوعة السياسية العراقية، حسن لطيف الزبيدي: 51-52.

(2) ينظر: منظمة التحرير الفلسطينية، الأحزاب والفصائل الفلسطينية: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321

(3) ينظر: جيش المهمات الصعبة دور الجيش العراقي في حرب 1973: 9-10، ودور الجيش العراقي في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، حاتم الفلاح، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، الحلقة الأولى، 11/6/2021م: <https://rasammerkezi.com/studies-and-research/8577>

(4) ينظر: جيش المهمات الصعبة دور الجيش العراقي في حرب 1973: 9-10، ودور الجيش العراقي في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، حاتم الفلاح، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، الحلقة الثانية، 9/7/2021م: <https://rasammerkezi.com/featured/8740>

والثقافية والاجتماعية والرياضية، لتكون سوياً للعمل الشعبي الفلسطيني، ومنها: اتحاد طلبة فلسطين، واتحاد العمال الفلسطينيين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وغيرها، فضلاً عن نادي حيفا الرياضي، ومستوصف الهلال الأحمر الفلسطيني، ومعسكرات الكشافة والأشبال والمرشدات، وغيرها⁽²⁾.

6 - استقبال وجبة جديدة من اللاجئين الفلسطينيين في العراق بعد الاجتياح الصهيوني للبنان سنة (1982م) وخروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت.

7 - دعم عائلات شهداء الانتفاضة الفلسطينية؛ حيث كان العراق يقدم هدية مادية وكفالة لعائلات شهداء الانتفاضة في الثمانينيات قدرها (25) ألف دولار لكل عائلة شهيد، زادت فيما بعد إلى (50) ألف دولار⁽³⁾.

8 - تأسيس المراكز والمؤسسات الداعمة لقضية فلسطين، ومن أبرزها: مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد، ومجلته العلمية، فضلاً عن الاهتمام الكبير بالدراسات والمؤلفات المعنية بتفاصيل القضية، والتي كانت سياقاً مهماً ومعتنياً به كثيراً في مختلف الجامعات العراقية، ومراكز البحوث والدراسات.

9 - منح اللاجئين الفلسطينيين حق التعليم بكل تفصيلاته أسوة

3 - مواصلة تقديم الدعم السياسي للثورة الفلسطينية بكل الوسائل الممكنة، ومن ذلك مساعدة المؤسسات الفلسطينية في التحرك دولياً ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية، ومساندة جهودها عربياً ودولياً، والوقوف مع القضية الفلسطينية في الصعوبات التي مرت بها، ومنها على سبيل المثال: الأحداث الخطيرة أثناء الحرب الأهلية اللبنانية في السبعينيات، ومن ثم تبني عقد قمة بغداد للدول العربية بعد اتفاقية كامب ديفيد، ودعم المقاومة الفلسطينية أثناء اجتياح لبنان من قبل الكيان الصهيوني عام (1982م)، وتعزيز جهود إعادة تشكيل المؤسسات الفلسطينية بعد الخروج من لبنان والاستقرار في تونس.

4 - استضافة اللقاءات والفعاليات الفلسطينية في العراق، ودعم نشاطاتها خارجة، ومن ذلك استضافة أعمال اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ببغداد في نهاية نيسان (1986م) برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح (رئيس المجلس الوطني الفلسطيني) وحضور الرئيس ياسر عرفات (رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية). وقد أشاد المجلس بالدعم الكبير الذي يقدمه العراق لمنظمة التحرير⁽¹⁾.

5- السماح بتأسيس الأندية والمؤسسات والاتحادات الفلسطينية الطلابية

(1) ينظر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: (قرارات المجلس المركزي الفلسطيني)، الدورة الثانية:

https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9319

(2) ينظر: اللاجئين الفلسطينيون في العراق: 58-55.

(3) ينظر: الغزو الأمريكي للعراق حقائق وأرقام، سؤدد فؤاد التلوسي: 26-27.

انطلاقها وتبنيها الخيار المسلح ضد العدو الصهيوني.

• الخاتمة وأهم النتائج

- كان من أهم نتائج ثورة العشرين في العراق عام (1920م) اضطراب الاحتلال البريطاني إلى إنهاء الحكم العسكري المباشر في العراق في تشرين الأول (1920م)، والإعلان عن تأسيس حكم وطني، واختيار الأمير (فيصل بن الحسين) ملكاً على العراق، وتوج يوم (1921/8/23م).

- انتهى الحكم العثماني لفلسطين مع الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية، تمزيقاً أقرته معاهدة سيفر عام (1920م)، ومعاهدة لوزان عام (1923م)، وكانت سياسة حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين متأثرة منذ البداية بالوعد الذي قطعه بريطانيا على نفسها لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين. - قدمت بريطانيا للعرب تأكيدات عديدة بأن حكماً ذاتياً سوف يقيم في فلسطين؛ ولكن العرب الذين خابت آمالهم، وانزعجوا للهجرات اليهودية الحاشدة التي وصلت في عام (1939م) إلى أربعمائة ألف شخص، وخاضوا نضالاً طويلاً ضد سياسات الانتداب والاستيطان الصهيوني، وقاموا بثورات عدة في السنوات: (1928، 1929، 1933، 1936، 1939م).

- واصل الصهاينة جهودهم بنجاح، فدعموا

بالعراقيين، واستضافة الكثير من الطلبة الفلسطينيين للدراسة في الجامعات العراقية مجاناً، وتوفير سبل الدعم المناسبة لهم؛ إذ تخرجت أعداد كبيرة منهم في مختلف الجامعات والتخصصات، وسمح لهم بفتح فروع لاتحاد طلبة فلسطين في عدد من المحافظات العراقية⁽¹⁾.

10 - منح المرأة الفلسطينية إجازة حق الأمومة أسوة بالمرأة العراقية، فضلاً عن حق التوظيف والتقاعد، وفقاً لقرار صدر سنة (1969م)، وتطوير قرارات حق العمل للفلسطينيين نحو مساواة تامة بالموظفين العراقيين: تعييناً وترقية وتقاعداً⁽²⁾.

11 - معاملة الفلسطينيين المقيم في العراق معاملة العراقي في جميع الحقوق والواجبات عدا الحصول على الجنسية، وفقاً لقرار صدر سنة (2001م)⁽³⁾.

وقد استمر الدعم العراقي للقضية الفلسطينية على الرغم من الحصار الدولي الذي فرض على العراق بعد غزو الكويت سنة (1990م)⁽⁴⁾، وحتى مرحلة العام (2003م)، التي شهدت الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله، وبداية مرحلة مأساوية في البلاد ما زالت مستمرة.

ولم يقتصر هذا الدعم على منظمة التحرير الفلسطينية أو التنظيمات الفلسطينية القريبة من العراق فقط؛ وإنما شمل أيضاً جهات ومؤسسات أخرى، منها: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد

(1) ينظر: اللاجئون الفلسطينيون في العراق: 57، 65.

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (202) لسنة 2001م.

(4) ينظر في أوضاع الفلسطينيين في العراق أثناء مرحلة الحصار: اللاجئون الفلسطينيون في العراق، معطيات أساسية، نبيل محمود السهلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 49، شتاء 2002م: 12-13.

العراق، وتوفير فرص الدراسة لهم في المدارس والجامعات ودور المعلمين والمدارس المهنية والبعثات على حساب وزارة المعارف، وتقديم المساعدات المالية لجيش التحرير الفلسطيني.

- في (8/2/1963م)، قامت ثورة جديدة في العراق، وبقي الدعم العراقي للقضية الفلسطينية متواصلًا خلال عهدها، عبر: دعم مراكز التعبئة والتجنيد في قطاع غزة والعراق، واستقبال المتطوعين من أبناء الشعب الفلسطيني، وتدريب ضباط وأفراد جيش التحرير الفلسطيني، والمشاركة في حرب حزيران عام (1967م)، وأمور أخرى عديدة متعلقة بتوفير ظروف الحياة المناسبة للاجئين الفلسطينيين في العراق.

- في أثناء العهد الجمهوري الأخير (1968-2003م)، بقيت حالة الدعم العراقي للقضية الفلسطينية مستمرة، وجرى فيها: تدريب المقاتلين الفلسطينيين في بغداد، وتخرجت في العراق عدة دورات عسكرية، وشارك الجيش العراقي في حرب (تشرين/أكتوبر 1973م)،

وتواصل تقديم الدعم السياسي والمادي للثورة الفلسطينية، واستضافة اللقاءات والفعاليات الفلسطينية في العراق، ودعم عائلات شهداء الانتفاضة الفلسطينية ماديًا وكفالة عائلاتهم، وتأسيس المراكز والمؤسسات البحثية الداعمة لقضية فلسطين، ومساواة اللاجئين الفلسطينيين بالمواطنين العراقيين في حق العمل وحق التعليم، وغيرها من

موقفهم الدولي بإنشاء الوكالة اليهودية عام (1929م).

- بحثت لجنة فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة تقرير لجنتها الخاصة التي شكلتها في عام (1947م)، والتي خرجت بخطة للتقسيم أقرتها الجمعية في التاسع والعشرين من نوفمبر (1947م)، ونصت على وجود دولتين مستقلتين إحداهما لليهود والأخرى للعرب، ومنطقة دولية تشمل نطاق القدس تحت إشراف الأمم المتحدة. وبعد أن أعلنت بريطانيا انتهاء الانتداب يوم (15/5/1948م)، وسحبت قواتها من فلسطين، بعد أن أعلن دافيد بن جوريون في اليوم السابق مولد دولة إسرائيل.

- شهدت مرحلة الثلاثينات الميلادية من القرن الماضي وخلال العهد الملكي في العراق تواصل: الجهد السياسي الحكومي للعمل من أجل منع صدور أي قرار يسعى إلى تقسيم فلسطين أو النيل من حقوقها، فضلًا عن احتضان قيادات العمل الوطني المقاوم في فلسطين في العراق، ومشاركة الجيش العراقي في معارك سنتي (1947-1948م)، واستبساله في الدفاع عن المدن والقرى الفلسطينية، وتشكيل لجان عراقية داعمة للقضية الفلسطينية على المستويين الإعلامي والتعبوي، والمادي.

- وبعد ثورة (1958م)، ودخول العراق في مرحلة أول حكم جمهوري، تواصل دعم القضية الفلسطينية، وتقديم مساعدات مادية كبيرة ومخصصات مالية للاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في

7 - الجيش العراقي ودوره في حرب حزيران- يونيو- 1967م (4-4)، حاتم الفلاح، مركز راسام.

8 - الجيش العراقي ومساهمته في حرب 1948 بين الحقيقة التاريخية والرواية الشعبية المشوهة، مصطفى كبحا، موقع عرب 48، تاريخ النشر: 2008/05/10م: <https://cutt.us/>

UP04A

9 - جيش المهمات الصعبة، دور الجيش العراقي في حرب 1973، إعداد شعبة العلم العسكري، وزارة الدفاع الجمهورية العراقية، منشورات الطليعة، تونس، 1987م.

10 - الحاج محمد أمين الحسيني، دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921-1937م)، د. تيسير جبارة، دار الفرقان، عمان، 1415هـ-1995م.

11 - الدعم العراقي للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية: 1947-1950 منظمة الأمم المتحدة أنموذجاً، بشار فتحي جاسم العكيدي، مجلة مداد الأدب، جامعة الموصل، قسم الدراسات الاستراتيجية.

12 - دور الجيش العراقي في حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، حاتم الفلاح، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، الحلقة الأولى، 11/6/2021م: <https://rasammerkezi.com/studies-and-research/8577>

والحلقة الثانية، 9/7/2021م: <https://rasammerkezi.com/featured/8740>

13 - دور الجيش العراقي في حرب

الحقوق، واستضافة الكثير من الطلبة الفلسطينيين للدراسة في الجامعات العراقية مجاناً.

- استمرار الدعم العراقي للقضية الفلسطينية على الرغم من الحصار الدولي الذي فرض على العراق بعد غزو الكويت، وامتداده حتى العام (2003م)، الذي شهد الغزو الأمريكي واحتلال العراق.

المصادر والمراجع

1 - أحمد حسن البكر، السيرة السياسية ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث 1914-1983، شامل عبد القادر، مكتبة المجلة، بيروت، ط1، 2016م.

2 - الأسرار الخفية في حركة السنة 1941 التحررية، عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1971م.

3 - تاريخ العراق المعاصر، جعفر عباس حميدي، وإبراهيم خليل أحمد، جامعة الموصل، كلية التربية، بدون معلومات.

4 - تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، وزارة الأوقاف، بغداد، 1402هـ-1982م.

5 - الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا-لبنان، ط 3، 1972م.

6 - الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939) في الوثائق العراقية، د. عباس عطية جبار، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد 34، 1987م.

20 - الغزو الأمريكي للعراق حقائق وأرقام، سؤدد فؤاد اللوسسي، دار المعتز، ط1، 2012م.

21 - الفلسطينيون في العراق، عصام سخيني، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 13، أيلول 1972م.

22 - فلسطين والحاج أمين الحسيني، زهير مارديني، دار اقرار، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.

23 - في الذكرى الثالثة والسبعين لحرب فلسطين 1948، معركة جنين على لسان قائدها (عمر علي بيرقدار)، صبحي ناظم توفيق: <https://cutt.us/R8yBa>

24 - اللاجئين الفلسطينيون في العراق، معطيات أساسية، نبيل محمود السهلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13 العدد 49، شتاء 2002م.

25 - اللواء الركن محمود شيت خطاب، المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه، عبد الله بن محمود الطنطاوي، دار القلم، دمشق-الدار الشامية، بيروت، ط1، 2001م.

26 - لماذا سقط النظام الملكي في العراق، محمد مظفر الأدهمي، صحيفة الزمان، 13/7/2021م:

<https://www.azzaman.com>
لماذا سقط النظام الملكي في-

العراق؟
27 - مجلس الأعيان العراقي (1925 - 1958م) وموقفه من القضية الفلسطينية، عدنان القطان، الحلقة الأولى مركز الرافدين للدراسات

فلسطين عام 1948، حاتم الفلاح، مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، 2021/3/21:

<https://rasammerkezi.com/studies-and-research/8209>

14 - سيرة حياة الملك فيصل الثاني 1935 - 1958، آخر ملوك العراق، طارق إبراهيم شريف، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

15 - عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام 1966، علي ناصر علوان الوائلي رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، 2005م.

16 - العراق؛ تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني، 1920-1932، د. محمد مظفر الأدهمي، مكتبة الذاكرة، بغداد، ط1، 2009م.

17 - العراق الحديث، تحليل لأحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية وغيرها، متي عقراوي، ترجمة: مجيد خدوري، الجزء الأول، مطبعة العهد، بغداد، 1936م.

18 - العراق في عهد قاسم، 1958 - 1963، أوريل دان، ترجمة: جرجيس فتح الله، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، ط1، 2012م.

19 - العلاقات العراقية-البريطانية بعد عام 2003، ستار جبار الجابري، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد العاشر. 2015، رقم الإيداع القانوني: 471.

com/view.php?cat=8005
 32 - مجلس النواب العراقي خلال
 العهد الملكي 1925-1958، تجربة نواب
 الموصل، عدنان سامي الزّري، مؤسسة
 البصائر، بغداد وإسطنبول، ط 1، 2020م.
 33 - نص معاهدة لوزان:
[https://www.lib.byu.edu/index.](https://www.lib.byu.edu/index.php/Treaty_of_Lausanne)
 34 - وكالة الأنباء والمعلومات
 الفلسطينية، (قرارات المجلس المركزي
 الفلسطيني)، الدورة الثانية دورة عادية:
[https://info.wafa.ps/ar_page.](https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9319)
[ar_page.aspx?id=9319](https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9319)
 35 - 15 أيار 1948 كارثة فلسطين،
 محمود فهمي درويش، مطبعة الرابطة،
 بغداد، 1949م.

الاستراتيجية: <https://rasammerkezi.com/estimate-position/8589>
 28 - الموسوعة السياسية العراقية،
 حسن لطيف الزبيدي، شركة العارف
 للمطبوعات، بيروت، 2013.
 29 - موجز دائرة المعارف الإسلامية،
 م.ت.هوتسما - ت.و.أرنولد - ر.باسيت -
 ر.هارتمان، مركز الشارقة للإبداع الفكري،
 ط 1، 1998م.
 30 - منظمة التحرير الفلسطينية: الأحزاب
 والفصائل الفلسطينية، وكالة الأنباء
 والمعلومات الفلسطينية (وفا)، إيهاب
 فروانة، 2009م: [https://info.wafa.ps/](https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321)
[ar_page.aspx?id=4321](https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4321)
 31 - موقف ثورة 14 تموز من حركات
 التحرر العربية، نصير محمود الجبوري، ملحق
 جريدة المدى العراقية، 14/07/2013 م:
[https://www.almadasupplements.](https://www.almadasupplements)

الدُّكْتُور
إبراهيم بن محمد بن حسن بن علي

المصطلح الفني الخط العربي

نشر بحرية ومعجزة



المصطلح الفني في الخط العربي

قراءة د. عمار عبد الكريم⁽¹⁾

والنُظم والعُرف، وهذا الذي دفع عُلَمائنا من المتقدمين والمتأخرين إلى التأليف فيها، فللسكاكي كتاب (مفتاح العلوم)، وللجرجاني (التعريفات)، وللخفوي (الكليات) وغيرهم كثير.

ومن هذا المنطلق يأتي كتاب (المصطلح الفني في الخط العربي - تاريخه ومعجمته)، للدكتور (ادهام محمد حنّش) الذي تناول فيه (المصطلح الفني للخط)؛ لأنه موضوع لم تُغنَ به الدراسات العربية والأجنبية التي اهتمت بالخط العربي، هادفاً من الدراسة بيان نشأة هذا المصطلح ورصد تطوره واستقراره، للوصول إلى إمكانية إيجاد منهج (لغوي، معرفي، تاريخي) مناسب لوضعه في معجم موسوعي يستوعب كل مفردات هذا المصطلح - اسمية وموضوعية.

ويرى المؤلف أن الوصول للمعجم التاريخي هدف صعب في الوقت الحاضر، لعدم وضوح الرؤية، واضطراب المفهوم

لقيت المصطلحات الاهتمام والعناية من كل المتخصصين في كل العلوم والفنون، حتى أصبحت كثير من البحوث والدراسات تنطلق من (تحرير المصطلحات)، وأخذت معاجم المصطلحات مساحات كبيرة في رفوف مراكز البحوث والدراسات، والمكتبات العامة والخاصة، ونالت أولوية متميزة، وصدر المئات من المعاجم؛ لما لعلم المصطلحات من علاقة وطيدة باللغة والعلوم وثقافة الأمة وتفاعلها، ولكونها مدخل العلوم، ومحدد الرؤى، وبؤصلة الأفكار، كما أن مهمتها حصر المعنى الدلالي لفكرة، أو قضية ما، وحفظها من الانفلات والضياع.

فالمصطلح لفظٌ يحمل دلالات تمّ نحتها من بنية وثقافة وقضية معينة، في زمن معين، ويحمل جينات مصدره الأول، ويكفي المصطلحات أهمية وتأثيراً أنها عناوين القضايا والاتجاهات، ودليل الأديان والطوائف، ومعالم العلم

(1) مدير التحرير.

(2) أستاذ المخطوطات والفنون الإسلامية، ومدير موسوعة المخطوط العربي في دار المخطوطات بإسطنبول، والعميد السابق لكلية الفنون والعمارة الإسلامية بجامعة العلوم الإسلامية بالأردن، صدر له أكثر من سبعة عشر كتاباً في مجالات الخط والمخطوطات والفنون الإسلامية.

(فن الخط) بأنها: (دراسة لنشأة هذا الفن الكتابي وتطوره في ضوء ما يعنى به علم جمال الخط المعرف بالكاليغرافيا (Calligraphy) الذي غالباً ما تعرّفه المعاجم المتخصصة بأنه فن الكتابة اليدوية الجميلة التي تمتاز عادة بإيقاع خطوطها ولمساتها الأسلوبية الخاصة، دون العناية بالمستويات الأخرى: التاريخية والوظيفية واللغوية وغيرها من هذه الكتابة التي غلبت عليها الدراسات التاريخية والآثارية بنشأة أشكالها وتطورها فيما صار يعرف بالباليوغرافيا (Palaeography)).

وبعد التمهيد جاءت الفصول الثلاثة الأولى التي عالج فيها نشأة المصطلح الفني للخط ورصد تطوره واستقراره من حيث الشكل والوضع والاسم.

درس في الفصل الأول (مفهوم الخط العربي ومصطلحه)، فجاء في مباحث ثلاثة، الأول أوضح فيه مفهوم (الكتابة العربية، والخط)، فالكتابة تعدّ من مقومات بنية اللغة بعد (المعنى) و(اللفظ)، ف(المعنى) جوهر اللغة وروحها المقاصدي، و(اللفظ والكتابة) هما مظهر اللغة وجسدها المادي، ثم أورد أبرز المصطلحات الكتابية شارحاً لها: (الكتاب، والهاء، والقلم، والزبر، والرقم، والسطر، والرسم والنقش والتصوير، والإملاء، والنسخ، والسفر، والتدوين، والتحرير).

وفي المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان: (المصطلح في الخط العربي) بحث فيه المصطلح الخطي من كونه مصطلح خاص (رسمي توقيفي-خط المصحف-)، أو

والموضوع في المصادر والمراجع العامة، فضلاً عن مصادِر الخط ومراجعته الخاصة.

لذا جاءت هذه الدراسة لبينة لبناء معرفي للمصطلح الفني للخط يقوم على كونه كلاً متكاملًا من الشكل والوضع والتسمية، وقد سار الباحث على منهج استقرائي نقدي، يحاول من خلاله أن يستطلع كل معلومة عن الموضوع، ليوظفها في بناء رؤية كليّة متكاملة عنه دون قسّر أو تناقض.

مستنداً في منهجه إلى مصادر متنوعة في اللغة، والتاريخ، والآثار، والفكر، والمعاجم، والموسوعات وغيرها، ونتج عن هذا التنوع الكبير في هذه المصادر مشكلة في التداخل والتعارض في المعلومات، بل التناقض وهذا كان سبباً إلى تحرير وتحديد المفهوم الشكلي للنظرية الدقيق للخط، وثمّ تحديد معالم النظرية الفلسفية في الجمال والفن.

لذا جاءت الدراسة في تمهيد وفصول ستة، تناول في التمهيد مصطلحات الدراسة بالبيان والتوضيح، معتمداً المنهج التاريخي لمفهوم (المصطلح)، مقارنة له مع المقابل اللغوي اليوناني القديم، والإنكليزي المعاصر، وكذا فعل مع مصطلح (الفن) ومرادفاته.

وبعد هذا التوضيح للمفهومين، بين معنى التركيبي لـ (المصطلح الفني) وتطوره عند المسلمين الذي كان يعرف بمصطلح (حسن الخط)، والمعروف اليوم بـ (فن الخط العربي).

وختم التمهيد بهدف دراسته لمصطلح

وكان الفصل الثالث تحت عنوان: (معرفة المصطلح الفني للخط وخصائصه)، درس في المبحث الأول تطور علم الخط والتصنيف فيه إلى اتساقه كعلم مستقل، وبين (نظرية العلوم الخطية) التي أظهرها (طاش كوبري زاده-ت968هـ) في كتابه: (مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة)، الذي عدّه الباحث: (أول مصنف العلوم العربية الإسلامية توسعاً في دراسة أهميّة الخط وطبيعته المعرفيتين، فقد أعطاه مكانة خاصّة تكاد تتصدّر (دوحات شجرة) المعرفة التي رسمها لتصنيف العلوم)، وكانت هذه النظرية نتاجها عدّ (حسن الخط) علم مستقل.

ودرس في المبحث الثاني (تاريخية المصطلح الفني للخط) نظريات الأصل التاريخي للخط العربي، وقد أرجعها إلى مصدرين رئيسين: (توقيفي، واصطلاح)، وأسهب في بيان المصدر الاصطلاحي، وأصوله.

وعرض خصائص الخط العربي في المبحث الثالث، وهي: (التقابل، والتحوّل، والتنوع، وانتقل في المبحث الرابع إلى تصنيف جديد لأنواع الخطوط العربية الحديثة والمعاصرة، وضعه المؤلف على ثلاثة أسس هي: (أجناس الخط، وأنواع الخط، وطرائق الخط- مذاهب الخطاطين وأساليبهم في الكتابة).

أما الفصل الرابع الذي جاء بعنوان: (التسمية في المصطلح الفني للخط)، الذي أتى بأربعة مباحث، درس في الأول

مصطلح (العالم-العربي-) المتعلق باللغة الذي أسماه اللغويين المتقدمين بـ(الهجاء)، ثم درس مصطلح (الكتاب) في التراث العلمي والحضاري الإسلامي وتطوره، وأنواع الكتابات، ورتب المكاتبات، وأنواع الكتب والخطوط، وتصنيفها، وبعدها درس مصطلحي (الفني، والنقدي) لعلم الخط العربي.

وتناول في المبحث الثالث عناصر المصطلح الخطي من الحروف، والصور الخطية، ولواحق الخط والزينة الخطية، معززاً هذا المبحث بالأشكال والجداول والصور لقسم من الخطوط التي أوردها. وبعد ذلك جاء الفصل الثاني (المصطلح الفني للخط العربي- النشأة والتطور-) في مباحث أربعة، عرض المؤلف في الأول تطور مصطلح حسن الخط في القرون الأربعة الأولى، والبدايات المبكرة له لتحسين الخط وإجادته، وفي الثاني تناول أهم الخصائص المعرفية لمفهوم حسن الخط من خلال (الوزن، والتناسب)، وفي المبحث الثالث تحدث عن هندسة الخط العربي، والأصل الفلسفي لكل الحروف والخطوط والأشكال، ولأن الخط العربي من مجالات الإبداع الإنساني المتميزة في الحضارة الإسلامية وضع في المبحث الرابع نظرية (المحاكاة في الخط العربي) التي تعدّ تحليلًا فلسفيًا لبنية المعرفة الجمالية المركبة من اللغة والفن، والتي تؤدي إلى جمالية الخط معززاً ذلك كله بالمخططات الذهنية والأشكال الخطية والجداول المعرفية.

المصطلح الفني للخط -الإشكاليات والمنهج-)، أوضح في المبحث الأول السبل المنهجية لعمل المعجم المصطلحات الفنية للخط، والمحاولات السابقة لذلك مراجعاً ومقوماً لها، وعرج على الأسس والمنطلقات والمبادئ التي تخص الخط العربي والتقنيات التي لابد أن تتوافر في المعجم المقترح، وفي المبحث الثاني تكلم عن الدراسات المنهجية للمصطلحات الفنية، وفي المبحث الثالث (نحو معجم تاريخي لفن الخط العربي) الذي يروم من خلاله: عمل معجم يعنى بنشأة اللفظة وتطورها الدلالي عبر دورات حياتها الثقافية والحضارية، استعرض المشاريع المعاصرة لأمثال هذا المعجم، وجهود المعجميون في هذا المضمار، وما هي معاني اللفظ والخط، وطبيعة المعجم، والمنهج المقترح لتأليفه، لذا يُعدّ هذا المبحث من أهم مباحث الكتاب.

وكان الفصل السادس الذي جاء بعنوان: (مواد مختارة من المعجم المقترحة للمصطلح الفني للخط) نموذجاً للمعجم المقترح: (المصطلح الفني للخط العربي)، متناولاً خمسة مصطلحات هي: (البجزة)، و(البديع)، و(التقليد)، و(القلم)، و(المشتق). وبه ختم الكتاب، دون خاتمة أو توصيات.

والحمد لله رب العالمين

منها: (بناء المصطلح الفني للخط)، الذي يقوم أساساً على تعيين الشكل في الخط من حيث هو المسمى، والتعبير عن خصائصه البنيوية والجمالية من حيث هو الاسم. وجاء المبحث الثاني (تسمية المصطلح الفني للخط)، عن الأسماء التي أطلقت على هذا المصطلح بوصفه مجالاً معرفياً، أو علماً من العلوم الخطية وحصر أغلب هذه السماء بالمصطلحات: (حُسْن الخط، وصناعة أو صنعة الخط، وفن الخط، والكتابة الخطية، والخطاطة)، وثم تناول المسميات أهل الخط تاريخياً، وأسماء صور الحروف، وأنواع الخطوط وتطورها تاريخياً، وفي الثالث عرج على مصادر التسمية وأصولها: اللغوية والثقافية، أما المبحث الرابع عرض وناقش (الإشكاليات التسمية والتعيين) التي كان من أبرزها: (تعدد أسماء النوع الواحد من الخط)، و(مجهولية أشكال العديد من أسماء الخط)، و(مجهولية معنى ودلالة العديد من أسماء أنواع الخط)، و(فردانية العديد من أسماء أنواع الخط)، و(التصنيف والتخريف)، و(الانشطار الدلالي للعديد من الأسماء)، و(إشكالية بعض الأسماء في مصادرها وفي دلالتها الاصطلاحية)، و(المبالغة في تسمية بعض أنواع الخط)، و(الخطأ في تسمية بعض الأشكال الخطية أنواعاً).

وكان الفصل الخامس تحت عنوان: (معجم

الأطروحة الأولى: الهوية الدينية في المجتمع العراقي المظاهر والأبعاد وسبل النهوض (دراسة في ضوء الفكر الإسلامي)

الباحثة:م. د أنوار خيرى أمين معلمة جامعية في وزارة التربية وتعمل كـتدريسية
في الكلية التربوية المفتوحة، كذلك تعمل في الجامعة الإسلامية
بمنيوستا - السنغال رئيسة قسم الاقتصاد الإسلامي.

والسياسية والاقتصادية وإعادة النظر
في طرق حلها في ضوء مبادئ هويتنا
الدينية.

جاءت الأطروحة في ثلاثة فصول:
درست في الفصل الأول: أهمية الهوية
الدينية في حل مشاكل المجتمع من فقر،
وبطالة، وفساد أخلاقي، والمعوقات
التي تواجه الهوية الدينية كالتأثيرات
والتهميش، وأهداف الهوية الدينية في
نشر ثقافة الأمن الفكري المتصدي
للإرهاب والألحاد والانتحار.

وفي الفصل الثاني تطرقت لمظاهر
هذه الهوية ، وأبعادها على الأفراد،
والمجتمعات لكونها من مظاهر العدل
والمساواة، والآثار الأخرى الاقتصادية
والأمنية وغيرها .

وبينت في الفصل الثالث من الأطروحة
سبل النهوض بالهوية الدينية في
المجتمع العراقي من خلال التسامح
والفكر الصحيح ودوره في تقوية روابط

(دراسة في ضوء الفكر الإسلامي).
ناقشت الطالبة أنوار خيرى أمين أطروحة
الدكتوراه أعلاه في كلية العلوم
الإسلامية جامعة بغداد في قسم
العقيدة والفكر الإسلامي سنة 2020
ونالت درجة الامتياز.
انطلقت الباحثة من إن فخر كل أمة هو
هويتها التي تعبر عن كيانها ووجودها،
وان هوية الشيء (ذاته)، والمقصودة من
قوله تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من
الله صبغة ونحن له عابدون)، البقرة (138)،
هو هويتنا الإسلامية.

تناولت الباحثة أهمية مظاهر الهوية
الدينية في المجتمع العراقي وأبعاد
هذه الهوية وسبل النهوض بها، لما
يتمتع به المجتمع العراقي من تعدد
وتنوع المكونات الاجتماعية، وخصت
المجتمع العراقي بذلك لما يشهده
منذ عام 2003م من أحداث تحتاج إلى
توضيح العديد من المشكلات الاجتماعية

الذي لا يقبله الإسلام. ولكون الهوية أهمية ودور في علاج مشاكل المجتمع الاجتماعية والفكرية وتنقية المجتمع من آفات الأفكار المنحرفة المتمثلة بالغلو والإلحاد والانتحار وغيرها من النتائج.

وأواصر الأخوة في البلد الواحد. وقد توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج والتوصيات، لعل أهمها يكمن في جوانب الهوية الدينية المتعددة منها جانب ثقافي وآخر سياسي واجتماعي وغيرها وكلها لا تتعارض مع هويتنا الإسلامية، وارتباطنا بها بما لا مجال للتعصب غير المحمود

الأطروحة الثانية:

(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ودوره في مواجهة الإلحاد) (دراسة تأصيلية تطبيقية).

الباحث: فلاح عبد محمد الدليمي- العراق، الجامعة العراقية/ كلية الآداب/ قسم علوم القرآن، نوقشت الأطروحة سنة 2021 ونالت درجة الامتياز مع التوصية بطبع الأطروحة.

- تحدّث في الفصل الأول بمباحثه السبعة عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم دراسة تأصيلية.
- وفي الفصل الثاني بيّن في ثلاثة مباحث معنى الإلحاد عند العلماء المتقدمين والمحدثين وعلماء الغرب، وجذور ونشأة الإلحاد في العالم الغربي والشرقي؛ لاسيّما الدول الأوروبية موضحاً أسباب انتشاره في العالم الغربي وأسباب انتقاله إلى العالم الإسلامي لاسيّما العالم العربي بدراسة تأصيلية درّس فيها الإلحاد من جذوره قبل الميلاد وإلى عصرنا الحاضر.
- في الفصل الثالث تناول فيه مقدمات

أصل الباحث في أطروحته الإعجاز العلمي ووضع ضوابط للكتابة فيه، ثمّ أصل خطر الإلحاد، وفندّ ونقض أبرز نظرياته لاسيّما نظرية التطور الداروينية، ثمّ بيّن الباحث المآخذ والتناقضات في نظرية الانفجار العظيم.

اعتمد الباحث في دراسته على الأدلة العقلية والمنطقية والحقائق القرآنية العلمية الثابتة في نقض وتفنيده حجج الإلحاد وأبرز نظرياته الزائفة. وقد تضمنت الأطروحة سبعة فصول مقسمة على

بابين: الباب الأول: تناول فيه ثلاثة فصول بالدراسة التأصيلية.

نظرية التطور (نظرية القرود) بالأدلة الشرعية والعلمية، وسجل الحفريات الذي بين كذب وزيف نظرية داروين.

• ثم بين الباحث مراحل خلق الإنسان الأول آدم وزوجه حواء "عليهما السلام" بمنظور النصوص الشرعية ثم بالأدلة العلمية ردًا علي النظرية الداروينية. ثم فصل القول في الإعجاز العلمي في مراحل خلق الجنين ودوره في مواجهة الإلحاد.

وختم أطروحته بجملة من النتائج القيّمة والتوصيات المهمة في مواجهة خطر الإلحاد، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يأتي:

1 - إنَّ الإعجاز العلمي، أو المعجزة العلمية هي أرقى وسيلة لإقناع الملحد بصدق رسالة الله، فهي وسيلة للوصول إلى معرفة الله.

2 - من النتائج المهمة التي بينها الباحث هو أنَّ كل محاولات الملاحدة من اختراع وطرح نظريات وتفسيرات بديلة عن الدين، فإنَّ محاولاتهم هذه تبقى رهن الفشل الذريع ؛ لأنها تصطدم بالتناقض مع الفطرة، لأنَّ الدين هو متجذر عبر العصور بالفطرة، وتتناقض مع العقل، والحس، والتجربة العلمية، والنص الشرعي الصحيح.

3 - أظهر الباحث بالأدلة العلمية لاسيما في مجال الآثار والحفريات كذب وزيف نظرية التطور الداروينية.

عن الإلحاد الجديد فبيّن فيها سمات الإلحاد الجديد وآثاره على الفرد والمجتمع والدولة مؤكّدًا خطره، ووسائل نشره وسبل مواجهته، ونقض وفند فيه أبرز نظرياته، ومنها: نظرية التطور والنشوء الداروينية... بدراسة وصفية تأصيلية.

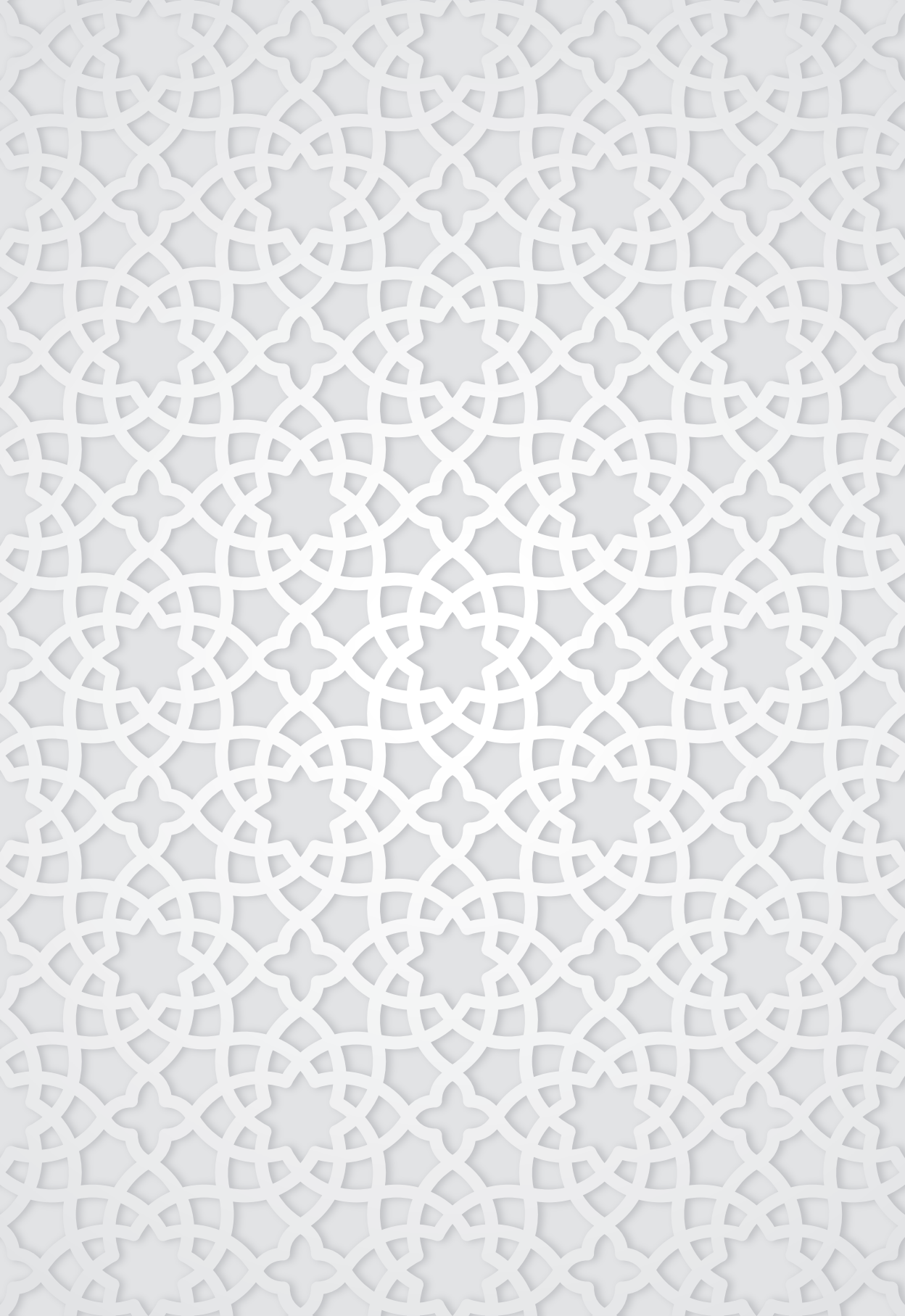
وأما (الباب الثاني) فتناول فيه الباحث أربعة فصول: تناول فيها آيات الإعجاز العلمي في خلق الكون ودورها في مواجهة الإلحاد (بالدراسة التطبيقية):

• في الفصل الأول وفي أربعة مباحث تناول أبرز النظريات السائدة والمشهورة ونقضها، وأظهر المآخذ على نظرية الانفجار العظيم في تفسير خلق الكون... ونقض بعض ما طرحته، مُقدِّمًا تصوّباتها في بعض ما بينته، فأوضح حقيقة الرتق والفتق الكبير في خلق السماوات والأرض بمنظور قرآني علمي بدلًا من نظرية الانفجار العظيم ، ثمَّ تحدّث عن توسّع الكون ، وإفناؤه ثم إعادة خلقه من جديد.

• وفي فصل ثان في أربعة مباحث تناول الإعجاز العلمي في خلق النباتات والأشجار ودوره في مواجهة الإلحاد.

• وفي فصل ثالث تحدّث عن الإعجاز العلمي في خلق الحيوان ودوره في مواجهة الإلحاد في أربعة مباحث (خلق الأنعام/ وخلق الحشرات / وخلق الطيور/ وخلق الأسماك).

• وفي فصل رابع وفي ثلاثة مباحث تحدّث فيه عن نقض النظرية الداروينية وأكذوبة



حوار العدد

مع الشيخ

سامي الساعدي الليبي

عضو الأمانة العامة لهيئة نصره نبي الإسلام ﷺ



من بين عشرات الشخصيات المرشحة لعمل حوار معها في عدد مجلة حضارة برز جلياً اسم الشيخ سامي مصطفى خليفة الساعدي الليبي، العالم العامل الذي أهّله خبرته المتراكمة من مواصلة الدرس والتطبيق في الوظائف التي تقلدها فما كان منا في مجلة حضارة إلا أن نعدّ العدّة تتبعا وتحضيراً وصياغة أسئلة تناسب المقام الذي ننشده لنستشف منه الحكمة والرؤية ونطرحها بين يدي القارئ الكريم فتكون ثمرة اللقاء نوراً نستضيء به في عتمة الطريق وإرشادات حسيمة نتتبّع من خلالها المنعطفات ونتجاوز المطبات الفكرية والتربوية في مسيرة الأمة نحو منصة انطلاقها.

شخصية العدد عمل أستاذاً في علوم اللغة العربية بكافة فروعها ومستوياتها في جامعة الدراسات كراتشي - باكستان واشتغل على مدى سبعة وعشرين عاماً بتدريس العلوم الإسلامية المختلفة في عدة بلدان، وهو باحث وكاتب في الشؤون الإسلامية.

والمفقودين بعد الثورة.

ويمكن تلخيص مهام عمله الحالي، أنه خطيب وداعية ومدرس متعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. وعضو مجلس الأمناء في هيئة علماء ليبيا. ورئيس مجلس حكماء وأعيان طرابلس المركز. ومدير مكتب التوجيه الدعوي التابع لدار الإفتاء الليبية. وأمين عام مجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء.

• نص الحوار:

السؤال الأول: ما دور الحركة العلمانية في البلدان الإسلامية، وما هي معالمها في ليبيا؟

-الواجب هو أن تكون الحركة العلمانية هي الرائدة والموجهة لمجتمعاتنا باعتبارها مجتمعات إسلامية، فأهل العلم هم أولو الأمر على الحقيقة، وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

هذا هو الواجب وأما الواقع فشيء آخر للأسف الشديد ودور العلماء والمصلحين اليوم هو ردم هذه الفجوة بين الواجب والواقع؛ وذلك بزيادة بدل الجهود الدعوية والتوعوية لمجتمعاتنا. إبعاد العلماء عن مكان التوجيه مشروع قديمًا بوسائل كثيرة منها التنكيل بالسجن والتعذيب والقتل والنفي وبالتشويه وإسقاط الهيئة وبالاستمالة وبشراء الذمم وغيرها من وسائل الترغيب والترهيب.

وهذا الكلام ينطبق على كثير من مجتمعاتنا الإسلامية للأسف الشديد وليبيا ليست خارجة عن هذا التوصيف.

• السيرة الذاتية للضيف:

الاسم: سامي مصطفى خليفة الساعدي

مكان وتاريخ الميلاد: طرابلس-1966م.
الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لأربعة أولاد.
• درس الهندسة المدنية في جامعة طرابلس

• درس العلوم الإسلامية على يد الشيخ عبد اللطيف الشويرف، واللغة العربية على يد الشيخ عبد السلام التهامي، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مصطفى قشقش.

• درس العلوم الإسلامية في الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية.

• حاصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة (وفاق المدارس) فيصل آباد - باكستان.

• عمل أستاذًا في علوم اللغة العربية بكافة فروعها ومستوياتها في جامعة الدراسات كراتشي - باكستان

• اشتغل على مدى سبعة وعشرين عامًا بتدريس العلوم الإسلامية المختلفة في بلدان عدة.

• باحث وكاتب في الشؤون الإسلامية، له عدد من المؤلفات منها:

• كتاب الجمعة آداب وأحكام (دراسة حديثة فقهية مقارنة).

• كتاب ويل الغمامة في أحكام الإمامة (في فقه السياسة الشرعية) بالإضافة إلى المقالات الفكرية والفقهية والسياسية.

• وزير سابق لرعاية أسر الشهداء

التي سحبت منه أيام المملكة، وقلده منصب المفتي العام، لكن كانت صلابته الشيخ حائلًا دون تذويبه في "خلطة" النظام، فبدأ التضييق عليه إعلاميًا حيث سدت في وجهه منابر الإعلام، ومنع من أي نشاط مؤثر، ولما رأى الشيخ أن بقاءه الصوري في منصب الإفتاء مع هذا التقييد ما هو إلا تلميع لصورة النظام، أثر الاستقالة من منصبه، لكنه بقي مرجعًا موثوقًا به لدى الناس، فاستهدفه النظام ببث السخرية والتنكيت من خلال اختراع شخصية وهمية تحمل الاسم نفسه، وذلك لإسقاط هيئته وتشويه صورته، وهناك غيره من العلماء الذين حاول النظام توظيف مكانتهم العلمية والنضالية لصالحه لكنه فشل في ذلك أيضًا، من أمثال الشيخ محمود صبحي -رحمه الله- وشيخنا الشيخ عبد اللطيف الشويرف مد الله في عمره.

وهناك من ضحى بحياته بسبب مواقفه من نظام القذافي من أمثال الشيخ محمد البشتي والشيخ المبروك غيث والشيخ علي يحيى معمر وغيرهم. وأما بعد الثورة، فقد كان من أبرز العلماء الذين اشتهروا بالعلم والعمل هو المفتي العلامة الشيخ الصادق بن عبد الرحمن بن علي الغرياني -حفظه الله تعالى-، فالشيخ سليل أسرة علم وصلاح، فوالده الشيخ عبد الرحمن كان من العلماء المبرزين، وجدته الشيخ علي الغرياني كان من العلماء المشهورين بالصلاح حتى إن العامة كانت تعظمه كثيرًا.

السؤال الثاني: أين تضع العلماء والتجمعات السائدة في ليبيا في خارطة الفعل وصناعة الرأي المطلوب؟

كما سبق فإن ليبيا ليست استثناء، مع شيء من الاختلاف، ليبيا مجتمع محافظ نسبيًا، وهناك احترام وتوقير للعلماء في الجملة، لكن كان الإعلام المعادي يعمل - سواء في عهد القذافي أو بعده - على تشويه كل من يشتهر ويكون له نوع استقلالية عن النظام القائم، سأضرب مثالًا بشخصية علمية وازنة، وهو الشيخ الطاهر الزاوي، -رحمه الله- (توفي سنة 1986م) الفقيه المجاهد المؤرخ اللغوي صاحب المؤلفات والتحقيقات العديدة مثل "جهاد الليبيين"، "جهاد الأبطال في طرابلس الغرب"، و"ولادة طرابلس الغرب منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد التركي" وتحقيق "مختصر خليل" في الفقه و"التذكار" في تاريخ طرابلس لابن غلبون، وترتيب القاموس المحيط في اللغة، وغيرها كما كان للشيخ مشاركات في معارك الجهاد، فقد شارك في معركة الهاني الشهيرة في طرابلس ضد الاحتلال الإيطالي.

وكان في فترات دراسته في مصر بالأزهر مشاركًا بقلمه متناولًا الشأن العام في ليبيا وغيرها، وكان أحد مؤسسي اللجنة الطرابلسية وأحد أهم الشخصيات العلمية والسياسية فيها.

ولذلك حاول نظام القذافي بعد انقلاب (1969م) استمالة مستغلًا خلافه مع النظام الملكي فأعاد له الجنسية الليبية

وتنسب الشيخ ومن معه إلى هذه الجماعة تارة، وإلى تلك الجماعة تارة أخرى، فتارة يتهم بالإخوانية، وتارة بأنه يساند تنظيم داعش "المتطرف" ووظفوا "تنظيم" الجامية المداخله ودعموهم ماليًا وإعلاميًا وسياسيًا، واستغلوا نفسية أتباعه وعقليتهم العدوانية مع كل من يختلف مع شيوخمهم ولو فقهيًا، حتى إنهم قاموا باغتيال الشيخ نادر العمراني الأمين السابق لمجلس البحوث بدار الإفتاء -رحمه الله-، وما زال الصراع مستمرًا إلى اليوم، وهذا يردنا إلى ما سبق ذكره ويلزم التأكيد عليه من ضرورة قيام أهل العلم بواجبهم في التوعية والتربية ومداخلة قوى الشر والباطل، وعدم الانسحاب من ساحة الصراع.

وقد وفق الله سماحة مفتي عام ليبيا للقيام بجهود مثمرة في مجال رسم مسار لهذه الجهود، ومن أبرز هذه الثمار التي تبلورت في عمل مؤسسي أربع مؤسسات:

الأولى: دار الإفتاء، فالفضل بعد الله تعالى لسماحته في هيكلة دار الإفتاء وترتيبها إداريًا، بدءًا من نظامها الأساسي ومرورًا بأرشيدها الأصلي والاحتياطي وانتهاء بتعدد وسائل تواصل الناس معها كالاتصال المباشر والمراسلة على المنصات الإلكترونية، وانتهاء بتطبيق دار الإفتاء على الهواتف الذكية.

وتتعامل دار الإفتاء باستقلالية عن سائر الحكومات المتعاقبة لتتمكن من بيان الحق والواجب والباطل والممنوع سواء

كان الشيخ الصادق قد درس في جامع البيضاء في ليبيا ثم نال الماجستير والدكتوراه في الفقه المقارن من الأزهر كما نال الدكتوراه أيضًا من جامعة أكستر في بريطانيا وقد بدأ علم الشيخ يظهر منذ تسعينيات القرن الماضي وصار مرجعًا للناس في الفتوى والتوجيه وفض النزاعات، وساعد على ذلك أيضًا الانفتاح النسبي في ليبيا في بداية الألفية الثالثة، والذي فرضته عوامل كثيرة محلية ودولية.

ولما هبت رياح التغيير على ليبيا في سنة (2011م) كان للشيخ موقف عظيم عندما أفتى بوجوب الخروج في المظاهرات ضد نظام القذافي الذي كانت كتائبه تبطش بالمتظاهرين المطالبين بالتغيير.

وعندما تشكل المجلس الوطني الانتقالي والذي كان المظلة التشريعية للثورة آنذاك، لم يجدوا شخصية أفضل ولا أكفأ من الشيخ الصادق، فعين مفتيًا عامًا لليبيا، والجدير بالذكر أن الشيخ في مرحلة الصبا وأيام الطلب كان قد لازم الشيخ الطاهر الزاوي الذي سبق ذكره أيام كان مفتيًا عامًا فتعلم منه صناعة الفتوى مبكرًا.

وفي خضم حشد الثورات المضادة قواها السياسية والإعلامية والعسكرية والأمنية، كان لليبيا نصيب كبير من تلك القوى الشريرة، فسخرت أبواق التزوير لدار الإفتاء وشيوخها والدعاة المساندين لها مساحة غير قليلة من ضجيجها وبرامجها التي ما فتئت تنشر الفتن والأكاذيب،

طالت طلاب الجامعات، فوفر لهم المركز الجو الملائم المريح للدراسة والمطالعة وكتابة البحوث وعقد الندوات وورش العمل، كما يستضيف المركز شخصيات علمية وسياسية لإلقاء المحاضرات من مختلف أنحاء العالم.

إلى جانب دار الإفتاء هناك مؤسسات وجمعيات وتجمعات علمائية مثل هيئة علماء ليبيا والجمعية الليبية لعلوم الكتاب والسنة، والتجمع الوطني لعلماء ومشايخ ليبيا.

وهذا التجمع هو مظلة واسعة وجامعة لكثير من المؤسسات الأخرى، والتي يجمع بينها الموقف الإسلامي العام، والوقوف ضد مشروع الثورات المضادة الذي تقوده فرنسا والإمارات ومن معها، ومواجهة المناهج والتيارات المنحرفة المتطرفة مثل داعش، والجامية المدخلة، مع وجود الاختلاف الفقهي وتعدد المدارس من صوفية وأشاعرة وسلفية وإباضية.

الرابعة: قناة التناصح الفضائية، والتي تعبر عن خط الدعوة والثورة.

السؤال الثالث: بوصفكم أميناً عاماً لمجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء؛ ما طبيعة العلاقة بين هيئة علماء ليبيا ودار الإفتاء الليبية؟

سبق التعريف بشخص سماحة مفتي عام ليبيا، والذي اختير مفتياً عاماً من قبل المجلس الوطني الانتقالي كما سبق، وقد تشكلت دار الإفتاء بقانون من

على مستوى الأفراد أو على مستوى المؤسسات أهلية كانت أو رسمية. وتتعاظم دار الإفتاء مع الشأن العام المحلي والعالمي، على خلاف الحال مع بعض المؤسسات الدينية الرسمية في عالمنا الإسلامي. فلدار الإفتاء بيانات وتصريحات ومواقف تناصر فيها قضايا المسلمين كفلسطين والعراق وأفغانستان وتركيا وغيرها، كما كان رأيها واضحاً وصارماً من الثورات المضادة والحركات الانقلابية المدعومة من حكومات فرنسا أو الإمارات أو السعودية أو مصر.

الثانية: المعهد العالي للعلوم الشرعية، والذي تحول بفضل الله في أواخر السنة الماضية إلى الكلية الشرعية لعلوم الإفتاء والقضاء الذي جعل من رؤيته إصلاح القضاء في ليبيا، كما نجح المعهد بفضل الله تعالى أن يتحصل على صلاحية إنشاء المدارس الشرعية الإعدادية "المتوسطة" والثانوية التي تؤهل الطالب للاستمرار في الدراسات الإسلامية الجامعية والعليا. وبدأ فعلاً افتتاح هذه المدارس بعد عراقيل كثيرة وعقبات مفتعلة على المستوى القانوني النظري ثم على المستوى التنفيذي العملي.

الثالثة: مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب: ويعد بحق منارة علمية وثقافية وفكرية، لا في العلوم الشرعية فحسب، وإنما صار مرجعاً وبؤرة إشعاع للطلاب في سائر العلوم، ففي ظل أزمة الكهرباء التي

كان لها استقلاليته المالية والإدارية، وأسلوب خطابها.

السؤال الرابع: ماهي مهام دار الإفتاء وتأثيرها في المجتمع، التي تجعلها هدفاً للهجوم من بعض الجهات السياسية؟

-سبق ذكر الدور الذي تقوم به دار الإفتاء، ورغم الحرب التي تشن ضد دار الإفتاء بشتى مظاهرها، إلا أنها لا تزال تقوم بدورها، لا أدعي أنها تحوز على دعم الأغلبية ورضاها ولكن لها جمهورها ومتابعوها من مختلف المناطق الليبية، ومن خارج ليبيا أيضاً.

السؤال الخامس: ما هو أثر العلماء في بث الوعي لتفادي فتنة الفرق والاختلاف في بلداننا عامة وفي ليبيا خاصة؟

-العلماء ورثة الأنبياء كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، فدورهم الرئيس هو هداية الناس بنشر العلم والتزكية، وكلما زاد انتشار العلم قل الخلاف، كما قال سحنون بن سعيد وسفيان بن عيينة: (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه).

وكلما زادت التزكية، قلت رعونات النفي الحاملة على التنافس على الرئاسة والحرص على التصدر، والذي هو أحد أسباب التفرق والعداوة.

ولا سيما إذا وجدت القدوات من أهل العلم، فيكون لكلامهم وتوجيههم أثر في تقليل الخلاف وتآليف القلوب على هدى من العلم.

المجلس الوطني الانتقالي وبقيت تتبع إدارياً السلطة التشريعية والتي آلت بعد المجلس الوطني إلى المؤتمر الوطني العام، كما بقيت تمارس مهامها في سائر المناطق الخارجة عن تسلط حفتر وميلشياته.

أما هيئة علماء ليبيا فهي مؤسسة أهلية تشكلت أثناء أحداث الثورة في (2011م) مبكراً في بنغازي قبل تحرير العاصمة طرابلس، ويرأسها فضيلة الشيخ الدكتور غيث الفاخري أستاذ الشريعة والقانون في الجامعات الليبية منذ عقود، والذي كان من وجوه الثورة وقادتها منذ (2001م) ، والذي اختير بعد تشكيل دار الإفتاء نائباً لسماحة المفتي، كما كان رئيس لجنة مراجعة القوانين وتعديلها بما يوافق الشريعة الإسلامية بعد أن أجرى المؤتمر الوطني العام التعديل التاسع للإعلان الدستوري سنة (2013م). هذا التعديل القاضي بأن "ليبيا دولة مسلمة، والشريعة الإسلامية مصدر كل تشريع فيها، ويقع باطلاً كل قانون أو قرار أو تصرف يصدر بالمخالفة لمبادئها أو أحكامها" وقد أنجزت اللجنة عملها.

وقد أثرت الأحداث التي مرت بها ليبيا على حضور الهيئة، والتي كان منها اغتيال الشيخ نادر العمراني والذي كان أحد مؤسسي الهيئة والأعضاء الفاعلين فيها، كما أثر الانقسام السياسي وبالتالي الجغرافي على وجود كثير من الأعضاء وحضورهم كفاعلين في الهيئة، وتشترك الهيئة مع دار الإفتاء في موقفها من قضايا الشأن العام على المستوى المحلي الليبي وعلى مستوى الأمة الإسلامية، وإن

وأساليب الثورة المضادة ومن وراءها من قوى الشر الإقليمية والدولية.

السؤال السابع: كيف تنظرون إلى من يقول: إن المشهد الليبي مرتبط فعلياً بالدور الإقليمي ويتحرك تبعاً لذلك؟

هذه هي النفسيات المحبطة والمرتعشة لدرجة أنها تستحي - ولا أقول فقط: تخاف - من مواجهة الأطراف الدولية بقناعة رافضة للإملاءات الدولية، نحن نلاحظ الوقوع في فخاخ بعض الأطراف الدولية من خلال التضحية بالحلفاء الإستراتيجيين الذين هم أهل للثقة، لصالح حلفاء تكتيكيين لا يربط بهم إلا المصالح المؤقتة، وسرعان ما ينقلبون على المخدوعين بهم من أبناء الثورة وطنيين كانوا أو إسلاميين.

ولولا هذه الخديعة الكبرى التي وجدت من يتلعبها لكان من الممكن لصف الثورة أن يكون أقوى مما هو عليه بكثير.

السؤال الثامن: القبلية والتنظيمات الفكرية قد تكون مناسبة لصنع الحاضنة المطلوبة في صناعة الرأي والقوة.. هل تجد تضارباً بينهما -من خلال التجربة الليبية؟

لا أجد تضارباً، ولكن أقول: القبلية لها إيجابياتها وسلبياتها، فمن إيجابياتها مثلاً أن بعض أعرافها قد يخدم التهدئة والمصالحة وحقق الدماء، وقد يتفق أن تدعم القبيلة شخصية مؤهلة نزيهة.

إلا أن تجربة دخولها في السياسة في ليبيا كانت سلبياتها - حسب تقييمي - فائقة على إيجابياتها. فكم حمت القبيلة

السؤال السادس: ما تقييمكم لمجريات الثورة في ليبيا خلال عقد من الزمن؟

-الثورة الليبية كغيرها من الثورات أثبتت أن كثيراً مما كان يصنف في خانة المستحيل هو في الحقيقة ممكن، بتهيئة أسبابه وتوفير شروطه وإزاله موانعه، وربما تميزت الثورة الليبية ببعض المميزات، كبقاء السلاح الحامي للمكتسبات بيد أبناء الثورة، وكعدم تجذر كثير من التيارات الفكرية الفاسدة، بسبب البيئة المحافظة عموماً، ورغم وجود أنوية لهذه الأفكار الفاسدة، إلا أنها لم تنجح كنجاح تيار " ديني " متشدد كالتيار الجامي المدخلي، ولكن هناك آفات مثل قلة الخبرة، وضالة التجربة، مما مكن لكثير من المؤامرات أن تتخلل الصفوف وتجد لها مكاناً، وقد سبق ذكر شيء من ذلك عند الحديث عن الثورة المضادة وحربها على أهل العلم الثقافت الذين يقفون لها ولمؤامراتها بالمرصاد..

بعض المحسوبين على تيار الثورة ما يسمى " التيار الإسلامي " وغيرهم، انزلقوا في مخططات الثورة المضادة، حيث يستفيد منهم رؤوسها في إنعاشهم والنفخ فيهم كلما سقطوا أو انهزموا ومن آخرها هزيمة ميليشيات حفتر الأخيرة على أسوار طرابلس، والتي كانت فرصة سانحة لإنهائه بالكامل سياسياً وعسكرياً، إلا أن التخاذل والارتعاش أو الحرص على البقاء في المشهد السياسي أو الثقة بوعود الأطراف الدولية، كان ذلك كله حاضراً.

لكن بقاء تيار من قوى الثورة سياسياً وعسكرياً هو الأمل بعد الله تعالى في إفشال مخططات الأعداء وكشف ألعيب

البلد من قبل أبنائه، والاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، ولا بد من إعطاء الزمن حظه من إنضاج التجربة وتشذيبها، وعدم التعجل الذي قد يوقع في مطبات تزيد المشهد تعقيداً والأزمة تشابكاً.

السؤال العاشر: ما هي عوامل تقويض الخطاب الثوري في ليبيا؟

- لا أظنها تخرج مما سبق ذكره:
- الثورة المضادة وأذرعها المختلفة. لا سيما الإعلام الذي يمارس التفرقة والتشويه والترغيب والترهيب.
- ضعف كثير من القيادات المتصدرة.
- ومن أهمه ضعف التربية العقيدة والشرعية.
- التدخلات الدولية السلبية، التي هي من أكبر أسباب التفرق المذموم
• بالمقارنة بين الثورة الليبية والثورة المضادة لها كيف يمكننا القول بإمكانية العودة إلى الحالة الثورية قبل التدخلات الإقليمية؟

هو صراع قدري وشرعي لا مناص من خوضه، وإن وجد أصحاب خندق الصبر والتقوى (بمعناها الشامل) حق لهم قول الله تعالى: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)
قدراتهم أكبر وإمكاناتهم أكثر، ولكن (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين).

من مجرم، وكم أيدت من طاع، وكم تسترت على القتلة والسراق!

وقريب من ذلك: التجربة الحزبية في ليبيا، حتى إنني أحياناً أسمى بعض الأحزاب بأنها قبيلة حديثة، فكثيراً ما نجد الهيكل حزباً والمحرك (الموتور) قبيلة، وكم رأينا من أتباع الأحزاب من يسير في ركب رئيس الحزب أو أمينه العام ولسان حاله بل ولسان مقاله يردد:

وهل أنا إلا من غزية إن غوتْ
غويت وإن ترشدْ غزية أرشد.

لا يمكن إلغاء القبيلة ولا الحزب، وإنما يحتاج الأمر إلى ترشيد وتحسين، بتنمية جوانب الخير والمصالح العامة، وتقليل مظاهر الخلل والفساد ومحاصرتها، إن لم يمكن إزالتها بالكلية، وعلى هذا بنيت الشريعة الإسلامية، ولا سيما في أبواب السياسات، وأزمنة الفترات.

السؤال التاسع: ما هو المطلوب لتجاوز أزمة القيادة في المشهد الليبي الآن، وكيف يتم تعويض قلة الخبرة؟

- من أسباب ضعف الأمة هو انكفاء أهل كل قطر على أنفسهم، ورضاهم بما هو موجود داخل حدود بلادهم، التي رسمها الاستعمار، الأمة فيها خير وطاقت وخبرات، فإذا تم هذا الانفتاح المدروس، امتزجت الخبرات الممتدة بالممارسة المحلية، وتمت المواءمة بين فهم واقع

التقرير الدوري عن الحالة السياسية في العراق

الصادر عن القسم السياسي

في هيئة علماء المسلمين في العراق

• المحور الأول: الانتخابات

ممكنة في ظل أجواء شعبية رافضة لها، وقناعات متنامية بأنه لا قيمة لها ولا أثر في تغيير الوضع المأساوي الذي يعيشه العراق، وهي القناعات نفسها التي دعت غالبية العراقيين إلى مقاطعة الانتخابات في عام 2018م.

وتشير مؤشرات وحيثيات كثيرة إلى أن الانتخابات المقررة بعد أيام ستشهد عزوفاً أكبر ومقاطعة أوسع، ولاسيما بعد توسع خيار المقاطعة والدعوة إلى عدم المشاركة فيها، وتبني قطاعات شعبية كبيرة لها ودعوتها علناً إلى ذلك، وهذا ما جعل الحكومة الحالية وأحزابها والميليشيات تستخدم كل الوسائل الممكنة للضغط على الشعب للمشاركة فيها. ومن هذه الوسائل: ممارسة سياسة القمع السياسي والإعلامي تجاه كل من يتحدث عن مساوئ الانتخابات أو انتقادها، ومحاسبة القنوات والمنصات الإعلامية التي تتحدث عن سوء الأوضاع في العراق وعدم جدوى الانتخابات في تغيير الواقع المأساوي.

تناولنا في التقرير السياسي الدوري السابق بعض الأمور المتعلقة بالانتخابات، وأكدنا فيها على أن التحضيرات لها قد شهدت تصعيداً واضحاً في الصراع بين الأحزاب الفاسدة، وتزايداً ملحوظاً في الاتهامات وحملات الفضائح المتبادلة بينها، وأكدنا على أن الانسحابات الوهمية التي أعلن عنها بعض المشاركين في الانتخابات ليست حقيقية، وأنها مواقف متكررة ومعادة عن انتخابات سابقة، وقد ثبت صحة ما قلناه من خلال تراجع مُعلنِي الانسحاب واستمرارهم في حملاتهم الانتخابية.

وأشرنا كذلك إلى الوسائل التي يتخذها السياسيون من أجل حث الناس على المشاركة في الانتخابات، وكسب التعاطف الشعبي معها ودعمها، والتي تجاوزت كل ما هو متوقع، ووصلت إلى ادعاءات بالتعرض لمحاولات اغتيال! وكل هذا يدل على المأزق الكبير لهذه الانتخابات ومحاولات تمريرها بأي صورة

أنها نسبة متدنية جداً؛ مما دفع الحكومة وأحزابها ومفوضيتها إلى محاولة التغيير هذه؛ للتضليل وإعلان نسب غير حقيقية للتستر على المقاطعة المتوقعة بنسبة كبيرة جداً.

4. تسخير المؤسسات والجهات الدينية الرسمية والحزبية والمساجد وشيوخها؛ لخدمة عمليات الترويج الانتخابي في ظاهرة جديدة من حيث حجمها وطرق تنفيذها، والدفع باتجاه إصدار فتاوى تفصيلية وجزئية متعلقة بإجراءات الانتخابات؛ تحليلاً أو تحريماً، وعدم الاكتفاء بالفتاوى العامة كما هو المعهود سابقاً، وهذا تطور خطير، يدل على الجراءة الزائدة عن الحد في التعامل مع النصوص الشرعية، واستخدام المواقع والصفات والمنابر والنصوص الشرعية؛ لترسيخ مفاسد ومصالح غير معتبرة، وإظهارها بمظهر المصالح المعتبرة والمقاصد الضرورية! وقد استوت في ذلك شخصيات وهيئات ومجامع ووسائل إعلام، وغيرها، مبتعدة كل البعد عن مراعاة أحكام الشريعة فضلاً عن مقاصدها؛ لصالح أحزاب وقوى وشخصيات ليست بالضرورة أن تكون متفقة مع التوجهات الفكرية والخلفيات السابقة، وإنما هي التحالفات والمصالح الخاصة المتوهمة.

ومما يُستغرب له أيضاً هنا هو الاستعانة بعلماء من خارج العراق للإفتاء لصالح المشاركة بالانتخابات، فبعد أن كان

ويمكن في هذا الصدد رصد الحالات الآتية:

1. عزوف الناخبين عن استلام البطاقات الانتخابية؛ وهذا أمر مهم يدل على عدم اهتمام الشارع العراقي الكبير بالانتخابات وترسخ مفهوم المقاطعة. وقد دفع هذا العزوف مفوضية الانتخابات إلى محاولة إغراء الناس بمبالغ مالية زهيدة مقابل استلام البطاقة الانتخابية (بطاقة شحن هاتف نقال مثلاً)، في سابقة خطيرة تظهر مدى الانحطاط الأخلاقي والمهني الذي وصلت إليه المؤسسات في العراق؛ وشعوراً من المفوضية وأحزاب السلطة وميليشياتها بحجم المقاطعة الكبيرة، وهو إجراء سلكته أيضاً حكومة (الكاظمي) بإعطاء هدية لكل من يستلم بطاقة الانتخاب.

2. استخدام التهريب والتهديد وسيلة لإجبار الناس على المشاركة في الانتخابات، ومن ذلك ما يحدث في (سنجار)، وممارسات حزب العمال الكردستاني الترهيبية، وإجباره السكان على استلام بطاقة الناخب، وتسليمها لمكاتب الحزب ومن ثم الحضور يوم الاقتراع وانتخاب من يوصي به الحزب.

3. تغيير معيار نسبة المشاركة في الانتخابات واختراع طريقة جديدة لاحتساب نسبة المشاركة فيها؛ فبدل أن تحسب النسبة لمن يحق لهم الانتخاب، استبدلت بنسبة الذين استلموا بطاقتهم الانتخابية، والتي تدل مؤشرات عدة على

استجابة منه -رحمه الله- للضغوط والتوصيفات القاصرة وقتها لعدد من ممارسي السياسة من الإسلاميين العراقيين بعد فشلهم الذريع وتفريطهم، فما بالنا اليوم بعد ست عشرة سنة من الفشل المتراكم وتخلي بعض هؤلاء الإسلاميين حتى عن هويتهم الإسلامية وتبنيهم لأفكار ومشاريع أخرى، لا ترى للدليل الشرعي تأثيراً ولا تقيم له وزناً ولا تعطيه الاحترام اللائق به.

وكنا نتمنى ممن يصدر هذه الفتاوى من العلماء الأفاضل من غير العراقيين؛ أن يراعوا هذه الخصوصية وأن يجنبوا أنفسهم هذا الحرج، والتكلف في غير مكانه المناسب، وإن هم سمحوا لأنفسهم بهذا -من باب النصيحة والاهتمام، ونشكرهم على ذلك- فلا بد لهم إذن من بيان الحكم الشرعي في مسائل أخرى، من قبيل: حكم تخلي بعض إسلاميي العراق عن إسلاميتهم وانتمائهم لأحزاب غير إسلامية، أو حكم تعاونهم مع الاحتلال، أو حكم تحالفهم مع الأحزاب الطائفية التابعة لنظام الولي الفقيه، حيث إن منطلق ومستند بعض الفتاوى بوجوب المشاركة في الانتخابات للعراقيين؛ هو التصدي للضرر وتقليله ما أمكن؟! وهذا تناقض بين ظاهر، أو بيان الحكم الشرعي في سكوت بعض الأحزاب الإسلامية عن موضوع التطبيع، أو حكم التعامل مع النظام الإيراني في الساحتين العربية والإسلامية.

المشاركون في العملية السياسية من الإسلاميين (السنة) يقولون لا نقبل فتاوى العراقيين في الخارج؛ ها هم يعودون للاستنجد بفتاوى خارجية لعلماء غير عراقيين! وهذا مما يثير الاستغراب والعجب؛ ليس تأييداً لأصل رفضهم، إنما لانتقائيتهم، وإلا فالحدود المكانية لا تمنع من الإفتاء بشرط معرفة المفتي بوقائع ما يفتي فيه. ولذا ينبغي لنا هنا بيان أن هذه الفتاوى -أو غيرها- ليست ملزمة للعراقيين؛ إلا إذا كانت مراعية لواقع الحال، ومبنية على تصور سليم للوقائع على الأرض، وتم تحرير محل النزاع فيها كما ينبغي؛ أما إذا جاءت الفتاوى مخالفة لكل ما تقدم، ولم يراع فيها تحري وجهات النظر الشرعية العراقية في هذا الموضوع؛ فإنها تكون قد حادت عن الحق وجادة الصواب، فضلاً عن كونها تتجاوز مسلمة مهمة مفادها: أنه لا اضطرار لصدور حكم شرعي في مثل هذه المسألة السياسية المصلحية، القائمة على تحري المصالح والمفاسد في النظام السياسي، فضلاً عن كون الفتوى مصادمة لإجماع متفق عليه في حكم استيلاء الغازي على بلاد المسلمين، وأقصى ما يمكن أن يقال في حقها لمن أراد الحكم الشرعي -ديانة والتزاماً لا لمصلحة سياسية- هو الجواز خلافاً لأصل المنع؛ استجابة للضرورة، فإذا انتفت الضرورة فلا مخالفة للأصل وهذا ما أفتى به كبير علماء العراق الشيخ عبد الكريم زيدان في انتخابات عام (2005م)

تأكد توجه المحسوبين على المحافظات المنكوبة إلى التزام السلوك نفسه الذي تسلكه الميليشيات وبالتنسيق معها، وهذا يعني أن الجميع الآن يعمل بشكل مباشر أو غير مباشر لتحقيق الأهداف الإيرانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وخطورة هذا لا تخفى على أحد، ولن تتوقف عند حدود العراق.

6. الصراع الانتخابي في المحافظات المنكوبة من الاحتلال وحكوماته المتعاقبة وسياسيه المحليين: كما هي الحال في الصراع الانتخابي العام؛ فإن هناك صراعاً من نوع آخر في المحافظات المنكوبة، يجري بين تحالفين هشين لا يملكان من العزم ما يستطيعان به العمل على تقدم العراقيين، وكلاهما يحاول كسب تأييد عشائري وغطاء ديني ب خطاب ساذج؛ للحصول على الأصوات في المحافظات المنكوبة التي تسيطر عليها ميليشيا (الحشد الشعبي)؛ ولكن الأهم في ذلك أنه على الرغم من التنافس بينهما إلا أنهما متحالفتان سياسياً مع الميليشيات الموالية لإيران ويحظيان بدعم نظام الولي الفقيه من طرق مختلفة؛ فمؤداهما واحد ونهايتهما عند صاحب النفوذ الأكبر في العراق؛ وهذا يعني أن كليهما لا يتنافسان من أجل مصالح الشعب العراقي أو المحافظات المنكوبة، وإنما من أجل مصالحهما الخاصة وسعيًا لإرضاء حلفائهم في الداخل والخارج؛ ولذلك يحظى الطرفان بدعم من أحزاب

ولو صدرت هذه الفتاوى في بداية الاحتلال لوجدنا لها بعض العذر - ولا عذر حقيقة- أما الآن وبعد انكشاف الأمور وافتضاح باطل العملية السياسية، وثبوت فشل نظرية تقليل الضرر المتهمة، وتوجه غالب العراقيين لمقاطعتها فالأمر غير مبرر ولا معقول! ويدل على أن هذه الفتاوى تتعامل مع واقع لا تدركه، وتستقي معلوماتها من جهات بعينها، وتتغاضى عن آراء معتبرة لأسباب غير علمية، وإنما سياسية حزبية.

5. الصراع الانتخابي: معلوم للمتابعين أن الصراع الحقيقي في هذه الانتخابات؛ ليس من أجل نتائجها لأنها محسومة سلفاً ولن تأتي بجديد إلا بفارق قليل بين الأحزاب المتسلطة والمسيطرة على القرار في العراق فيما يتعلق بتوزيع المقاعد بينها ليس غير، وإنما المتوقع أن يكون الصراع الحقيقي بعد إجراء الانتخابات؛ حيث بدأت بوادره منذ الآن بين جهتين تمثلن المصالح الإيرانية في العراق، وتتصارعان على رئاسة الحكومة، وتدعي كلاً منهما أنها ستستحوذ على رئاسة الحكومة، وكلا الجهتين لديها ميليشياتها المسلحة. وهذا يعني أن الانتخابات القادمة ستفرز عن (مجلس نواب) أسوأ بكثير من المجالس السابقة؛ وأكثر خطراً على العراق والعراقيين والمنطقة؛ لأن الميليشيات ستكون هي المشرّع والمنفذ للمخططات الإيرانية بطريقة غير مسبقة، وذلك بعد

المعتمد: أمريكيًا وإيرانياً لإجراء الانتخابات في العراق، عن طريق العمل على تحريك المشاعر الطائفية والعرقية والدينية ودفع الناس من خلالها للمشاركة في الانتخابات.

8. موقف الهيئة: نُذكر هنا بموقف هيئة علماء المسلمين من الانتخابات، ونقول بعبارة واضحة: إنه سبق لنا أن ذكرنا في مراحل الانتخابات السابقة أننا لا ندعو شعبنا إلى مقاطعة الانتخابات، وإنما يكفيننا أن نبين له مساوئها، ونشرح له أبعادها، وقد كفانا الشعب العراقي اليوم هذا الموقف، فهو يدعو علناً إلى المقاطعة وعاد ليصطف معنا في موقفنا الكاشف لخطر العملية السياسية في ظل الاحتلال وتداعياتها، الذي أكدنا عليه منذ عام 2004م، وما كان موقفنا هذا إلا لخدمة وطننا ودفع الضرر عنه بحسب اجتهادنا واستشرافنا للأمور، ونفخر اليوم بأن غالب الشعب العراقي قد عاد إلى قناعاتنا التي وافقنا عليها كثيرون من أبنائه وقتها، وبنسبة لم تصلها أي عملية انتخابية أو حزب من الأحزاب القائمة أو المنحلة، ولكن حرفته وقتها عن هذا الموقف أحزاب السلطة وأدواتها.

القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق.

1 ربيع الأول 1443هـ

7 تشرين الأول/أكتوبر 2021م.

وميليشيات تعلن ولاءها الصريح لإيران، وكلا الطرفين له اتصالات بالواسطة مع الإيرانيين، ويستغلان معاناة المهجرين وإطلاق وعود إعادتهم إلى مناطقهم وإعمار المدن المنكوبة لأغراض الدعاية الانتخابية.

7. موقف الأمم المتحدة: أما موقف الأمم المتحدة وبعتها في العراق فعلى الرغم من كل المساوئ المتعلقة بالانتخابات التي أقرت بها بعثة الأمم المتحدة في العراق (يونامي) ووصفها الانتخابات بأنها خاضعة بكاملها لسيطرة الأحزاب المتسلطة وهي من تسمح بإجرائها من عدمه، وهي من تتحكم بالمشهد العراقي السياسي والأمني والاقتصادي، وأن هذه الأحزاب تستخدم القوة والمال السياسي في فرض نتائج الانتخابات، فضلاً عن تأكيدها على استخدام المال السياسي لشراء الولاءات وقمع الناخبين بالقوة وإجبارهم على انتخاب الأسماء التي تفرضها هذه الأحزاب، وإشارتها الواضحة إلى احتمالية تزوير الانتخابات بشكل كبير جداً، إلا أنها ما زالت تدعم بقوة هذه الانتخابات -القاصرة وفق معايير الأمم المتحدة نفسها- وتدعو الشعب العراقي للمشاركة فيها، متجاهلة حالة العزوف الكبيرة للعراقيين عن المشاركة فيها، ودعوات المقاطعة التي تتصاعد بشكل واضح جداً، وهذا يعني أنها مستمرة في المنهج نفسه

بيان رقم (1484) المتعلق بالمقاطعة الشعبية الواسعة للانتخابات

لقد أكد الشعب العراقي بمقاطعته للانتخابات على رفضه لاستمرار مهزلة العملية السياسية، وتجاهلها لإرادة الشعب العراقي وخياراته ونداءات أحراره، موقناً أن محاولات تزوير نسبة المشاركة في هذه الانتخابات لن تنطلي على أحد، ولا سيما بعد انتشار حقيقة أن نسبة المشاركة في هذه الانتخابات كانت متدنية جداً؛ بل هي أضعف نسبة تصويت شهدتها العراق منذ احتلاله عام (2003م) بشهادة الجهات الدولية ووسائل الإعلام التي راقبت الحدث، وتأكيداً للفشل الذريع لهذه الانتخابات، التي هي وليدة المشروع السياسي للاحتلال المفروض على العراقيين.

وكشف الإحجام الكبير عن التصويت الذي شهدناه يوم أول أمس عن فشل الأحزاب السياسية المتنفذة وميليشياتها في إقناع العراقيين بدعاوى وأكاذيب التغيير والإصلاح التي ملّ العراقيون سماعها، وعدم قدرتها على إقناع الناخبين، الذين سئموا التلوث السياسي المطبق على أنفاسهم منذ أكثر من (18) عاماً. وقد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمرة أخرى يؤكد الشعب العراقي حقيقة موقفه من النظام السياسي القائم، وعمليته السياسية وانتخاباتها وآثارها، التي لم تتوقف عن جر العراق إلى مستنقع الأزمات والكوارث؛ فمقاطعة الشعب الواسعة التي شهدتها انتخابات يوم أول أمس (2021/10/10م)، والإحجام الكبير للمواطنين عن المشاركة في الإذلاء بأصواتهم على الرغم من الدعم الأمريكي والإيراني والدولي والإقليمي والعربي لهذه الانتخابات، التي سُخرت لها كل الإمكانيات المادية والإعلامية من جهة، والممارسات التعسفية والتهريبية لإجبار الناس على المشاركة فيها من جهة أخرى، فضلاً عن استخدام الفتاوى المسيّسة ومنابر المساجد ودور العبادة لهذا الغرض؛ كانت رسالة رفض مدوية وفاضحة لأحزاب السلطة وميليشياتها المتسلطة على رقاب العراقيين وإلى من يقف خلفها ويدعمها.

وأوقعت هذه المقاطعة الواسعة مفوضية الانتخابات في حرج كبير، اضطرها إلى إخلاف وعدها بإظهار النتائج بعد ساعات قليلة من انتهائها، وعدم استطاعتها فعل ذلك إلا في اليوم التالي، وبعد فوضى ضربت بأطنابها وتردد تمخض أخيراً عن إعلان نسبة غير صحيحة للمشاركة، في محاولة منها لمعالجة مأزق ضعف المشاركة. وهذا فشل آخر يزداد على فشل العملية السياسية برمتها، ويظهر مدى عمق الأزمة التي غرقت فيها بسبب المقاطعة الشعبية الواسعة النطاق. وإننا في الهيئة إذ نرقب هذه التطورات المهمة ونعلن هذه الحقائق للجمهور، ونتابع تنامي الشعور الوطني للبناء الشعب العراقي-الذي كان متوقعاً لدينا-، فإننا نتوجه بالشكر والامتنان لهم على موقفهم الوطني الشجاع من النظام السياسي القائم، المعبر عن رفضهم الصريح لمخرجاته الخطيرة، ومنها هذه الانتخابات التي كانت مقاطعتها (عرساً) وطنياً حقيقياً، ودليلاً على مدى الوعي عالي المستوى الذي وصل إليه الشعب بعدم جدوى الألعاب السياسية التي تمارس عليه منذ سنوات طويلة.

إن الشعب العراقي بموقفه هذا قد برهن على قدرته في اختيار مصيره وتحديد مستقبله، عن طريق حل شامل لمشكلة العراق وإخراجه من قعر الهاوية التي سقط فيها منذ غزوه واحتلاله سنة (2003م)؛ ولا سيما أن أحزاب السلطة وميليشياتها مصرة على المضي في تدمير العراق وخرابه والإيغال بمعاناة العراقيين، إرضاءً لرغبات إيران وأمريكا في استمرار مهزلة العملية السياسية التي نتوقع أن تنتج حكومة هزيلة -كسابقاتها- غير قادرة على إدارة وزرائها أو السيطرة على دوائرها الضيقة؛ لأنها ستخضع إلى تقاسم متوقع للسلطة بحسب المعطيات والتفاهات الأمريكية الإيرانية، وتنازع واسع لاحقاً بين مؤسساتها ووزاراتها، بعيداً عن خيارات الشعب العراقي وتطلعاته، وبعيداً أيضاً عن النظام العربي الرسمي، الذي من المتوقع أنه سيلجأ إلى تضخيم أثر بعض المسميات التي يظن أنها له وهي ليست كذلك، ويتجنب الحديث عن المأزق الأخلاقي الكبير الذي وضعه فيه الشعب العراقي برفضه للانتخابات كخيار للتغيير في العراق.

الأمانة العامة

6/ربيع الأول/1443هـ

2021/10/12م.

هيئة علماء المسلمين في العراق تدعو لتشكيل إطار وطني للتصدي للعملية السياسية وميليشياتها

الإسلامية والعربية في تركيا، وعدد من الأكاديميين والباحثين المهتمين بالشأن السياسي العراقي، فضلاً عن الصحفيين والإعلاميين ووسائل الإعلام. مقاطعة شعبية

وقال مسؤول القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق الدكتور (مثنى حارث الضاري) في مستهل المؤتمر: إن الشعب العراقي أكد مرة أخرى حقيقة موقفه الرافض للنظام السياسي القائم، وعمليته السياسية وانتخاباتها، وآثارها وتداعياتها، التي لم تتوقف عن جر العراق إلى مستنقع الأزمات والكوارث؛ من خلال المقاطعة الشعبية الواسعة التي شهدتها انتخابات يوم 10 أكتوبر/تشرين الأول 2021م.. مؤكداً أن الإحجام الكبير للمواطنين عن المشاركة في الإدلاء بأصواتهم على الرغم من الدعم الأمريكي والإيراني والدولي والإقليمي والعربي لهذه الانتخابات، التي سُخرت لها كل الإمكانيات المادية والإعلامية من جهة، والممارسات

دعا القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق القوى والجهات والفعاليات المقاطعة للانتخابات داخل العراق إلى تشكيل إطار وطني للتنسيق بينها في المواقف المطلوبة للتصدي للعملية السياسية وميليشياتها.

وأكد القسم في مؤتمر صحفي عقده ظهر السبت 23 تشرين الأول/أكتوبر 2021م، في مدينة إسطنبول بتركيا؛ لتسليط الضوء على الأحداث الجارية في العراق؛ والكشف عن أسباب العزوف الشعبي الواسع عن الانتخابات الأخيرة؛ أن القوى المناهضة للاحتلال والمقاطعة للعملية السياسية منذ بداية الاحتلال، والقوى التي قاطعت الانتخابات الأخيرة هما الجهتان الأجدر والأولى بالتحدث عن العراقيين وتمثيلهم.

وانطلقت فعاليات المؤتمر الصحفي بكلمة ترحيبية ألقاها مساعد الأمين العام لهيئة علماء المسلمين للشؤون العامة الدكتور (يحيى الطائي)، وسط حضور جمع من ممثلي الهيئات والروابط

المتنفذة في النظام السياسي، وتحديدًا الجهات المتجمعة تحت خيمة الميليشيات وتشكيل (الحشد الشعبي) الإرهابي. وهو أمر كان مجرد المطالبة به يعد عدوانًا على النظام السياسي وإرهابًا خطيرًا مهددًا التركيبة الحكم الطائفية في العراق. وبين مسؤول القسم السياسي أن الشعب العراقي بموقفه القوي والرائع هذا؛ قد برهن على قدرته في اختيار مصيره وتحديد مستقبله، عن طريق حل شامل لمشكلة العراق وإخراجه من قعر الهاوية التي سقط فيها منذ غزوه واحتلاله سنة (2003م)، مشيرًا إلى أن النظام العربي الرسمي لجأ إلى تضخيم أثر بعض القوى السياسية واحتفى بتقدمها على غيرها، وتجنب الحديث عن المأزق الأخلاقي الكبير الذي وضع فيه الشعب العراقي الجميع برفضه للانتخابات كخيار وحيد للتغيير في العراق.

وفي هذا السياق؛ قال الدكتور (مثنى حارث الضاري): إن محاولة كثير من الجهات الداخلية والخارجية الإيهام بأن الجناح الإيراني قد خسر الانتخابات! هو أمر لا صحة له؛ لأن القوى التي تحظى بالدعم الإيراني وتتمتع بفوائد النفوذ والهيمنة الإيرانية في العراق؛ حصلت على ما تريد؛ بل وزادت من نفوذها وقبضتها على مقاليد الحكم، وأغلبها لديها ميليشيات ومجموعات مسلحة.

• تراجع الميليشيات

وأكد الدكتور الضاري على أن الفارق الرئيس في نتائج الانتخابات هو تغيير

التعسفية والترهيبة لإجبار الناس على المشاركة فيها من جهة أخرى؛ قد كشف عن فشل الأحزاب السياسية المتنفذة وميليشياتها العسكرية في إقناع العراقيين بدعوى التغيير والإصلاح التي مل العراقيون سماعها، وعدم قدرتها على إقناع الناخبين.

ولفت الدكتور الضاري إلى أن نسبة المشاركة في هذه الانتخابات كانت متدنية جدًا؛ بل هي أضعف نسبة تصويت شهدتها العراق منذ احتلاله عام (2003م)، وذلك وفقًا لتقارير الجهات الدولية وشهادات وسائل الإعلام التي غطت الحدث، وبما يؤكد الفشل الذريع لهذه الانتخابات، وغلبة انطباع الإحباط الدولي الداعم لها.. مشيرًا إلى أن المقاطعة الواسعة للانتخابات أوقعت مفوضية الانتخابات في العراق في تخبط كبير وتناقضات كثيرة؛ دلت على عدم مهنتها، وارتيابها، وترددتها، وخضوعها للتهديد، مبيّنًا أن هذا فشل آخر يزداد على فشل العملية السياسية كاملة، ويظهر مدى عمق الأزمة التي غرقت فيها بسبب هذه المقاطعة الكبيرة.

• تشكيك في النتائج

وأضاف الدكتور (مثنى الضاري) في المؤتمر بأن الانتخابات الأخيرة شهدت بعدًا جديدًا في العملية السياسية، وهو الانقلاب على نتائج الانتخابات وعدم القبول بها والتشكيك في مفوضية الانتخابات وعدم الاعتراف بنتائجها والمطالبة بإعادتها من بعض القوى

المسلمين؛ أن المشهد السياسي بعد الانتخابات فرض حقيقة جديدة في الواقع العراقي، ينبغي التعامل معها، من خلال إعادة النظر في الرؤى السابقة للحل في العراق، وتقديم تقديرات مواقف جديدة، تقوم على إعادة الاعتبار للقوى المناهضة للاحتلال، والتعامل معها وفق ما قدمته من جهود وطنية صادقة، ورؤية واقعية للتغيير، واستشراف دقيق لمآلات النظام السياسي القائم وعملياته السياسية، في ظل انسداد تام لأفق أي حل ترقيعي في سياق العملية السياسية الحالية.

• نزاعات حزبية

وفيما يتعلق بالحكومة الحالية في بغداد، قال الدكتور الضاري: إنها حكومة (تصريف أعمال) فحسب، ومن المتوقع أنه ستطول مدتها عدة أشهر حتى تشكيل الحكومة القادمة -كما هو معتاد في العراق بعد الاحتلال- بسبب النزاعات بين الأحزاب والكتل السياسية على تقاسم المناصب والحصص الوظيفية، مشددًا بالقول: ينبغي علينا هنا واجب التوضيح لشعبنا الصابر: أن حكومة تصريف الأعمال برئاسة (الكاظمي) لا يجوز لها أن تقدم على أي عمل أو تتصرف أي تصرف يضر بالعراق ومقدراته، فتاريخ العراق بعد الاحتلال فيه الكثير من الشواهد على خطر التصرفات التي تقوم بها الحكومات المنتهية، وتورطها في عمليات الفساد والسرقات وتمير الصفقات، بعيدًا عن المسؤولية ودون خوف أو وجل من

النسب والحصص فيما بينها، وتراجع حظوظ تيار (الحشد الشعبي) بسبب جرائمه الكبيرة ضد العراقيين جميعًا، لافتًا إلى أنه تراجع ليس لصالح قوى وطنية مناهضة للمشروع الإيراني، بل لحساب جناح إيراني آخر، وفصائل ميليشيوية أخرى لا تقل إجرامًا عن الحشد الشعبي. وبشأن شكل مجلس النواب القادم والحكومة المنبثقة عنه، قال الدكتور (مثنى الضاري): إنهما ما زال رهن تحكم الأطراف الممسكة بمفاصل الأحداث في العراق، وهما: الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، مع غلبة ميدانية للجانب الإيراني، الذي سيفرض إعادة إدخال تيار الحشد الشعبي في القرار السياسي بغض النظر عن حجمه الانتخابي، مشيرًا إلى أن هذا الأمر الخطير سيتسبب في استمرار تغول الميليشيات في العراق، ومن ذلك: سيطرتها على عدد مهم من المنافذ الحدودية مع دول الجوار، وبما يتيح لها فرصًا كبيرة لزعة أمن هذه الدول واستقرارها، كما هو حاصل في سوريا، ويعزز وجود بعض الفصائل الإرهابية في شمال غرب العراق وتهديدها لأمن العراق وتركيا، كفصيل (بي كا كا)، الذي كان المتحكم الرئيس في عملية الانتخابات في منطقة سنجار، وكذلك زيادة فرص تهديد هذه الميليشيات لأمن الأردن ودول الخليج، ولاسيما السعودية والكويت.

وفي سياق ذي صلة، بيّن مسؤول القسم السياسي في هيئة علماء

موقفه الشجاع من النظام السياسي القائم، المعبر عن روحه الوطنية الغالبة، ورفضه الصريح لمخرجات هذا النظام الخطيرة، ومنها هذه الانتخابات التي كانت مقاطعتها دليلاً على مدى الوعي عالي المستوى الذي وصل إليه الشعب، وقناعته بعدم جدوى الألاعيب السياسية التي تمارس عليه منذ سنوات طويلة.

من جهته، أكد مساعد الأمين العام للشؤون العامة الدكتور (يحيى الطائي)، أن هيئة علماء المسلمين كانت وما زالت ثابتة بمواقفها من العملية السياسية الفاشلة، وقد سخرت كل وسائلها لاسيما الإعلامية منها لخدمة ثورة تشرين.

وشهد المؤتمر مداخلات وأسئلة طرحها الحاضرون والصحفيون، تتعلق ما قدمه القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين في العراق، من رؤية بشأن الانتخابات الأخيرة والموقف الشعبي منها، وكيف شهدت عزوفاً شعبياً غير مسبوق.

المصدر/ موقع الهيئة نت.

الملاحقة القانونية.

ودعا الدكتور (مثنى الضاري) القوى والجهات والفعاليات المقاطعة للانتخابات داخل العراق إلى تشكيل إطار وطني للتنسيق بينها في المواقف المطلوبة للتصدي للعملية السياسية وميليشياتها؛ فهي والقوى المناهضة للاحتلال المقاطعة للعملية السياسية منذ بداية الاحتلال؛ هما الجهتان الأجدر والأولى بالتحدث عن العراقيين وتمثيلهم، وليس مجلس النواب الذي سينبثق عن هذه الانتخابات.

ولفت الضاري إلى أن دعوة هيئة علماء المسلمين هذه قد جاءت لاستثمار حالة المقاطعة التي نتجت عن وعي شعبي كبير ومتزايد، وتحويل ذلك لعمل سياسي مؤثر لتأسيس المرحلة الوطنية التي يصبو إليها الشعب بجميع أطيافه، ويأمل من خلالها استعادة حقوقه؛ لتكون بديلاً عن عملية المحاصصة الطائفية والعرقية.

واختتم مسؤول القسم السياسي كلمته في المؤتمر بالقول: نتوجه بالشكر والامتنان للشعب العراقي على



إصدارات البصائر

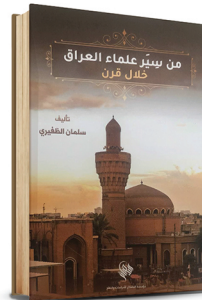
كتاب (حوارات في زمن الاحتلال والغربة)

تأليف الدكتور جاسم الشمري والكتاب يتضمن حوارات أجراها المؤلف مع شخصيات سياسية وأكاديمية عراقية وعربية عن مواقف وتحليلات وذكريات وشجون إبان الاحتلال الأمريكي..



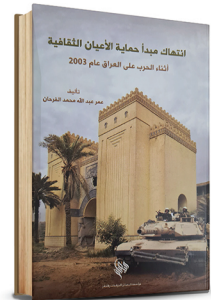
كتاب (من سير علماء العراق خلال قرن)

تأليف الأستاذ سلمان الظفيري جمع فيه ثلاثاً وثلاثين ترجمة لعلماء عراقيين، جعلها مراحل ثلاث؛ ترجمة موسعة للشخصية يليها ذكر من زكى هذه الشخصية وأثنى عليها، ثم ذكر اللطائف والنوادر والعجائب.



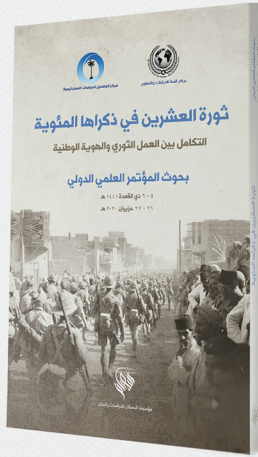
كتاب انتهاك مبدأ حماية الأعيان الثقافية

يعد الكتاب دراسة بحثية مهمة حيث سلط الضوء على انتهاك الأعيان الثقافية أثناء الحرب على العراق عام 2003 من قبل قوات الاحتلال الأمريكي وحلفائها





مركز الأمة للدراسات والتطوير



صدر
حديثاً

العدد السابق



www.ummacenter@gmail.com



[alummacenter](https://www.facebook.com/alummacenter)



[ummacenter1](https://twitter.com/ummacenter1)



+9647500180402